مؤسسة عبد الحميد شومان
ABDUL HAMEED SHOMAN FOUNDATION
البنك العربي - ARAB BANK

البنك العربي
ARAB BANK

محمد حمدان أكاديمياً وتربوياً

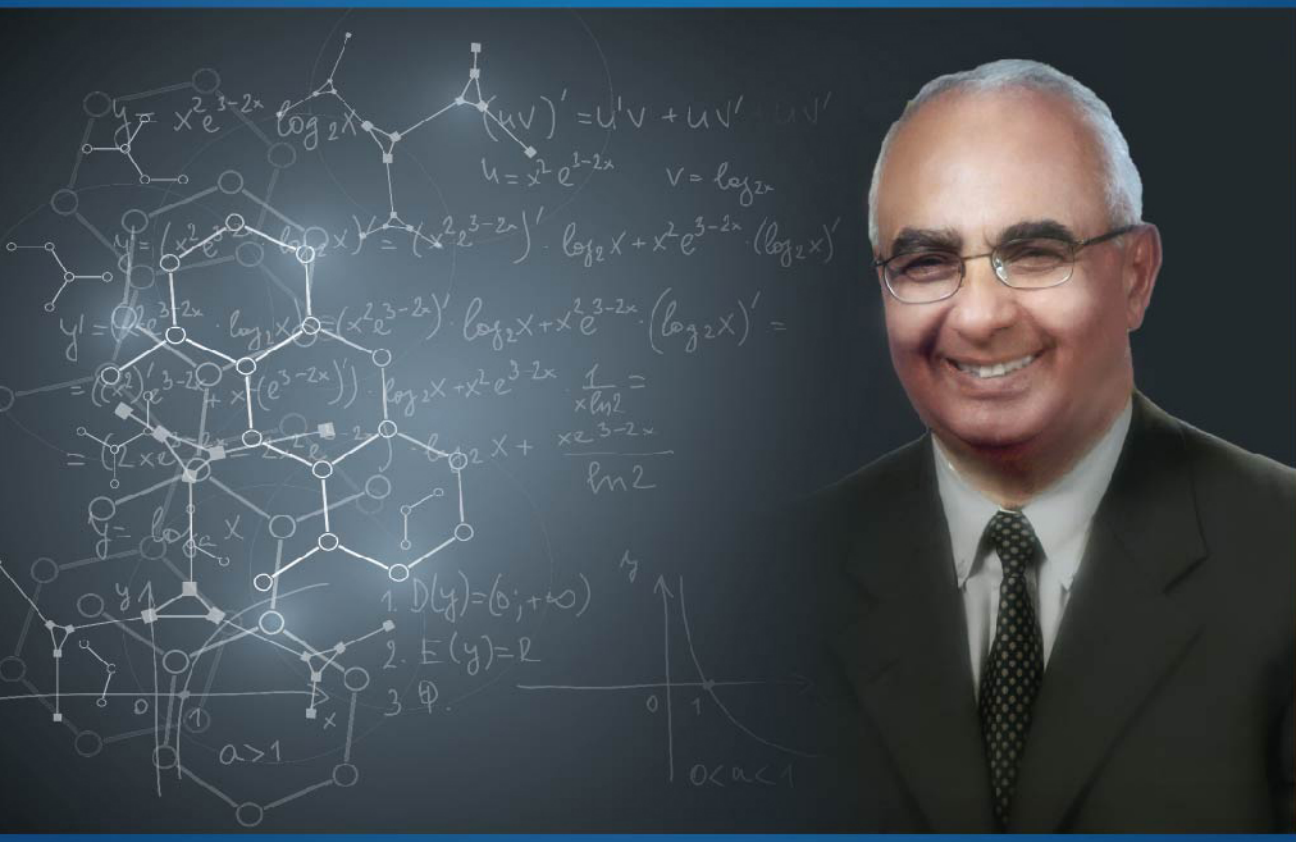

تقديم: مهند مبيضين

محمـــد حمـــدان

أكاديميــًّا وتربويـًّا

محمد حمدان أكاديمياً وتربوياً
الناشر: مؤسسة عبدالحميد شومان
المؤلف: محمود الدويري.. (وآخرون)
تقديم: مهند مبيضين

الطبعة الأولى 2021

© حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة عبدالحميد شومان
هاتف: (4633372 – 00962 / 4633627 – 00962)
فاكس: (4633565 – 00962)
صندوق بريد: (940255 عمّان، 11194 الأردن)
بريد إلكتروني: AHSF@shoman.org.jo
Shomanfdn
www.shoman.org

الأردن، عمّان، شارع الملكة رانيا، مجمع المغلح التجاري (87)، ط1.
هاتف: 797162720، 65620722 (962+)
alaan.publish@gmail.com
www.alaanpublishers.com

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنفه ولا يعبّر هذا المصنّف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية الأردنية: (2020/12/5164)
ردمك: ISBN 978–9957–19–078–1

محمد حمدان..
أكاديميًّا وتربويًّا

٢٠١٩/١٢/٧

محمود دويري
عبد السلام العبادي
عصمت الكردي
عدنان محمد عوض
محمد صباريني
ناصر القحطاني
منذر الشرع
منذر صلاح
خالد الكركي
عزت جرادات
محمد الحلايقة
عبد الله موسى

همام غصيب
محمد الفحام
نجمة العطيات
غازي إبراهيم رحو
مهند مبيضين
محمد السعودي
أحمد محمد حمدان
عدنان أبو عودة
معاوية إبراهيم
عبد الرحمن المصري
محمد جميل أبو الطيب
محمد أبو حمّور

سليم سعيد صبري

تقديم: مهند مبيضين

تقديم

محمد حمدان: الأخلاق العلمية والتعلم الدائم

مهند مبيضين*

يضمُّ هذا الكتاب، أعمال الندوة التكريمية لبرنامج ضيف العام في مؤسسة عبدالحميد شومان، الذي خصصّ عام ٢٠١٩ للاحتفاء بالعالم والقيادي التربوي والوزير الأسبق محمد أحمد حمدان (١٩٣٤- ٢٠٢٠)، الذي أخلص للتعليم العام والجامعي، واشتغل فيه معلمًا في دار معلمي عمان، ثم أستاذًا جامعيًّا في جامعات أردنية وعربية عديدة، وقياديًّا في عمادات مختلفة، ورئاسة أكثر من جامعة، ومستشارًا لمؤسسات علميّة، ووزيرًا للتربية والتعليم العالي، وعضوًا في مجلس الأعيان الأردني.

والأوراق التي شكّلت محتوى هذا الكتاب، هي أربع وعشرون ورقة متنوعة، في الاختصاص والمعالجة، جال أصحابها على تجربة الراحل في العمل التربوي والأكاديمي، والمسار الحكومي، والعمل في المؤسسات العالمية العلمية، مع شهادات ومزامنات في مسيرة الراحل، الذي كان أحد أبرز الوجوه العلمية في الأردن، والعالم العربي، ممن تلقوا تعليمًا عاليًا في الغرب، وأسهم في بناء المؤسسات العلمية وقيادتها.

* أستاذ التاريخ العربي الحديث، الجامعة الأردنية.

بين عامي ١٩٥٧ – ١٩٥٨، كانت تجربة التعليم في دار المعلّمين الأردنية ثرية ورائدة؛ إذْ يقدم عزت جرادات في ورقته، في هذا التكريم، وصفًا دقيقًا لعمل الراحل فيها، فقد كان أستاذًا وكشافًا ورياضيًّا متميزًا. وتدور أوراق محمود الدويري وعبدالسلام العبادي وغازي الصباريني وعبدالله الموسى وآخرين، حول مزامنته في العمل الجامعي بعد تركه دار المعلمين، وانتقاله إلى العمل في الجامعة الأردنية، أستاذًا وعميدًا حتى العام ١٩٨٦؛ إذْ تقدم بعدها ليصبح رئيس جامعة، وفي عضويته ورئاسته للمؤسسات العلمية ومجالس الأمناء؛ وفي مجلس الأعيان والوزارة في ثلاث حكومات أردنية؛ أي أنه ـ رحمه الله ـ أفنى من عمره ستة عقود ونيف في ممارسة مهنة شاقة، عنوانها التعليم، تدريسًا وبحثًا علميًّا وقيادة لمؤسساته، سواء كان ذلك في رئاسة الجامعات أو الوزارات، أو رئاسة اللجان وعضويتها.

ومحمد حمدان، من النخبة المعرفية الأردنية، التي تشكّل وعيها في زمن الوحدة الأردنية مع فلسطين، فهو ابن زمن الضفتين، جاء من عائلة تنتمي إلى الطبقة العاملة، كما يقول عدنان أبو عودة في ورقته في هذا الكتاب، لكنه كان الأول على أبناء جيله في امتحان "المترك" عام ١٩٥٢، والمتفوق على كل طلاب جامعة القاهرة، في تخصص الرياضيات البحتة عام ١٩٥٧، ومن صفوة النخبة الفلسطينية الأردنية التي بنت مؤسسات الدولة الأردنية، التي أعطت بلا توقف، وهو ما تلمح إليه ورقة أبو عودة هنا، ولم يكن له هاجس غير الإنجاز، والمضي في مهماته التي كانت توكل إليه، والتي أسهم فيها باقتدار ووفاء وانتماء.

تطرح سيرة محمد حمدان، أسئلة كثيرة، عن دور الأكاديميين والنخب العربية في بناء مؤسسات أوطانهم، وعن مدى انسجامهم مع العمل السياسي التنفيذي، كما تطرح كتابة السيرة المستعادة عنهم مشكلة التوثيق، فمثل هذه السيرة قلّما كانت توثق منجزاتها وتجاربها، وهنا يتطوع الغير، أحيانًا، بالكتابة عنها. فتكون هناك محاذير عدّة، أولها يكمن

في مدى إمكانية استعادة التجربة كاملة، ومدى الحياد في ما يكتب ويدون، وإلى أي حدٍ يمكننا أن نتتبع خيوط الزمن في سيرهم، خاصة حين نفتقد الوثائق والتوثيق والأرشيف الشخصي.

يكشف الملف الوظيفي في دار رئاسة الوزراء الأردنية، عن المناصب التي تولاها الراحل وزيرًا، وفي أي لجنة عين بها بقرار مجلس الوزراء فقط، كما يوثق لنا قيمة رواتبه التي بدأت كوزير عام ١٩٨٩ بـ ٨٠٠ دينار، وعام ١٩٩٨ بـ ١٥٠٠ دينار، وللأسف، لا نتعرف، في مثل هذه الملفات، على مواقف السياسيين إبان عملهم في الحكومات، بقدر ما تحفظ لنا سجلات الوظائف مجرد ثبت بالتعيينات والاستقالات والراتب. وآخر ما تضمنه ملفه الحكومي قرار تعيينه عام ٢٠١٧ في المجلس الأعلى للمركز الوطني لتطوير المناهج.

أمّا ملفات الجامعة الأردنية، التي بدأ بها الراحل حياته الأكاديمية، فهي الأوسع في مجمل تجاربه التي تنقل فيها بين مؤسسات علمية عدة، واستغرقت من حياته العملية العلمية نحو ثلاثة عقود، عاش فيها تجارب وخبرات شتى، وبنى فرقاً علمية، وعزز قدرات العاملين معه، كرسته خبيرًا قياديًا ذا مهارات متعددة بين أبناء جيله، الذين شكلوا جزءًا من جهاز الدولة الأردنية العريض، الذي خدم في محطات سياسية وعلمية مختلفة.

شهد حمدان حدثين طلابيين مهمين في حياته الإدارية والأكاديمية، منهما أحداث الجامعة الأردنية، حين كان عميدًا لشؤون الطلبة بين أيلول ١٩٧٨ وشباط ١٩٨٢م، وكانت المنطقة، آنذاك، والوضع الإقليمي في غاية الحرج، بعد أشهر على زيارة الرئيس المصري محمد أنور السادات القدس، وإلقاء خطاب في الكنيست الإسرائيلي، فتحرك الطلبة سياسيًّا، ودخلت قوات لواء الأمن العام الجامعة، ولاحقًا عين حمدان رئيسًا لجامعة اليرموك

بعد أحداثها الشهيرة عام ١٩٨٦، وكان عليه أن يرمم جامعة سالت دماء طلبتها في حرمها، ومات بعضهم. وللأسف فإن هاتين المحطتين غائبتان من تاريخ الراحل، وفي ما كتب عنه في هذا الكتاب، كما أنهما غائبتان من مجمل كتابة التاريخ العام للحركة الطلابية.

إنّ تكريم شخصية مثل محمد حمدان، وهو تقليد درجت مؤسسة عبدالحميد شومان عليه منذ سنوات طويلة؛ لمعاينة تجارب الصفوة العلمية في المجتمع، يطرح مسألة تقييم مسارات السلطة المعرفية، في مجتمعاتنا، وهو إدراك لقيمة الفردانية العالمية، المؤثرة والفاعلة في حياة المجتمع، ويعكس إدراك المجتمع لعبقرية الفرد، وهذا أمر يعكس مستوى تطور المجتمعات؛ لأن التكريم هو لمسار الشخصية العام وتجاربها، ولإسهامها في المجتمع أو خدمة المعرفة.

إن النخبة العلمية الأردنية، والتي تلقت تعليمًا مبكرًا في الغرب، خاصة تلك التي عادت للعمل في الجامعات، مطلع الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وجدت نفسها، ونظرًا لطبيعة الدولة الوطنية في عالمنا العربي، متورطة في الخدمة العامة، وهي في طبيعتها وأدوارها كانت بديلًا من النخبة السياسية التي تظهر في الأنظمة الأيدولوجية الطابع؛ إذ تقدمت النخبة العلمية في الإسهام في الحياة العملية. ومحمد حمدان منها، نظرًا للعنصر الاحترافي لديها، وليس لطبيعة المنظور السياسي الذي تملكه؛ أو لتماهيها مع السياسي ومحاولة إرضائه.

هذه النخبة تمتعت بقدر كبير من الحفاظ على التقاليد والقيم العلمية التي تعلمتها في الغرب، كما تتمتع بعقول احترافية موضوعية، مع مزيج من الصفات الأخلاقية المثلى، ومن أهمها نكران المصلحة الشخصية في مقابل إعلاء المصلحة العامة، ونشأت على القسوة في

نقد الأعمال الذاتية، وأعمال القرناء في مجال البحث العلمي. هذا الخلق العلمي الصارم، الذي ينفي المجاملات، يجعل الأفكار دائمة التجدد والتطور.

وفي تجربة محمد حمدان اختصار لزمن أردني خاص، تميز بعد الاستقلال الأردني عام ١٩٤٦ بصعود النخبة العلمية، بخاصة بعد العام ١٩٥٦، وبنزعة وطنية عالية أعقبت قرار تعريب الجيش العربي عام ١٩٥٦، وبدايات التفكير بإنشاء جامعة أردنية بعد ذلك العام، ولاحقًا ظهرت أول جامعة أردنية عام ١٩٦٢، وبدأت بعدها الدولة تستثمر في التعليم العالي؛ لتبدأ بعدها القفزة الأردنية في التوسع في التعليم العام والتعليم العالي، كل هذا أوجد طبقة من العلميّين والخبراء (التكنوقراط) التي أسهمت في العمل العام. وهي طبقة طافت على كثير من مناصب الدولة ومواقع القيادة العامة، وقد كان زملاء حمدان، في التجربة العلمية، إما رؤساء جامعات أو حكومات؛ وإما وزراء أو مديرين عامين أو خبراء تعليم، لكنها طبقة تراجعت في الحضور العام، في ظلّ الزمن الليبرالي، الذي صور نخب الدولة بأنها غير قادرة على التحديث وإحداث الدمقرطة، وإيجاد حلول للتحديات العامة التي يواجهها البلد.

كان الراحل محمد حمدان، شخصية رحبة، ينأى عن الصدام والفردانية، ويحب العمل ضمن الفرق دومًا، ويفضل العمل مع اللجان، من دون تمترس عند رأيه، أو انحياز لمصلحة ذاتية، بل يكثف جهوده للتوافق والابتعاد عن الاختلاف في القضايا التي كان مطلوبًا منه فيها أن يكون صاحب رأي وحجّة، وهو ما تطرحه ورقة منذر صلاح، والتي تؤكد سعيه دومًا للتوافق وإحداث التغيير، عبر بناء المؤسسات العلمية الخاصة والمشاركة فيها.

تطرح سيرة محمد حمدان، الممتدة بين عامي ١٩٣٤ -٢٠١٩، طبيعة تشكل الجماعة

العلمية في بلد مثل الأردن، وهو مثال على مختلف البلدان النامية، التي كانت تطرح التنمية بديلًا من الديمقراطية والحريات، وهو بلد تمتع باستقرار سياسي نسبي طيلة مائة عام، ونخبته تشير مسيرتها التاريخية إلى أنها تشكلت على أسس أخلاقية، وأخرى معرفية، وفق منظومة قيمية من أربعة أركان، تضبط حراك النخبة العلمية وعلاقاتها، وهذه القيم تتشارك النخبة في حمايتها والحفاظ عليها، من خلال مجموعة من الحوافز، كالترقيات، والحفاظ على الملكية الفكرية، والبعد عن إغواء السلطة السياسية وإكراهاتها وتقلباتها، وتقبل الحِجاج والنقد، والصرامة ضد عمليات الانتحال، وتتبع عمليات البحوث العلمية، ومن هذه القيم: الشمولية، التي لا تضع اعتبارًا للاختلافات العرقية والدينية والجنسية في العملية البحثية، وذلك بإعطاء الأولوية للمعرفة، وهذه القيمة قد تزهو وتختفي بحسب الظروف، ولا شك أنها في الجامعات الأردنية، اليوم، أقل حضورًا، وهي مؤسسات فيها الكثير من العصبية والجهويات القاتلة.

ويضاف للشمولية عدم احتكار المعرفة، حيث يتواضع الجميع على لزوم نشر العلوم والأبحاث، وعدم احتكار المعرفة، كما تضاف إلى قيمتيّ الشمولية وعدم احتكار المعرفة قيمة النزاهة العلمية، ومن ذلك عدم اتباع الطرق الملتوية للترقيات، والإصرار على خلق الفرق العلمية واللجان الفنية، والتمترس وراء قرارات المجالس العلمية، وأخيراً الاستعداد الدائم لقبول النقد، والاستعداد للتعلم والإصغاء، من خلال الحفاظ على الشك المنهجي، وهذا الأمر متعلق بالبيئة النقدية المستمرة التي تحيط بتلك الجماعات العلمية، التي انتمى إليها الراحل.

تؤكد الأوراق المنشورة في أعمال الندوة التكريمية لمحمد حمدان كضيف للعام ٢٠١٩،

تلك الصفات العامة للجماعة العلمية في الأردن، وهي جماعة أسّست المؤسسات العلمية ونهضت بها. ويمكن القول إنها جماعة تغيرت اليوم وتخلت عن كثير من صفاتها، بسبب اقتحامها من قبل مجموعات لم تخضع للتكوين العلمي السليم، ولا للتدريب البحثي الصارم، ولا للانخراط في البحث العلمي بشكل جديّ، الذي يهذب النفس ويعزز نكران الذات، ويتيح للمرء رؤية عيوبه دومًا، وتصحيحها.

فحين نقرأ تجربة الراحل محمد حمدان في الجامعات التي عمل فيها (الأردنية واليرموك والهاشمية)، نرى أن هناك انحيازًا كاملًا لأخلاقيات السلطة المعرفية والصفوة العلمية، وهناك نأي شديد عن المناكفة السياسية أو المعارضة والصدام مع السلطة السياسية والإدارية العليا، أيًّا كانت طبيعة علاقته بها، من حيث موقعه الوظيفي، سواء كان عميدًا، أو رئيس جامعة، أو رئيس مجلس أمناء لجامعة، أو وزيرًا، أو عضوًا في لجنة. وهناك ما يؤكد أنه- رحمه الله- كان وفيًّا للأصدقاء حتى وإن اختلفوا معه، وهو خلاف نجده يعود للتأكد من بيان أسبابه العلمية حتى ولو بعد أمد، كما تؤكد ورقة منذر صلاح في هذا الكتاب.

لقد أتيح للدكتور محمد حمدان، وبحسب مجمل الأوراق والشهادات التي قدمت في هذا الكتاب، أن يسهم في العمل العام الأردني والعربي، من خلال بوابة التعليم العالي، بشكل رئيس، وهو إسهام تنموي كبير، قاد الدولة والمجتمع الأردني إلى مسارات التقدم والحصانة من الأمية والجهل، لكن على المستوى الشخصي، وحيث تؤكد ذلك الشهادات التي تضمنها هذا الكتاب، كان غير منزوٍ في مكتبه، بل منتميًا لمجتمعه العلمي، ولأهله وللمجتمعات المحلية التي خدم فيها.

كان تخصصه في الإحصاء، يمنحه الدقة العلمية، المشفوعة بحسّ إنساني كبير، ودماثة

في التعامل، وحب للحياة، التي كان يختبر فيها حضوره، كما لو أنه معادلة رياضية تحتاج إلى تثبيت أو فحص للتحقق من المتغيرات، وكان ذلك كله مشفوعًا بالكرم والسخاء والبذل، فكان تبرعه في إنشاء مدرستين في الأردن من حرّ ماله، رسالة كبيرة وإيضاحًا كافيًا عن طباعه وتكوينه الأخلاقي، الذي مازه به الأصدقاء، حديثًا وسردًا في مختلف محطات حياته، التي وثّقتها الأوراق التي قدمت في هذا الكتاب من أصدقاء وزملاء عمل وأحبة.

الجلسة الأولى

العمل التربوي والجامعي

محمـــد حمـــدان: السهـــل الممتنـــع

د . محمود دويري *

تعرفت على شخصية الدكتور محمد حمدان من زملائي الطلبة المرشحين للذهاب في بعثات للجامعة الأمريكية في بيروت، صيف عام ١٩٦٤، حيث قامت وزارة التربية والتعليم، بالتعاون مع وكالة الإنماء الأمريكية، بتنظيم دورة لمدة شهرين لنحو أربعين طالبًا من المتفوقين في التوجيهي، المرشحين للذهاب إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، وشارك في التدريس الأساتذة: الدكتور ألبرت بطرس، ومحمد حلاوة، ومحمد حمدان. ولم يدرسني شخصيًّا من المجموعة إلا الأستاذ ألبرت بطرس، الذي تميز بصداقته للطلبة، وبروحه المرحة. ويؤكد الدكتور منير نايفـة على سعادة من تعامل مع الدكتور حمدان من الطلبة، وعلـى حسـن خلقه وعلمه. وأذكـر

* خبير ومستشار زراعي في حقل الأمن الغذائي.

بهذه المناسبة، أن وزارة التربية قد نظمت يومًا تحدث فيه عدد من حديثي التخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت، خاصة عن الحياة الجامعية والاجتماعية. وأعتقد أنه كان يومًا مفيدًا للغاية.

التحقنا بالجامعة الأمريكية في أيلول عام ١٩٦٤، ولم تتح لي الفرصة لأخذ مبادئ الرياضيات مع الدكتور حمدان، لكن زميلًا لي هو الأستاذ الدكتور محمد حرب، أخذ المساق معه، فذكر أن للدكتور محمد حمدان خبرة عميقة في التعليم، وكان لطيفًا وراقيًا، وكان ذا تفهم خاص لأوضاع الطلبة الذين لم يدرسوا بالإنجليزية في المدارس الثانوية، وكان يشير للطلبة الأردنيين ويؤكد لهم أنهم سيتغلبون على هذه المشكلة، وسيكون مستواهم متميزًا، والدليل على ذلك علامتهم في نهاية الفصل.

أما الدكتور منير نايفة فكان يتأسف لعدم تمكنه من التسجيل في مساق الرياضيات مع الدكتور حمدان، لكن أتيحت له الفرصة للتفاعل معه؛ إذْ كان كريمًا في مساعدة الطلبة الأردنيين في الجامعة وتوجيههم.

لقد عرفت الدكتور حمدان عام ١٩٦٨، عندما كنت أحد طلابه في مساق الإحصاء الزراعي، المقرر لطلبة الدراسات العليا في كلية الزراعة في الجامعة الأمريكية في بيروت، وكنت حينئذ قد تخرجت من الجامعة نفسها في تخصص التربة والري، وقبلت في حزيران ١٩٦٨ في برنامج الماجستير، في تخصص الإنتاج النباتي. ولقد كان وقت تدريس المساق في الفصل الصيفي. وعلى الرغم من الحرارة والرطوبة العاليتين في بيروت، لكن أسلوب الدكتور حمدان الرائع والممتع سهل كثيرًا دراسة هذه المادة وحبّبها للطلبة.

وما زلت أذكر اهتمام الدكتور حمدان وتركيزه على نظرية الاحتمالات، والاستعانة بأحجار الزهر المستخدمة في لعبة طاولة الزهر في التمارين، ولعلي أشير إليها بمتعة خاصة؛

لأن زملائي طلبة الزراعة كانوا على معرفة بلعبة طاولة الزهر، ويلعبونها في أثناء قضائهم بعض الفصول في مزرعة الجامعة الأمريكية في البقاع، وكانت لعبة مسلية، إضافة إلى «الطرنيب».

كما لم أزل أتذكر الآلة الحاسبة «فريدن»، والتي استخدمناها في إجراء بعض العمليات الحسابية، في مساق الإحصاء، كما استعملناها في أثناء دراسة الدكتوراة في ويسكنسن في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٠، حيث بدأ استخدام أجهزة الكمبيوتر.

وكما هو متعارف عليه، فإن الطالب يتابع أخبار أساتذته، ويحاول أن يتواصل معهم، وقد كان سروري عظيمًا عندما علمت أن الأستاذ الدكتور محمد حمدان قد التحق بجامعة اليرموك عام ١٩٧٦، وذلك لمعرفتي بقدرته، ولتطلعنا بأن تكون جامعة اليرموك برئاسة الدكتور عدنان بدران، جامعة شقيقة للجامعة الأردنية، ما يساهم بإعداد جيل متميز من الطلبة، ويرفع اسم الأردن عاليًا.

لقد عمل الدكتور حمدان في الجامعة الأردنية في مواقع عدة، منها عميد شؤون الطلبة، وكانت النشاطات الطلابية في أوجها في ذلك الوقت، كما عمل عميدًا للبحث العلمي، وكان ميسرًا وداعمًا لإجراء الأبحاث العلمية والتطبيقية، خاصة في الزراعة، ويذكره زملائي في الكلية بالخير والتقدير، وكان دائمًا يسأل عن بعض الأبحاث التي تم دعمها في أثناء فترة عمادته.

ولقد توثقت علاقتي بالدكتور حمدان عندما عينت عميدًا لكلية الزراعة في الجامعة الأردنية، في تشرين الأول عام ١٩٨٤، وكان الدكتور حمدان عميدًا لكلية العلوم حتى تموز عام ١٩٨٦، فكان معينًا ومرشدًا عند مشورته، وتعلمت منه الكثير، سواء في مجلس العمداء أو في أثناء لقائنا الأسبوعي كعمداء للكليات العلمية مع رئيس الجامعة، وكان آنذاك دولة الدكتور عبد السلام المجالي، القدوة في العمل والخدمة.

كان الدكتور حمدان، دائمًا، منطلقًا، ومتطلعًا للمساعدة، من دون رغبة في الهيمنة. وأستطيع القول إنه كان النموذج للإداري المعين والناصح، وعلى استعداد للعمل ليل نهار بأسلوب يرضى عنه الرئيس والزميل والمرؤوس.

وكان حريصًا على تلبية كل ما يطلب منه. ومن الطبيعي أن أقول إن دولة عبد السلام المجالي كان القدوة، والدكتور حمدان مساندًا وداعمًا، ولا أذكر إلا أنه كان دائمًا إيجابيًّا، وهذه من صفاته.

وعلى الرغم من مغادرة الدكتور حمدان الجامعة الأردنية صيف عام ١٩٨٦ إلى جامعة اليرموك، بعد صدور الإرادة الملكية بتعيينه رئيسًا لها، فقد استمرت علاقة الصداقة والأخوة، وما زالت على المستوى الشخصي والعائلي قائمة، حيث نلتقي مع بعض الأصدقاء في المناسبات الاجتماعية والعائلية، خلال فترات وجودنا في الأردن أو تبادل الزيارات في الإجازات، والجميع يحترمه ويقدره.

في عام ٢٠١١ صدرت الإرادة الملكية بتعيين معالي الدكتور حمدان رئيسًا لمجلس أمناء جامعة آل البيت، وكنت عضوًا في المجلس. كما صدرت إرادة ملكية عام ٢٠١٥ بتشكيل مجلس الأمناء برئاسة الدكتور حمدان، وتشرفت أن أكون نائبًا لرئيس المجلس حتى حزيران عام ٢٠١٨. ولقد عمل خلال هذه الفترة ثلاثة من الأساتذة كرؤساء للجامعة. وأود بهذه المناسبة أن أوضح ما يلي:

١. إن خبرة الدكتور محمد حمدان العالمية في التعليم العالي، وخبرته كوزير تعليم عال سابق، وكرئيس جامعة سابق، وإنسان ملتزم بالأنظمة والقوانين، مكّن الجامعة من القيام بأداء رسالتها، ضمن الإمكانات المادية المتاحة. كما كانت هناك لقاءات مع المواطنين في محيط الجامعة؛ للتفاعل معهم وشرح اهتمام الجامعة بتوفير أعضاء هيئة تدريسية قادرة على

إحداث التغييرات الإيجابية. وقد شاركنا مع معالي الدكتور حمدان في جلسات اجتماعية وغير رسمية مع المواطنين خارج الحرم الجامعي، أو مع أعضاء الهيئة التدريسية، وشرحنا أن كل من يحمل الدكتوراه ليس من الضروري أن يكون عضو هيئة التدريس المطلوب، وأن خدمة الجامعة تكون بتعيين الأعضاء المؤهلين لخدمة المحيط الجامعي، ولإعداد خريجين مؤهلين، وهو ما يرفع من اسم الجامعة مقارنة مع قريناتها.

٢. كان الدكتور حمدان حريصًا على التعليم العالي في الأردن بشكل عام، وعلى جامعة آل البيت بشكل خاص، وكان قدوة لجميع أعضاء مجلس الأمناء؛ لنكون أسرة واحدة، هدفها خدمة جامعة آل البيت. وقام المجلس بعمله بانسجام كبير. وكانت لخبرة الدكتور حمدان في التشاور مع أعضاء المجلس أثرها في تجنيب الجامعة أي مشكلات تذكر.

٣. تم استحداث عدد من البرامج والمنشآت الجامعية، وأصبحت الجامعة طامحة لإحراز التقدم.

٤. نهلنا من علمه الغزير الشيء الكثير ونحن على مقاعد الدراسة، وفي المجالس واللجان، فقد عهدناه صاحب رأي ثاقب، ولديه القدرة الفائقة على التحليل واستقراء المستقبل، من خلال المواقع التي تبوأها.

لقد أردت أن أعبر عما أعتقد أنه يمثل شعور جميع العاملين في الجامعة، باقتباس بعض الجمل التي قام بكتابتها أخ يعتز بالجامعة ودورها، ومطلع على ما يقوم به الذين وُكّلوا بأمرها، وهو أمين سر مجلس الأمناء حسين بني حمد، الذي صاحبنا في رحلة مسيرة الجامعة خلال الفترة من ٢٠١١-٢٠١٨:

«تتسابق الكلمات والحروف للتعبير عن امتناننا لكل من كان له أثرٌ في حياتنا، فمهما حاولنا أن نوفيهم حقهم ومكانتهم في قلوبنا، فلن نوفيهم كل ما يدور في داخلنا من محبةٍ

وتقديرٍ وإجلالٍ، فقد عرفت معالي الأستاذ الدكتور محمد حمدان حق المعرفة، من خلال ترؤس مجلس أمناء جامعة آل البيت مدة ثمان سنوات، فكان له الدور الكبير في رفع مسيرة جامعة آل البيت، فقد بذل ولم ينتظر العطاء، فكان صاحب التميز والأفكار، وأبدع بكل معاني الإبداع، وتميز بعلمه وسلوكه وتعامله، فهو صاحب قلب طيب، وصاحب ابتسامة، ملم بسائر العلوم، عالم كرّس حياته لخدمة العلم، تعلمنا منه أن المستحيل يتحقق بالعلم والإصرار، فقد عهدناه صاحب رأي ثاقب، ولديه القدرة الفائقة على التحليل واستقراء المستقبل من خلال الواقع.

رغم التزاماته الكثيرة، إلا أنه كان يتابع أمور الجامعة بشكل حثيث، ويبادر بالاتصال من خارج الأردن ليطمئن على سير العمل في الجامعة، ويحترم مواعيد الاجتماعات ورأي الآخرين، فله كل المحبة والاحترام».

وللدكتور حمدان مركز علمي متقدم، وشبكة من المعارف والأصدقاء، وهو يقتنص الفرص كي يستفيد منها الأردنيون، وذلك عن طريق الاتصال بزملاء وتعميم المعلومة. وأذكر، على سبيل المثال، اهتمامه بانتخاب أعضاء أردنيين في أكاديمية العالم الثالث للعلوم، وفي جميع المؤسسات العربية والدولية، وكذلك اهتمامه بأن يحث من يجد بنفسه المقدرة أن يتابع الأمر من دون كلل. كما كان لعضويته في اللجنة الدولية للأخلاق الحيوية، التابعة لمنظمة اليونسكو، التأثير الكبير على العاملين في هذا المجال.

إن الدكتور حمدان قدوة في تعامله مع زملائه ومرؤوسيه، وهو قادر على التعامل بحكمة وروية مع مناقشيه، وقد شهدت عددًا من المناقشات الحادة مع أصدقاء وزملاء، وكان أبو أحمد يظهر قدرًا عاليًا من الصبر والحكمة والاحترام، ودرجة عالية من التحمل.

وفي الختام أدعو الله أن يجزي الله أستاذنا الكبير الدكتور محمد أحمد حمدان خير الجزاء لقاء ما بذله من جهود خيّرة لرفعة التعليم في بلدنا.

تجربتـــي مـــع الدكتور محمـــد حمدان

د . عبد السلام العبادي *

هذه صفحات أسجل فيها ملاحظاتي وانطباعاتي عن الفترة التي عملت فيها مع الأستاذ الدكتور محمد حمدان، عندما كان عميدًا لشؤون الطلبة، حيث خدم في العمادة من أيلول سنة ١٩٧٨م إلى شباط سنة ١٩٨٢م، وكنت، وأنا مدرس في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية في قسم الفقه والتشريع، قد عملت مساعدًا له أكثر من أربع سنوات، إلى حين نقله للعمل عميدًا للبحث العلمي وأستاذًا للرياضيات في كلية العلوم، في آذار سنة ١٩٨٢م، وظل في هذا العمل حتى شباط سنة ١٩٨٤م. وعندما ترك العمادة استلمت شؤون الطلبة وعينت عميدًا لشؤون الطلبة بالوكالة عندما استلم دولة الدكتور عبد السلام المجالي رئاسته الثانية للجامعة الأردنية،

* وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية سابقًا.

التي استمرت من ١٩٨٠م – ١٩٨٩م، حتى تم تعييني أمينًا عامًّا لوزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية سنة ١٩٨٣م.

والواقع، أن فترة عملي مع معاليه هي من الفترات التي أعتز بها أيّما اعتزاز، وقد أعجبت به أيّما إعجاب، حيث كان مثالًا في الخلق والطيبة، وذلك بطريقته المتميزة في إدارة شؤون الطلبة في الجامعة الأردنية.

ومما أبيّنه هنا، في هذا المجال، أنه قبل تولي معاليه عمادة شؤون الطلبة، عندما كنت أعمل مساعدًا وأدير عمادة شؤون الطلبة في الجامعة الأردنية، أذكر أن معالي رئيس الجامعة الذي عين رئيسًا لها، الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، في الفترة من ١٩٧٨م – ١٩٨٠م، أعلن أنه حريص على احترام النصوص الجامعية في اختيار جميع مراكز العمداء في الجامعة الأردنية من حملة الدكتوراه، وقد نالوا درجة الأستاذية في الجامعة، فاستدعاني إلى لقائه، وقال لي: «تعلمون أنني حريص على أن يتولى العمادات في الجامعة من يحملون درجة الأستاذية»، وأضاف: «يا دكتور عبادي أنا مرتاح للغاية لدورك في عمادة شؤون الطلبة، وحرصك على إدارتها إدارة فاعلة؛ لذا فإني أرغب بتحويلها إلى مديرية عامة لشؤون الطلاب، وإبقائك مسؤولًا فيها، وذلك بتعيينكم في هذه المديرية مديرًا عامًّا لها»، فبينت له رفضي هذا العرض الكريم، موضحًا ضرورة أن تظل عمادة شؤون الطلبة في الجامعة على حالها، كما أوضحت ضرورة العمل على البحث عن عميد متميز لها، وبأنني سأبحث عن الشخص المناسب وأبلغه بذلك، وقلت إن قيامي بأمر العمادة ليس أمرًا مهمًّا؛ لأن الأصل في عملي في الجامعة هو الفقه والتشريع، اللذان أعمل فيهما في كليه الشريعة في الجامعة، وهناك قسم مستقل لهما هو قسم الفقه والتشريع.

وبعد مدة، علمت باختياره الدكتور محمد حمدان عميدًا لشؤون الطلبة، وحدثني

بذلك معالي الدكتور ناصر الدين الأسد، فقلت له إني، وإن كنت على غير صلة به، لكن مسموعاته جيدة. وقام الدكتور ناصر الدين الأسد بإصدار قراره بتعيينه عميدًا لشؤون الطلبة، وشرحت للدكتور حمدان واقع عمادة شؤون الطلبة، وأشرت بأنني أرغب في العودة إلى عملي في الكلية، لكنه أصر على أن أظل في منصب مساعد لعميد شؤون الطلبة. والواقع أنه كان يستشيرني في كل أمور العمادة، إن كان ذلك في ما يتعلق بالخدمات الطلابية وشؤون المنازل، أو بما يتصل بالنشاط الاجتماعي والثقافي في الجامعة، بل حتى في ما يتعلق بالنشاط الرياضي.

وكان يستمر في عقد اللقاءات المتميزة بين العميد ومساعده، وسائر أفراد الفريق الذي يعمل في عمادة شؤون الطلبة.

وهناك مدير لكل فعالية من هذه الفعاليات، فكان الأستاذ عبد الحميد الصباغ، مديرًا للخدمات الطلابية، والأستاذ بسام هارون، مديرًا للنشاط الرياضي، والأستاذ عصمت الكردي، مديرًا للنشاط الاجتماعي والثقافي، وكانت شؤون المنازل الداخلية تابعة لمدير الخدمات الطلابية، والمنازل الداخلية مقتصرة على الطالبات دون الطلاب، وقد كررت الزيارة للمنازل وتعرفت على عدد من المشرفات الداخليات، واستمعنا إلى ملاحظاتهن، وعندما عين الأستاذ الدكتور محمد حمدان عميدًا لشؤون الطلبة، وضعته في صورة ذلك، وكانت العلاقة مع معاليه أساسها الثقة والرغبة في الخدمة المتميزة.

وكنت، باستمرار، أقوم بجولات في الحرم الجامعي، فإذا لاحظت أمرًا يستوقفني، لا أتردد بإبلاغ الحرس عن الأشخاص الغرباء الذين يأتون للجامعة، فألتقيهم وأنبههم إلى ضرورة عدم العودة، وأعلم الأستاذ الدكتور بما يحدث معي، فيبدي كل تقدير وتفهم.

وكان يطلب مني الرأي في كل الأمور التي تعرض على العمادة، وقد تعاونا أيّما تعاون

في أمور شؤون الطلبة، وأذكر أنه عندما كانت تحدث أمور ويجتمع الطلبة بخصوصها، كان يدعوني لمقابلة الطلبة ومناقشتهم، بخاصة أنني كنت أدرس في الجامعة مادة من مواد المتطلبات الاختيارية، وهي مادة «نظام الإسلام»، التي حرصت فيها على مناقشة الإلحاد، وقررت عليهم كتابي «الإيمان بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية ـ دراسة في أسس نظام الإسلام وخصائصه»، وقد مكنني ذلك من إقامة علاقات مع العديد من طلبة الجامعة في الكليات العلمية والأدبية، وفي ذلك الوقت، لم أشعر، في أي لحظة من اللحظات، باستبعادي من أي عمل أو نشاط تقوم به العمادة.

وقد عينت أيام الدكتور إسحاق الفرحان الذي رأس الجامعة الأردنية من ١٩٧٦م -١٩٧٨م، عضوًا في مجلس إدارة صندوق الإسكان التابع للجامعة، وأذكر أننا اخترنا الأستاذ الدكتور صدقي خضر رئيسًا لمجلس الإدارة، وفي أحد اجتماعاتنا، قررنا مكاتبة مجموعة من الدول العربية؛ لمساعدتنا في موضوع الإسكان، حيث كنا ورثنا من إدارة سابقة الاتفاق مع شركة شيّدت في أرض الإسكان عددًا من البنايات لأعضاء هيئة التدريس، ولم يكتمل بعض البنايات، وحدث خلاف مع الشركة، وترتبت على ذلك ديون ومشكلات، وطلبنا قرضًا بلا فوائد أو أي مساعدة ممكنة، وقام العراق، وبناء على توجيهات من رئيسه، بمساعدتنا بمبلغ ثلاثة ملايين دينار منحة، وقيل لنا إن إسكان أعضاء هيئة التدريس في الجامعة يشبه بناء جامعة، وأذكر أننا اتخذنا قرارًا بأن تكون هذه المساعدة المجزية وقفًا يأخذ منه أعضاء هيئة التدريس والموظفون قروضًا غير ربوية، ويدفعون فقط مبلغ ٥٠٠ دينار أجورًا إدارية، مهما كانت قيمة القروض. وعندما سددنا عن السابقين من أعضاء هيئة التدريس، لم نقرر الفوائد عن المدد السابقة، على أساس أنهم رضوا بها، وهو ما أوجد حساسية لديهم، وطالبوا بأن تكون القروض الجديدة ربوية، وطلب مني، بعد تعييني عميدًا

لشؤون الطلبة بالوكالة، أن أغيب عن اجتماع مجلس العمداء الذي سيقرر عودة الفوائد، لكني أصررت على الحضور، وقلت لمعالي رئيس الجامعة في ذلك الوقت كلامًا شديدًا أدى إلى فض الاجتماع وخروجه من الجلسة منفعلًا؛ لأنني دافعت عن قرار القروض غير الربوية. وبعد مدة، في أثناء تجوالي في الجامعة، التقيت الرئيس وقلت له كلامًا أدى إلى أن يصارحني أن الذي ضايقه بأن كل الأموال المقترضة، بصرف النظر عن قيمتها، تترتب عليها ٥٠٠ دينار، فشرحت له بأننا سنعيد النظر فيها، بحيث تختلف المبالغ المرصودة للإدارة مع اختلاف قيمة القروض المعطاة، ثم أجرينا تقسيمًا للقروض تتغير فيه المبالغ المدفوعة بتغير قيمتها ومدة الفترة المعطاة لها، وكنا نجعل المبلغ المدفوع للإدارة يزيد بزيادة المبلغ المعطى نظير ذلك، لكن سمحنا في القرار بتحول الشخص من شريحة إلى شريحة، وبذلك يكون التغير فيها تبعًا للمدة، وأعجب معالي الرئيس بهذا الإجراء وطرحه على مجلس العمداء الذي قرر اعتماده.

ومن الأمور التي أعجب بها الدكتور حمدان هذه المشاركات التي تمت في الجامعة، بالإضافة إلى أنني شاركت في لجنة لبحث الضمان الاجتماعي للعاملين في الجامعة، علاوة على أمور كثيرة، وكانت مشاركتي في مجالس الجامعة محل تقدير وإعجاب شديدين من قبله، وبخاصة مشاركتي في مجلس الجامعة.

وكنت أبادر إلى طرح الأمور التي تتعلق بالنشاط الطلابي، وأذكر أنه نظمت رحلة جامعية في ذلك الوقت إلى إسبانيا والمغرب، وقد كان الدكتور حمدان المشرف العام وأنا مساعدًا له.

وقد أتاحت لي الرحلة التي نظمتها عمادة شؤون الطلبة الفرصة لتوثيق العلاقة بالدكتور حمدان، وقد حرصنا على موضوع الإشراف الدقيق على الطلاب، ذكورًا وإناثًا، وكذلك

في اختيار الطعام الحلال لطلابنا في إسبانيا، وعلى شرح كل ما أعرفه عن الأندلس، وما قدمته الحضارة الإسلامية لأوروبا، مستخدمًا كل ما أعرفه عن آثار الحضارة الإسلامية التي زرناها، مثل مساجد قرطبة وغرناطة وإشبيلية وغيرها. وأذكر المشكلة التي تعرضنا لها عندما لم نكن نحمل تأشيرة دخول مرة ثانية إلى إسبانيا التي كان سفرنا منها إلى عمان عبر مطار إشبيلية، وكيف قام الدكتور حمدان بالاتصال بمعالي وزير الشباب المغربي؛ ليقوم بدوره بالاتصال بالسفير الإسباني؛ ليوعز للقنصل الإسباني في طنجة بأن يمنحنا هذه التأشيرة. وقد كان ذلك اليوم عطلة في القنصلية وغيرها، ومع ذلك انتظم الدوام من أجلنا، فمنحنا هذه التأشيرة على عجل. وأذكر جيدًا كيف طلبوا صورة من كل شخص، فقمنا بالبحث عن مصور ليصور من يحتاج للصورة من أجل الحصول على التأشيرة، فتأخرنا عن الموعد المحدد لحجزنا البحري، حيث تمت معالجة الأمر، وجرت الترتيبات اللازمة، وعدنا بحمد الله في الوقت المحدد للطيران الأردني من المطار الذي كان معيّنًا للعودة إلى عمان. وأذكر جيداً أننا نظمنا جولة في المغرب شملت مدنًا أخرى، مثل فاس التي زرنا فيها جامعة القرويين المشهورة، ثم وصلنا إلى مراكش عبر أفران، التي تضم جامعة الأخوين. ولما وصلنا مراكش عدنا إلى طنجة عن طريق البحر، فزرنا الدار البيضاء والرباط، ثم إلى طنجة، ثم إلى جبل طارق، ثم دخلنا إسبانيا وطرنا إلى عمان من مطار إشبيلية.

الدكتـــــور حمـــدان عـــن كثـــب

د . عصمت الكردي *

في البداية، أود أن أتقدم بالشكر والتقدير لاختياري في هذا الحفل الكريم؛ إذْ كان لي الشرف في التعرف على أخي وصديقي معالي الأستاذ الدكتور محمد حمدان، في سبعينيات القرن الماضي، عندما كنت أعمل مديرًا للنشاطات الثقافية والاجتماعية وخدمة المجتمع، في الجامعة الأردنية، فقد عينني معاليه مديرًا لشؤون الطلبة في الجامعة.

خلال تلك الفترة، كنّا نعاني من كثرة المشكلات الطلابية، في بداية تشكيل مجالس اتحادات الطلبة، وكان معاليه باستمرار يستفسر عن آلية حل هذه المشكلات، وكان، في معظم الوقت، مسرورًا من عملنا، وداعمًا يثني على عمل الدائرة في حل المشكلات، ووضـــع البرامج التوعوية التي تسهم في صقل شخصيتهم.

* خبير في الشؤون الإدارية والأكاديمية.

تبوأ الدكتور حمدان العديد من المناصب الأكاديمية والإدارية والرياضية، وكان في جميعها ناجحًا، وعلاقته مع العاملين مميزة؛ إذْ كان متسامحًا ودودًا متعاونًا في شتى مجالات العمل، وعلى المستوى الخارجي للأنشطة الجامعية، وقد رافقت معاليه في رحلات عدة، أذكر منها زيارة وفد الجامعة إلى رودس وأثينا، ورافقنا في هذه الرحلة العديد من الطلبة.

إن الحديث عن معاليه يطول في شتى المجالات التي عرفته من خلالها، كما أود أن أنوه إلى أنه قام بمنحي مكافأة مالية لمدة سنتين متتاليتين، نتيجة جهدي ونشاطي مع الطلبة، ونظرًا لضيق الوقت، أكتفي بذلك، واثقًا أن اسم الدكتور حمدان سيظل جزءًا من مسيرة الوطن المعرفية.

محمـــــد حمـــدان مبتكـــرًا ومجـــددًا

د . عدنان محمد عوض *

بقوّة العلم تقوى شـــوكة الأمـــم

فالحكم في الدهر منسوب إلى القلم

وكيف يثبت ركن المجد في بلد

لـم يرتـفع بـيـــنها للعلم مـن علم

ما صـــور الله للأبدان أفئـــدة

إلا ليـرفع أهـــل الجـــد والفهـــم

يعد العلم ضرورة من ضروريات الحياة، كالمأكل والمشرب وغيرها من متطلبات الحياة، بل هو في تقديري عمود من أعمدة بناء الأمم وتقدمها وعلو شـأنها.

---

* خبير في مجال الإحصاء الرياضي.

فكم بنى العلم من حضارات عاشت وترعرعت، وساهم في تقدم الأمم، وقضى على التخلف والفقر والجهل، فهو يصنع مستقبلًا مشرقًا للفرد والجماعة؛ لأنه يعرّفه بما له من حقوق، وما عليه من واجبات.

ولا ننسى أن العلم هو إرث الأنبياء، والعلماء هم ورثتهم؛ لأنه على عاتقهم تقع مسؤولية تقريب المسافات البعيدة، وتهيئة الحلول للمشكلات التي تواجهها الشعوب، فالمجتمعات التي ينتشر فيها العلم هي مجتمعات مرموقة رفيعة الشأن، قال تعالى في شأنهم: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولو الألباب﴾. فهم، إذن، أصحاب العقول الكبيرة التي تنير لغيرها سبل الرشاد.

وحين نتكلم عن العلماء، فإننا نتذكر جميعًا شخصيات راقية كان ولا يزال لها شأن في حياتنا، ومن هؤلاء الأجلاء الأستاذ الدكنور محمد أحمد حمدان، الذي كان له في وطننا الأردن صولات وجولات في مجال تطوير هذا البلد المعطاء والارتقاء به. فهو أستاذ أكاديمي كبير في علوم الرياضيات والإحصاء الرياضي والاحتمالات، وهو وزير للتربية والتعليم، ووزير للتعليم العالي والبحث العلمي، ونذكر لأستأذنا الكبير محمد حمدان شرف تأسيسه الجامعة الهاشمية، حيث كانت بداية هذا الصرح العلمي الكبير على يديه بارك الله جهوده، ولم يقتصر عمله في المجال العلمي على الجامعة الهاشمية فحسب، بل تعداه إلى قيادته جامعة اليرموك وعمله الدؤوب في جامعتنا الأم (الجامعة الأردنية).

وإنه ليشرفني، في هذا المقام، أن أذكر أنني عملت مع أخينا الأستاذ الدكتور محمد حمدان في الجامعة الأردنية، في مجالي التعليم الجامعي، والبحث العلمي الذي كان رائدًا من روّاده، ومثالًا يقتدى به في هذا المجال، وقد نشرنا معًا ثلاثة أبحاث في الإحصاء الرياضي، وأسهمنا معًا في مناقشة أطروحات عدة ورسائل طلبة في الدراسات العليا، في كل من جامعتي

اليرموك والأردنية، كما عملنا معًا، وبمبادرة من اليونسكو، لإنجاز مشروع التدريس المحوسب لخمسة مقررات، في التفاضل والتكامل وطرق الإحصاء، وشاركنا في إنتاج مسرد باللغة العربية لمفاهيم ومصطلحات الإحصاء والاحتمالات.

يمكن أن نقسّم الإنتاج المنشور للأستاذ الدكتور حمدان، زمانيًّا، إلى فترتين: الأولى من ١٩٦٢ إلى ١٩٩٣ وهي فترة البحث العلمي التخصصي، والثانية ما بعد هذة الفترة، التي تقلد فيها أستاذنا المناصب في رئاسة الجامعات، والعمل الحكومي، والمؤسسات الوطنية والإقليمية والعالمية، فأصبح إنتاجه المنشور يتخذ منحى آخر أترك الحديث عنه لزملاء آخرين.

نشر الأستاذ الدكتور حمدان ٥٩ بحثًا علميًّا في الإحصاء الرياضي والاحتمالات، في الفترة من ١٩٦٢-١٩٩٣، وذلك في أثناء دراسته في جامعة سدني، وفي أثناء عمله في جامعة الرياض، والجامعة الأمريكية في بيروت، وجامعة فرجينيا، والجامعة الأمريكية في القاهرة، والجامعة الأردنية.

ولقد نشرت هذه الأبحاث العلمية التخصصية في ٢٣ دورية علمية متخصصة، مقراتها في العديد من الأماكن، منها: أمريكا، بريطانيا، أستراليا، كندا، جنوب إفريقيا، مصر، العراق، السعودية، ... الخ.

كان أستاذنا العزيز، دومًا، ولا يزال، محبًّا للعمل الجماعي، فمن ضمن أبحاثه العلمية في التخصص العلمي، نشر ٢٨ بحثًا مشتركًا، وكان عدد المشاركين معه في هذه البحوث ١٨ باحثًا في الإحصاء الرياضي ينتمون إلى جنسيات عدة.

ومن الضروري أن نستقرئ الاهتمامات البحثية للأستاذ حمدان ونسبر أغوار منهجه العلمي، ونذكر أهمية أبحاثه من الناحيتين النظرية والتطبيقية؛ لهذا نرى أنه من الضروري أن نعطي نبذة مختصرة عن علم الإحصاء.

لقد تطور علم الإحصاء وتشعب، وفق مسارات وفلسفات مختلفة فرضتها طبيعة عوامل عدة، منها: نوع البيانات المراد تحليلها، وطبيعة التطبيقات العملية في حقول المعرفة، الخ. من هنا نجد مدرسة الإحصاء التقليدي مقابل مدرسة بييز، والفارق بينهما أن المدرسة التقليدية تفترض أن معالم التوزيع الاحتمالي كميات ثابتة لكنها مجهولة، بينما مدرسة بييز تعدّ المعالم متغيرات عشوائية تخضع لتوزيع قبلي. وهناك مدرسة العينة ذات الحجم الثابت مقابل مدرسة العينة تتابعية الحجم. وهناك مدرسة الطرق المعلمية مقابل مدرسة الطرق غير المعلمية. وفي جميع هذه المدارس يتركز الاهتمام على أنواع عدة من المسائل منها: التقدير، واختبار الفرضيات والنمذجة، والتنبؤ.

ومن الجدير بالذكر أن طبيعة البيانات تؤثر على الطرق الإحصائية المقترحة، ويمكن أن تكون البيانات أحادية أو ثنائية أو متعددة، وقد تكون بيانات منفصلة (نوعية أو ترتيبية أو كمية) وقد تكون متصلة، وقد تكون سلاسل زمنية. كما يعتمد التحليل الإحصائي على طريقة المعاينة، فقد تكون عينة كاملة الحجم كما خطط لها مسبقًا، وقد تكون فيها بيانات مفقودة، وقد يتخلل عملية المعاينة نوع من البتر الزمني أو بتر في الحجم، أو إخراج متعمد لبعض عناصر المجتمع من الدراسة، وفق شروط محددة مسبقًا. وقد تكون العينة نقية، بمعنى أنها أخذت من مجتمع واحد محدد، وقد تكون مزيجًا من مجتمعين متداخلين أو أكثر. وقد تكون البيانات من نوع واحد، وقد تكون خليطًا من نوعين متباينين، وقد يتطلب تحليل البيانات تلخيصها في جداول تكرارية أو جداول التوافق، أو رسومات بيانية، أو أساليب عددية، أو استعمال برمجيات إحصائية.

إن المطلع على الأبحاث المنشورة للأستاذ حمدان، يلاحظ أن أحد الخطوط الرئيسة فيها هو تحليل جداول التوافق. وجدول التوافق هو مصفوفة مكونة من عدد من الصفوف تمثل

فئات متغير عشوائي ما، وعدد من الأعمدة تمثل فئات متغير عشوائي آخر قد يكون على علاقة بالمتغير الأول، ومدخلات الجدول تمثل تكرارات الحوادث المشتركة بين المتغيرين. وهناك ما يسمى بجدول التوافق الكامن، وذلك لوجود متغير متصل يستعمل لتحديد فئات الأسطر والأعمدة. في مثل هذه الحالة، يتركز الاهتمام على استخراج مؤشرات إحصائية حول تلك العلاقة، واختبار فرضيات متعلقة بتلك المؤشرات. ومن أهم تلك المؤشرات ما يسمى مقاييس الارتباط الكامن الرباعي، وذلك للجدول المكون من سطرين وعمودين، وعندما يزداد عدد الأعمدة أو الأسطر أو كليهما على اثنين، يعرف مقياس الارتباط الكامن المتعدد.

وبالنسبة لجداول التوافق، فقد عالج أستاذنا الدكتور حمدان مقاييس الارتباط عند وجود متغيرات عشوائية كامنة خلف كل من متغير الأسطر ومتغير الأعمدة، مقترحًا عدة أساليب تعتمد على اقترانات خسارة مناسبة لحساب مقياس الارتباط الكامن، ويمتاز هذا الأسلوب بالسهولة في حساب مقياس الارتباط؛ إذْ إن المسألة ستؤول إلى حساب القيمة الصغرى لاقتران الخسارة، بينما كانت الطرق التي طبقت من قبل باحثين آخرين، قبل هذا الاقتراح، معقدة جدًّا؛ إذْ كانت تعتمد على حساب تكامل متعدد المتغيرات، يؤول حسابه إلى معادلة تفاضلية، ويؤول حلها إلى متسلسلة معقدة سميت متسلسلة المتغيرات الكامنة.

ومن الجدير بالذكر، أن طريقة أستاذنا قد أثرت في أبحاث لاحقة لباحثين آخرين، وأدت إلى نمو المعرفة العلمية في مجال جداول التوافق الكامنة. ولتوضيح ذلك نقول إن المتغيرات الكامنة كانت تفرض على أنها تتبع التوزيع الطبيعي لكل من الأسطر والأعمدة، وبظهور أسلوب أستاذنا، تشجع الباحثون للتحرر من ذلك الفرض، فكانت الخطوة الأولى

استعمال أي توزيع متصل قد لا يكون الطبيعي لكل من الأسطر والأعمدة، ثم تشجع آخرون للتخلص من شرط أن يكون التوزيع نفسه للأسطر والأعمدة، وسمحوا أن يكون المتغيران مختلفين.

يمتاز أستاذنا بقوة الملاحظة والنقد البنّاء، والوضوح في التعبير. ونلاحظ ذلك، على سبيل المثال، من خلال بحثه الذي اقترح فيه مقياسًا للمعلومات لجدول التوافق؛ إذْ نقد مقياس بيرسون للتوافق بأن قيمته لا تصبح واحدًا عندما يكون هناك توافق تام، وقام بالتعبير عن مقياس لينفوت للمعلومات حول معامل ارتباط التوزيع الطبيعي الثنائي، بدلالة مقياس كاي تربيع (أو فاي تربيع)، معرفًا مقياسًا جديدًا، وبيّن أن المقياس الذي اقترحه يعاني من مشكلة مقياس بيرسون نفسها، لكنه يتفوق عليه؛ لأن قيمته دومًا أكبر من قيمة مقياس بيرسون؛ أي أن المقياس المقترح أقرب إلى الوحدة في حال التوافق التام. وبهذا التعبير الواضح والصريح، يكون أستاذنا قد فتح الباب أمام الباحثين لاقتراحات أخرى قد تكون أكثر قربًا إلى الوحدة أو حتى مساوية للوحدة في حال التوافق التام.

وفي السياق نفسه، نجد أستاذنا قد نشر ملحوظات علمية علق فيها على أبحاث باحثين آخرين.

لم يقتصر جهد أستاذنا على الأبحاث النظرية البحتة، من دون الإشارة إلى التطبيقات العملية، فعلى سبيل المثال، نذكر له أبحاثًا موجهة نحو التطبيق العملي، فقد اقترح نماذج احتمالية ثنائية تصلح للتطبيق في مسائل عملية، مثل حوادث السير وما ينتج عنها من إصابات، وبحث آخر له تطبيقات في الصناعة والإنشاءات، وذلك عن طريق تقدير احتمال تفوق قوة التحمل على قوة الضغط، واقترح توزيع بواسون المركب الثنائي كنموذج لتطبيقات فيزيائية وبيولوجية.

يتصف أستاذنا بأنه محب للرياضة وممارستها، وقد انعكس ذلك في بحثين له، وضع في أحدهما أنموذجًا احتماليًّا للعبة تنس الطاولة، وفي بحث آخر وضع أنموذجًا للعبة السكواش، وحسب من خلالهما احتمالية الربح ومعدل أزمنة انتهاء اللعبة.

لم تقتصر أبحاث أستاذنا على الإحصاء، بل تعدتها إلى إحدى الركائز الأساسية للإحصاء ألا وهي نظرية الاحتمالات. فنجده قد نشر عدة أبحاث تناولت العديد من المتغيرات العشوائية المنفصلة، التي تصلح أن تكون نماذج لجداول التوافق، مثل توزيعات ذات الحدين الثنائي، وثلاثي الحدود وعديد الحدود، وتوزيع بواسون الثنائي، وتوزيع بواسون الثنائي المبتور، وتوزيع بواسون المركب الثنائي، ... الخ.

كما أنه نشر أبحاثًا درس فيها خواص بعض التوزيعات المتصلة وتطبيقاتها، مثل توزيع جاما الثنائي، والتوزيع الأسي الثنائي، ومزيج متسلسة قوى توزيع جاما. كما نشر بحثًا في مجال جبر المتغيرات العشوائية، فمثلًا أوجد توزيعين لوغيريتم مجموع توزيعين كل منهما يتبع توزيع لوغريتم التوزيع الطبيعي.

وفي مجال اختبار الفرضيات، فقد تناولت أبحاثه، على سبيل المثال، اختبارات حسن المواءمة، باستعمال اختبار كاي تربيع. ولما كان هذا الاختبار يعتمد على كيفية تلخيص البيانات في جدول تكراري، فقد اقترح طرقًا لتحديد عدد الفئات في الجدول، وأطوال الفئات، وتقدير حدودها، وتوصل إلى أسلوب الاختيار الأمثل لتلك الفئات. كما اقترح أسلوبًا أملسَ للاختبار، بالاعتماد على اقتران والش. وأجرى دراسة مقارنة بين عدة اختبارات باستعمال قوة كل اختبار. ومن الجدير بالذكر أن فكرة الاختبارات الملساء تهدف إلى توسيع الفرضية البديلة إلى مجموعة من التوزيعات؛ لتكون بديلًا عن التوزيع في الفرضية المبدئية.

وفي مجال التقدير، ركز على تقدير معامل الارتباط، ومعامل بيرسون للتجانس في جداول التوافق، باستعمال أسلوب الأرجحية العظمى، وتقديرات كفؤة تقاربيًّا، وتقديرات المتسلسلات الكامنة. كما قام بتقدير معالم بعض المتغيرات المتصلة في حال وجود بيانات مفقودة، وعينات متداخلة، ونماذج مبتورة.

وأخيرًا، تجدر الإشارة إلى أن أستاذنا كان أستاذًا جامعيًّا بحق، فلم ينس الطلبة والمحاضرين؛ إذ نجده قد نشر بحثًا يتحدث فيه عن طريقة منظمة لتدريس طرق العد التي قد تلتبس على الطلبة، ونشر بحثًا آخر حول كيفية تعيين نقاط القطع في علامات الاختبارات.

هذا غيض من فيض، ومهما قلنا فلن نوفي هذا الأستاذ حقه، فهو يستحق عن جدارة أن نحتفي به ونذكر مآثره.

الجلسة الثانية

رئاسة الجامعات والكليات

محمد حمـــدان
رئيســـاً لجامعـــة اليرمـــوك

د. محمد صباريني *

مدخل:

تمثل هذه الشهادة إفادة حول إنجازات الدكتور محمد حمدان ونشاطاته واهتماماته وتطلعاته، طيلة فترة رئاسته لجامعة اليرموك (١٩٨٦-١٩٨٩)، التي جاءت بعد أحداث العام ١٩٨٦ في جامعة اليرموك، والتي ألقت بظلالها على وضع الجامعة، ونبرزه في مجموعة المجريات التالية:

١. تزامنت الأحداث مع تحويل الموقع الدائم لجامعة اليرموك إلى جامعة العلوم والتكنولوجيا (جامعة علمية تكنولوجية).

٢. الإبقاء على الموقع المؤقت لجامعة اليرموك؛ لتبقى غالبية تخصصاتها في العلوم الإنسانية.

---

* رئيس جامعة إربد الأهلية.

٣. إلغاء الفصل الصيفي للعام ١٩٨٥-١٩٨٦م لأول مرة في تاريخ الجامعة.

٤. خوف العاملين في اليرموك وقلقهم على مستقبل جامعتهم، وترقبهم لما يمكن أن يحدث.

الدكتور محمد حمدان رئيسًا للجامعة:

عين الدكتور محمد حمدان رئيسًا لجامعة اليرموك، وتنفس العاملون في الجامعة الصعداء. وقال بعضهم إن الدكتور حمدان يعرف الجامعة، حيث كان عميدًا لكلية العلوم (١٩٧٦-١٩٧٧)، بينما رأت الغالبية أن الجامعة تعرف الرئيس الجديد وكأنها اختارته؛ لأنها تدرك أنه الأكفأ لتسيير الجامعة بعد اضطرابات العام ١٩٨٦م. وبالفعل، كان رأي غالبية العاملين على حق، فقد تجاوز الدكتور حمدان أحداث ذلك العام بكل حكمة؛ إذْ أعلن بوضوح أنه تسلم إرثًا غنيًّا سيبني عليه الكثير، مطورًا ومحدثًا. ومن حكمته وحسن إدارته أنه لم يتجاوز في التشكيلات التي أجراها من شاركوا في أحداث ١٩٨٦م بصورة أو بأخرى.

وتعود بي الذاكرة إلى زمن جميل نشتاقه في كل حين؛ من خلال المحطات الآتية:

- تغمرني مشاعر السعادة والفرح أن أشارك في ندوة تكريمية لشخصية وطنية أكاديمية إدارية تشرفت بالعمل معها، وكنت أحد خياراتها في تولي بعض المواقع الإدارية، ونيل ثقتها ودعمها.
- كنت أشعر دائمًا، كما شعر كل من تعامل معه عن قرب، أنه الأب والأخ والصديق، وتعلمت منه إدارة المحبة في خلق جو راق وهادئ، توأد فيه كل الصراعات والخلافات والكراهية.

- من الصعب الحديث عن شخصية معروفة ليست جدلية، فكلنا يعلم مكانته وكفاءته العلمية وسيرته العطرة المميزة.

إدارته للجامعة:

لعل من أهم مميزات الدكتور حمدان، خلال ترؤسه جامعة اليرموك، الإشراقات الآتية:

- كان يتأنى باتخاذ القرار، ويدرس ملفات من يختارهم بعناية للعمل معه، ويتقبل الرأي الآخر، ويحتوي المخالف، وغالبًا ما تكون النتيجة التأثير وليس الإثارة.
- اتبع أسلوب الإدارة بالتجوال، قاصدًا وليس عابرًا، وهو من الأساليب التي يتقنها الكبار للحصول على المعلومة، والاطلاع على التفاصيل، وإيجاد الحل السريع لأي مشكلة من بدايتها، والقضاء على النميمة ونقل الكلام.
- وإيمانًا منه برسالة الجامعة وأهدافها السامية، رسخ الانفتاح على المجتمع المحلي لعلاقات متبادلة، وعلى شعار الجامعة «تفيد وتستفيد».
- وكان يحرص دائمًا على التواصل وتقديم النصيحة الصادقة للعاملين في الجامعة، وأذكر أن بعض العاملين طلبوا منه خدمات إضافية للسكن الجامعي، فقال لهم: «ربما أقدم الحد الأدنى من الخدمات حتى أحثكم على السعي لامتلاك سكن خاص بكم». وذكر تجربته في امتلاك أول سكن خاص به.
- كان يحثّ أساتذة التربية في الجامعة على إعداد المعلمين القادرين على تحقيق وظائف المدرسة التي لا تزال صامدة عبر العصور، وهي:
- تعليم منهاج رسمي تنبثق أهدافه من فلسفة المجتمع.

- المدرسة أداة المجتمعات لتنشئة الأبناء، في ضوء ما تطمح إليه في المجالات المعرفية والفكرية والأخلاقية والجمالية والنفسية والإنسانية.
- كانت توجيهاته لكليات الجامعة كافة إلى تبني مناهج مرنة قابلة لمواكبة المتغيرات.
- حرص على الإبقاء على علاقة خاصة مع جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، بحيث يعامل أبناء العاملين في الجامعتين المعاملة ذاتها في المدرسة النموذجية في اليرموك، والطلبة في الجامعتين.
- حرص أن تبقى الرسوم في الجامعة على حالها، وكذلك رسوم المدرسة النموذجية، والأسعار في الكفتيريا، وأجور إسكان العاملين.
- كان يخطط لاستحداث كليات علمية أخرى؛ كي لا تبقى العلوم الإنسانية هي الغالبة فيها، كما اتخذ إجراءات لإنشاء كلية التربية والفنون، التي كانت تتبع أقسامها، بما فيها قسم التربية الرياضية، كلية الآداب.
- حرص على دعم تخصصات الآثار والصحافة والإعلام والفنون وتطويرها؛ لأن تلك التخصصات لا توجد إلا في اليرموك.
- حافظ على الحقوق والامتيازات التي وفرتها الأنظمة والتعليمات للعاملين في الجامعة، من قبيل دعم التأمين الصحي المتميز، ومدة بقاء عضو هيئة التدريس أربع سنوات وليس خمس سنوات، وذلك للتقدم للترقية الأكاديمية الأعلى، واحتساب مكافأة العمل الإضافي، بما في ذلك الفصل الصيفي، على أساس الراتب الأساسي وليس على أساس أجرة الساعة المعتمدة.

الخلفية الأكاديمية وسمات الشخصية للدكتور حمدان

الخلفية الأكاديمية:

بالتأكيد، لا بد لأي رئيس ناجح أن يتمتع بالقدرة الإدارية والمرونة، والقدرة على التخطيط ورسم الاستراتيجيات، والجرأة على اتخاذ القرارات الصعبة والحاسمة، وأيضًا لا نغفل ضرورة امتلاكه سيرة ذاتية أكاديمية غنية.

وإن الحديث عن السيرة الذاتية للدكتور حمدان يحتاج إلى وقت طويل، فهي سيرة استثنائية ومتميزة يمكن أن نجملها في الآتي:

- بدأ حياته مدرسًا في كلية تدريب المعلمين في عمان، بعد حصوله على درجة البكالوريوس في الرياضيات مع مرتبة الشرف من جامعة القاهرة، وشهد له طلاب بامتلاكه حضورًا وقوة تأثير عز نظيرهما، فكان الأستاذ والمربي والقائد والقدوة، ثم تسلم بعد ذلك منصب مدير كلية المعلمين في عمان (١٩٥٧-١٩٦٤).
- بعد حصوله على درجة الدكتوراه في الإحصاء الرياضي ـ جامعة سيدني ـ عام ١٩٦٣م، انتقل للتدريس الجامعي، واستقطبته جامعات عدة (الملك سعود ـ السعودية، الجامعة الأمريكية ـ بيروت، جامعة فرجينيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية، الجامعة الأمريكية ـ القاهرة، جامعة اليرموك ـ عميداً للآداب والتربية، الجامعة الأردنية)، وتولى مناصب رفيعة ومهمة، فترأس جامعة اليرموك والجامعة الهاشمية، واستلم وزارتي التربية والتعليم والتعليم العالي، وإدارة الجامعة العربية المفتوحة، ونائب رئيس اللجنة الدولية لأخلاقيات البيولوجيا/ اليونسكو، وأمين عام المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا، ووزير التعليم العالي والبحث العلمي، ورئيس اتحاد الإحصائيين العرب، وعضو مجلس الأعيان.

- ونال عن جدارة واستحقاق أوسمة عدة، أبرزها وسام الملك عبدالله الثاني بن الحسين للتميز من الدرجة الأولى، ووسام الكوكب الأردني من الطبقة الأولى.

وله تاريخ حافل بالعطاء والتميز، ستتحدث عنه الأجيال دائمًا، فهو نموذج عز نظيره في المثابرة والاجتهاد، والوصول المنطقي إلى أعلى الهرم الإداري باستحقاق.

السمات الشخصية للدكتور حمدان:

تمتع الدكتور حمدان بسمات شخصية متداولة بين أصدقائه وزملائه. ومن تعامل معه عرف بأنه شخص عبقري، ذرب اللسان ومقنع، واثق النفس، مثابر وقادر على قبول كل وجهات نظر الآخرين، ويتمتع بالنشاط والتواصل مع الجميع، وتمثلت ثقته بنفسه بقول الإمام الشافعي: «ما جادلني عالم إلا غلبته، وما جادلني جاهل إلا غلبني».

- من طرائفه قوله يوم حضر جلسة مجلس قسم الإحصاء الذي هو عضو هيئة تدريس فيه: «اليوم رئيس الجامعة هو رئيس قسم الإحصاء»، وكان يعتز كثيرًا بالقول بعد أن غادر موقعه في الجامعة، إن رئيس اليرموك هو رئيس الرؤساء السابقين.
- كان تعامله مع زملاء سابقين يعطي الدلالة على الوفاء والخلق الكريم، وأذكر تواصله وزيارته مكتب المرحوم ـ بإذن الله ـ الزميل والأخ الدكتور إسحاق الفرحان؛ للاطمئنان عليه، واستعداده لتقديم أي خدمة يحتاجها.
- من الطريف، أيضًا، حرصه على ممارسة الرياضة في ملعب الجامعة مع الزملاء، وكان البعض منهم يلتهم الحلوى بعد الانتهاء من الرياضة، وقد سمعته يقول مبتسمًا: «لا حلوى بعد الرياضة».

- كان يوصف بالصائغ الذهبي؛ لحرصه الشديد أن تكون المراسلات والتعليمات التي تصدر بتوقيعه واضحة وموجزة وسلسلة.

اهتماماته البيئية:

- كان يهتم بحماية البيئة، وشكل من أجل ذلك لجنة خاصة كانت تعنى بتنمية الوعي البيئي داخل الجامعة وخارجها، ومن أبرز نشاطاتها إقامة معرض للنفايات شارك فيه الطلبة في جمع أعقاب السجائر، والأكواب والأكياس البلاستيكية. وكان كم النفايات الذي تم عرضه صادمًا ومفاجئًا، كما نظمت تلك اللجنة التي شرفتُ برئاستها، حملة تنظيف شواطئ العقبة، وكانت تقوم فكرة تشكيل البيئة على دعائم هي: التربية والبيئة والتنمية المستدامة، بحيث تتكامل الدعائم الثلاث مع التشريعات البيئية والإجراءات العلمية والتكنولوجية، في حماية البيئة وصيانتها، وذلك بعد أن تبنى العالم مفهوم التنمية المستدامة، والأخذ بمعادلة دقيقة بين معدلات التنمية والمحافظة على البيئة.
- وبعد أن تسلمت رئاسة الجامعة سنة ٢٠٠٤م، أطلقت أسماء الذوات الذين سبقوني في رئاسة جامعة اليرموك، على مدرجات ومبان في الجامعة؛ مدرج عدنان بدران في كلية العلوم، ومدرج علي محافظة في كلية الآداب، ومدرج مروان كمال في مبنى الكيمياء، ومدرج فايز الخصاونة الملحق بالمكتبة، واخترت اسم محمد حمدان لقاعة في مبنى الخوارزمي، الذي يؤمه الطلاب المستجدون بداية كل عام دراسي؛ لاستكمال إجراءات القبول وتقديم الامتحانات المحوسبة، وليرتبط اسم الدكتور محمد حمدان بأهم علماء الأرض في الرياضيات.

وأخيـــرًا:

هذه بعض الذكريات، وهناك الكثير الذي إن دل على شيء فإنما يدل على تميز فترة ظنها البعض ستكون عصيبة، فكانت فترة كلها إنجازات، وتركت أثرًا لا يزول، ورسخت مبادئ كانت النموذج الصالح والقدوة الحسنة؛ لذلك كان هناك التروي في اختيار خلف له لرئاسة الجامعة، بعد أن غادر موقعه لاستلام وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي، ولسان حال الجميع يقول: (ستتعب رؤساء الجامعة من بعدك يا أبا أحمد).

أشكر لكم حسن الاستماع، وهذا غيض من فيض لأستاذ قدير له مكانة خاصة، فهو الأخ الكبير، والصديق القريب إلى قلبي وعقلي.

حمـــدان والجامعــة العربية المفتوحة

ناصر القحطاني*

يطيب لي، بداية، أن أشكر مؤسسة عبد الحميد شومان والقائمين عليها لقاء إتاحتهم هذه الفرصة الثمينة؛ لأكون مشاركًا في المحفل الكبير؛ لتكريم العالم الدكتور محمد حمدان، عبر تخصيص ندوة «ضيف العام» لتناول سيرة هذه الشخصية الاستثنائية ومسيرتها.

إن هذه المبادرة عمل يذكر فيشكر؛ لأنه يعنى بصناع التاريخ، ويزرع في الأجيال ثقافة الاهتمام بالرموز، والاقتداء بإسهاماتهم الجليلة، كما أنه يلفت إلى قيمة نبيلة يجب أن نعلي من شأنها، وهي أن ننصف المثابرين الذي أضاءوا حياتنا، وأضفوا إليها وأضافوا فيها، والدكتور محمد حمدان من أولئك.

* عضو مجلس أمناء الجامعة العربية المفتوحة ـ الكويت.

فاسمحوا لي بهذه المداخلة الموجزة، التي تتضمن بعض الجوانب التي أعرفها عن الدكتور حمدان، ذلك أن هناك جوانب أخرى كثيرة، وعندما يطرح الإخوة المشاركون في هذه الندوة أوراقهم، ستكون الصور أزيد بهاء وألقًا. فالدكتور حمدان سبّاق في مجالات عديدة منذ سنوات دراسته في أمريكا، ومعروف بمبادراته، حيثما عمل، وحيثما تولى مسؤولية، سواء حين عمل أستاذًا في الجامعة الأردنية، أو وزيرًا في الحكومة، أو مستشارًا مؤتمنًا.

- بدأت معرفتي بالدكتور محمد حمدان، أساسًا، مع انطلاقة فكرة الجامعة العربية المفتوحة، التي بادر بها صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز، رحمه الله؛ إذْ كنا نبحث عن مجموعة من الخبراء العرب والأجانب، ممن لديهم خبرة في التعليم العالي؛ لإقامة ندوة في الرياض بمشاركة اليونسكو.
- تم عقد الندوة لمدة ثلاثة أيام، وحضرها ١٦ خبيرًا، وكان الدكتور محمد حمدان أحدهم. وكانت الندوة متميزة، فقد بحثنا فيها تجربة الجامعة البريطانية المفتوحة، وجامعة القدس، والجامعة البنجلادشية.
- خلال المشاركة في الندوة، اتضح لنا أن الدكتور حمدان يتميز بمجموعة من الخصال: التواضع، المعرفة، الدراية، فقد ظل يقدم الدعم لنا كأنه من الأشخاص الذين ينتمون لبرنامج الخليج العربي للتنمية «أجفند»، وليس خبيرًا قادمًا لعمل معين. كنا عندما نرصد نقطة ونبحثها، بعد عشر دقائق يكون الدكتور حمدان قد راجع المحضر، وانتهى من إعداد نتائج الجلسة بصورتها الكاملة.
- اختتمت الندوة بصدور «بيان الرياض» عن الجامعة العربية المفتوحة، وانتهينا في البيان إلى أن تأسيس جامعة عربية مفتوحة أصبح ضرورة، وذا جدوى اقتصادية

واجتماعية وثقافية. وفي ذلك الوقت، كنا نسعى إلى أن يتم اختيار شخص يتولى هذا المشروع. ومن خلال التفكير مع سمو الأمير طلال، تم ترشيح عدد من الأشخاص لسموه، وتم اختيار الدكتور محمد حمدان. ولا أذيع سرًّا عن تميز الدكتور حمدان وسرعته في الإنجاز، على الرغم من أنه لم يكن معه، في ذلك الوقت، سوى موظف واحد.

- وأذكر في ذلك الوقت، وكان أحد أيام السبت، عندما كلمني سمو الأمير من خارج المملكة، وكان الدكتور حمدان قد باشر عمله مديرًا للجامعة، ورحبنا به، وأبلغنا الأمير بذلك، فقال سموه: «اعملوا الخطة»، فجلس الدكتور حمدان على الطاولة في مكتبي، وطلب دفتر ملاحظات وقلمًا، وبدأ يكتب خطة بالتفاصيل والتوقيت، وانتهى منها خلال أقل من ثلاث أو أربع ساعات. وبذلك أصبحت لدينا خطة كاملة، وتم نسخها بسرعة، قبل أن نغادر العمل يوم السبت، وهو يوم وصول الدكتور محمد حمدان. وعلى الرغم من أنني لم أكن خبيرًا في هذه المواضيع، فإن تكامل الخطة كان واضحًا، بما فيها الجوانب المالية، وأعتقد أننا لو كنا أتينا بمجموعة خبراء لما أعددنا أفضل منها.
- لم أرسل الخطة للأمير طلال في اليوم نفسه، بل انتظرت إلى نهاية الأسبوع. ولو سأل سائل، وهو محق: لماذا لم ترسلها وقد طلب الأمير أن تتم على عجل؛ لأجبت إن سبب الانتظار هو أن إنجازًا بذلك الحجم والتفاصيل، في وقت وجيز، هو أمر يصعب تخيله، فقد يتساءل سموه كيف أعد هؤلاء الخطة في أقل من ٢٤ ساعة؛ لذلك احتفظت بها خمسة أيام. وهذا الذي أقوله الآن لم أفصح به من قبل لأحد، فلم

يكن الأمير ولا الدكتور حمدان يعلمان أنني تأخرت في إرسال الخطة خمسة أيام. تلك الخطة كانت هي التصور الذي وضع للجامعة العربية المفتوحة.

- وعندما شرعنا في تنفيذ الخطة، جاءتنا مجموعة من رجال الأعمال الذين يريدون أن يجعلوا من الجامعة ربحية، تدعمها أجفند، فبدأنا ندرسها، لكنهم رجعوا إلينا بأرقام فلكية في ذلك الوقت؛ لفتح ثلاثة فروع. وعندما أطلعت الدكتور محمد حمدان على الرقم، قال إنه كثير، فقلت له هل نستطيع ترجمة العناصر الأساسية لمشروع مثل هذا؟ فما كان من الدكتور حمدان، مع الفريق، إلا أن وضع القالب للخطة الموجودة، وقوامه أن نفتح سبعة فروع، وكان المبلغ الذي اقترح في ذلك الوقت ٣٢ مليون دولار.
- وهكذا، دخلت الجامعة العربية المفتوحة طور التنفيذ. وبدأنا التواصل مع الوزراء، وكنا في الحقيقة نرسل خطابات لهم ونقابلهم، الدكتور محمد حمدان وأنا، وتلك المرحلة كانت غير عادية بالنسبة لي، بل كبيرة، بأن تتاح لي فرصتي لأكون مع رجل مثل الأمير طلال، وهو صاحب الرؤية، وأن ألتقي بوزراء التعليم العالي ومعي أحد الخبراء والعلماء، فأن تقابل وزراء وحكومات، كان ينطوي ذلك على شيئ من الهيبة، لكن العمل مع شخصيتين مميزتين كان يدعم هذا الشاب الذي لم يكن له باع في مجال التنمية إلا سنوات قليلة.
- الحق يقال إن الدكتور حمدان، على الرغم من أنه الأكثر مني علمًا ومقامًا ومكانة، إلا أنه كان يعطيني أكثر من حقي، ويُشعر ناصر القحطاني بأنه المدير التنفيذي لأجفند، المنظمة التي تتبنى مشروع الجامعة ـ وله تصوره ورأيه. والحقيقة أن تواضعه جم، علمًا أن تواضع العلماء والخبراء ليس سهلًا.

- قابلنا ١٧ وزيرًا، وتمت مراحل الجامعة، وانتقلنا إلى النقطة المحورية، عندما اجتمع وزراء التعليم العالي العرب عام ٢٠٠٠م، وكونوا لجنة مصغرة من وزير التعليم السعودي الدكتور عبد الله العنقري، ومدير المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة الألكسو، ووزير التعليم المغربي؛ لترشيح الدولة التي ستستضيف مقر الجامعة، وفي مرحلة أخرى طلبنا إعادة الترشيح؛ لأن مصر والأردن والبحرين ولبنان أرادت استضافة المقر. وبتوصيات من اللجنة، كانت الكويت قد دخلت والبحرين انسحبت، واستمرت المنافسة والتحليل المنطقي والموضوعي لكل عناصر الترشيح.
- الخطوة التالية، عندما خصصنا لإطلاق الجامعة ٢ أو ٣ ملايين دولار، فقد عكف الدكتور حمدان ثلاثة أشهر كاملة على خطة الإطلاق، ولم ننفق من هذه المبالغ إلا ٢٠٠ ألف دولار، وأصبحت لدينا مناهج الجامعة البريطانية المفتوحة، وتمت مراجعتها بالكامل، ثم بدأنا بتعيين الموظفين الأساسيين، وانتقلنا لاستئجار المباني، في الكويت، والأردن، ولبنان، والسعودية، ومصر. وخلال سنتين أصبحت لدينا سبعة فروع مفتوحة، بأطقمها من هيئات التدريس والموظفين. وفي ذلك الوقت تم تعيين مدير جديد، نظرًا لظروف الدكتور محمد حمدان، الذي كان لا بد أن يعود للأردن بعد اختياره وزيرًا في الحكومة هناك.
- إن ما يميز الدكتور محمد حمدان هو أنه لم يتوقف عند موضوع التعليم، فقد كانت لدينا مشاريع أخرى نعمل عليها، خصوصًا أنني عندما انضممت إلى العمل مع الأمير طلال، ركزنا في خطتنا على ثلاثة مشاريع مهمة: الجامعة العربية المفتوحة، وبنوك الفقراء، والحضانات ورياض الأطفال، ومن الطبيعي أنه كان يركز على التعليم وحضانات رياض الأطفال كونه تربويًّا، لكنه ذو باع طويل في قضايا تنموية

عديدة، وحينها كان التمويل الأصغر لا يزال جديدًا، ولم نؤسس بنوك أجفند، التي يبلغ عددها الآن ٩، وأظهر الدكتور حمدان قدرات فائقة في العمل في هذا المجال، ولذلك أقول بأنه، أيضًا، خبير في بنوك الفقراء، وكنا نتحاور دائمًا في كل المواضيع التنموية التي تخدمها تلك البنوك، كالتعليم الآمن، وكيف أنها تعلم الأطفال ميزة الادخار. وكل هذه مواضيع يتحدث عنها الدكتور محمد حمدان حديث المتخصص العارف. أما أهداف التنمية فكانت واضحة في ذهنه، وكنا نراجعها بطريقة أو بأخرى، بشكل مستمر، وننظر كيف نجري إسقاطات لتسهم مشاريعنا في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

- إذا قيل لي كيف تصف الدكتور محمد حمدان، فأعتقد أن العبارة الملائمة التي يمكن أن تنصف هذا الرجل الفذ بأنه: متميز، متواضع، يملك عقل الخبير، وقلب نبي. هذه بعض مقومات شخصية الدكتور حمدان. وهو خبير؛ إذ حينما تطرح موضوعًا يناقشك فيه بتعمق، وهو مطبوع على العطف والحنان حتى مع من يخالفه، ولا يقف منه موقف العداء، وهو إنساني، يجعل الموضوع سهلًا، ويجذبك ويبهرك بعرضه السلس. فمثلًا موضوع التعليم المفتوح، الذي تبناه الأمير طلال، لم يكن سهلًا، بل كان هناك معارضون كثر، لكن الدكتور حمدان تعامل معهم بمرونة واستوعبهم.
- على الرغم من أنني كنت محظوظًا بالعمل مع الأمير طلال، لكن الله منحني، أيضًا، فرصة القرب من الدكتور محمد حمدان، الذي لم يكن مجرد عضو في الفريق الذي أسس الجامعة العربية المفتوحة، بل كان يقود ويؤثر ويبدع من داخل الفريق، وقد نفذنا مشروع الجامعة بكل مراحله، ولم نصرف المبلغ المقترح ٣٢ مليون دولار، بل ٢٧ مليونًا فقط.

- خرّجت الجامعة العربية المفتوحة أزيد من خمسين ألف طالب، ويتجاوز عدد الملتحقين ثلاثين ألف طالب وطالبة، والأعداد في تزايد. والآن باتت الجامعة البريطانية المفتوحة تطلب من أجفند أن تتوسع في موضوع التعليم الإلكتروني، ولو لم تكن أجفند والجامعة العربية المفتوحة لديهما من ينظر إلى المشروعات التنموية برؤية الأمير طلال، ولو لم يكن لديهما خبراء مثل الدكتور محمد حمدان، الذين وضعوا هذه اللبنات في موضوع التعليم؛ لما كان لهذا المشروع العربي أن يكون بهذه القوه والتكامل، فجزى الله الدكتور محمد حمدان عن وطنه وأمته خير الجزاء.

محمـــد حمـــــدان رئيســـــًا ورفيقـــًا

د . منذر الشرع *

كدأبها، تحتفي مؤسسة عبد الحميد شومان ومنتداها الثقافي، بأعلام الفكر والعلم والثقافة من الأردنيين، الذين نقشوا بصماتهم الفكرية والعلمية والثقافية على مؤسسات الوطن، والعاملين فيها، والمتلقين لخدماتها.

ويسعدني هنا، أن أعبر عن غبطتي وسعادتي باختياري ضمن كوكبة المتحدثين بحق المحتفى به لسنة ٢٠١٩، معالي الأخ الأستاذ الدكتور محمد أحمد حمدان غنيمة.

كانت بداية معرفتي بالأخ أبي أحمد، وهي الكنية الأثيرة إلى قلبه، والتي كانت تختزل المسافات بينه والعاملين بمعيته في جامعة اليرموك، وتلك حكاية.

---

* خبير اقتصادي واجتماعي ووزير أردني سابق.

فقد شارك معاليه في البدايات التأسيسية لجامعة اليرموك، عميدًا لكلية الآداب والعلوم في العام الجامعي ١٩٧٦-١٩٧٧، وبطبيعة الحال، لم أكن قد تشرفت بمعرفته في تلك الفترة؛ إذ كنت أتابع دراستي لدرجة الماجستير في بريطانيا. ولا شك أنه حاز شرف التأسيس لصرح أكاديمي نفخر به جميعنا، كما اكتسب خبرات تأسيسية مهمة لا بد أعانته في رحلة تأسيس الجامعة الهاشمية في مقبل الأيام.

بعد تلك السنة في رحاب اليرموك، شد رحاله إلى الجامعة الأمريكية في القاهرة، أستاذًا زائرًا في الرياضيات، في السنة الجامعية ١٩٧٧-١٩٧٨؛ ليفيء بعدها إلى أم الجامعات، الجامعة الأردنية، ويمضي فيها عشرية امتدت بين عامي ١٩٧٧-١٩٨٦ تسنم خلالها عمادة كل من شؤون الطلبة، والبحث العلمي، وكلية العلوم.

هذه الخبرات الأكاديمية التي تراكمت لدى أستاذنا، إضافة إلى ما يتمتع به على الصعيد الشخصي من الأمانة، والنقاء، والصدق، والشرف، ودماثة الخلق، لا شك في أنها قد رجحت قرار تعيينه رئيسًا لجامعة اليرموك صيف العام ١٩٨٦.

ولذلك الصيف، حكاية فرعية ... مؤلمة ...

وأشير هنا إلى الأحداث التي بدأت في ربيع ذلك العام، وتسارعت في صيفه، وانتهت على نحو مأساوي، لا تزال ارتداداته تسكن وجداننا، وتصيبنا بغصة كلما أمعنت الذاكرة بالعودة إليها. فقد كانت الجامعة تستعد للاحتفال بعشريتها الأولى. وللحقيقة، أقول هنا، وأنا شاهد على العصر، إنني شاركت في لجنة للمساعي الحميدة لتقريب وجهات النظر بين ممثلي الطلبة المحتجين وبين إدارة الجامعة، برئاسة أستاذنا دولة الدكتور عدنان بدران، وذهبت محاولاتنا سُدىً، وتفاقمت الأحداث على النحو المأساوي الذي لا بد نتذكره بألم

وحرقة شديدين. وتقدم الدكتور بدران إثر ذلك باستقالته. وللتاريخ، فإن الدكتور بدران تعرض لظلم شديد، ولم تكن الأمور تجري كما تناقلتها وسائل الإعلام حينئذ، ولا أزال أحتفظ بوثائق تفند الانطباع الذي شاع.

أتوقف عن البوح هنا ...

وأعود إلى الحكاية ...

بذل الدكتور حمدان جهودًا طيبة لمسح الحزن عن وجه الجامعة، التي سرعان ما عادت إلى سابق عهدها، خلية نحل أكاديمية بقيادته الحكيمة المتوازنة، محقًا للحق، ومناصرًا للضعيف، ومشجعًا للباحثين، وملتزمًا التزامًا صارمًا بالقوانين والأنظمة، والتعليمات الناظمة للعمل الأكاديمي.

وقبل أن يكمل فترته الرئاسية بقليل، خسرته جامعة اليرموك، وكسبته وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي، عندما اختاره دولة السيد مضر بدران، الذي ندعو له بالصحة والعافية، وزيرًا في حكومته الرابعة التي شكلها في ٧/ ١٢/ ١٩٨٩.

وهنا تباعدت لقاءاتنا واقتصرت على لقاء عابر في ندوة أو مؤتمر أو مجلس أو لجنة ما، واستمر ذلك لغاية العام ١٩٩٥، عندما تلقيت اتصالًا من معالي الأخ الدكتور مروان كمال، وكان رئيسًا لجامعة اليرموك؛ ليخبرني بأن الدكتور حمدان يبحث عني ويرغب في استقطابي للعمل بمعيته في الجامعة الهاشمية، وكنت حينها قد حصلت على إجازة تفرغ علمي من جامعة اليرموك. وأعلمته بأنني قد تحدثت مع رئيس جامعة خاصة؛ لقضاء سنة التفرغ العلمي فيها، وتوصلنا إلى اتفاق شفوي من حيث المبدأ، فقال لي: «لا بأس، ولكن تواصل مع الدكتور حمدان لأنني وعدته بأنك ستفعل»، ففعلت ... وهنا تبدأ حكاية أخرى.

بعد خروجه من حكومة السيد مضر بدران بداية العام ١٩٩١، تم اختياره رئيسًا مؤسسًا للجامعة الهاشمية سنة ١٩٩٢ من اللجنة الملكية الخاصة للجامعة، التي كانت برئاسة دولة الأستاذ مضر بدران أيضًا. وكما وعدت الدكتور مروان كمال، ذهبت لمقابلة الدكتور حمدان، الذي قابلني هاشًا وباشًا. وبعد حديث قصير تناول التعليم العالي والجامعات، عرض عليّ أن أتولى تأسيس كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية في الجامعة الهاشمية. ولن أسهب هنا كثيرًا، لكن بعـد نحو نصف ساعة من الحديث، بدا أن مفعول سحره يعمل بشكل جيد، ولم أخرج من ذلك اللقاء إلا وقد تعهدت بالعمل بمعيته في تلك المرحلة التأسيسية من عمر الجامعة.

عندما وصلت إلى الجامعة، كانت عبارة عن ورشة بناء، قد اكتمل منها مبنىً واحد من أربعة مبانٍ متماثلة، وكان هذا المبنى، حسب المخطط الرئيسي، مخصصًا لقسم الكيمياء، الذي استوعب في ذلك الحين: رئاسة الجامعة، وعمادات الكليات جميعها، وحتى الدوائر الإدارية. لم يكن ثمة شارع واحد مسفلت، كانت الشوارع ترابية، وكان يربطنا بالعالم الخارجي خط هاتف لاسلكي من القوات المسلحة موجود في مكتب رئيس الجامعة، ويستخدمه الجميع في حالات الضرورة، والحالات غير الضرورية تعتمد على مدى رضا السيدة ختام وقناعتها. والسيدة ختام، الكل في الكل في مكتب الرئيس، وهي سيدة فاضلة مجتهدة صبور مخلصة في عملها، بل متفانية، ومن هنا اعتماد الرئيس عليها في تلك المرحلة الصعبة.

كان الرئيس يشيع حماسة منقطعة النظير في أوساط الهيئة التدريسية والإدارية على حدّ السواء، ويتابع كل صغيرة وكبيرة، وفي الوقت نفسه يمنح الثقة لمن يعمل معه، ويفوض سلطة اتخاذ القرار للكل حسب موقعه، عميدًا أو مديرًا أو رئيس قسم أو شعبة، ويدعم قرارات من يفوضهم.

ما الذي كان يستنهض همم الجميع للعمل بتفانٍ في تلك البيئة الجغرافية الطاردة، الحارة صيفًا والباردة شتاءً؟ كان العمل بالقدوة، فقد كان الرئيس يتحرك قبل الجميع ومعهم، ويصل النهار بالليل، ويشرف ويراقب أعمال الإنشاء والبناء، والعملية التدريسية التي بدأت في العام الجامعي ١٩٩٥-١٩٩٦، بعد أن أمضينا صيفًا لاهبًا نسابق عقارب الساعة؛ لنضع الخطط الدراسية والبرامج الأكاديمية، كل حسب كليته وأقسامه الأكاديمية.

كان ثمة القليل من الوقت لنمضيه مع عائلاتنا، فالجامعة تتربع على سلم الأولويات. ومضت تلك السنة، بحلوها ومرها، وحان موعد الرحيل والعودة إلى جامعتي الأم، جامعة اليرموك. وتفاجأ الدكتور حمدان بضرورة عودتي، ودعاني للحصول على إجازة من دون راتب للاستمرار في قيادة الكلية التي أسستها. ولكن كان يحول دون ذلك ما يعرفه الزملاء الأكاديميون من شروط الإجازات والأفضلية الممنوحة لمن يعملون في جامعات أو مؤسسات أكاديمية، أو غير أكاديمية، خارج المملكة. فقلت لأبي أحمد: «نستطيع التغلب على المشكلة من دون مخالفة للأنظمة والتعليمات (وهو من أشد الملتزمين بها)، وذلك بأن يتم تعييني نائبًا للرئيس، بالإضافة إلى نهوضي بأعباء عمادة كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، وأنت بالفعل تحتاج إلى نائب للرئيس نظرا لضخامة حجم العمل والأعباء الملقاة على عاتقك، وموقع نائب الرئيس يسمح لي بالاستمرار معكم، خارج الكوتا، على سبيل الإعارة أو الانتداب». فأطرق مفكرًا، ولم يجبني في حينه. وافترقنا.

وذات مساء، بعد عدة أيام، عدت من مدينة الحسن الرياضية في إربد، حيث كنت أمارس معشوقتي، لعبة السكواتش، ولم يكن ثمة هواتف نقالة في تلك الحقبة، فأعلمتني زوجتي بأن الدكتور حمدان قد اتصل على الهاتف الأرضي يسأل عني، ولما علم عن غيابي، قال لها: «مبارك، خبري أبو أحمد بأن الباشا، ويعني رئيس اللجنة الملكية الخاصة دولة الأستاذ مضر

بدران، قد وافق على تعيينه نائبًا للرئيس»، ما يعني أنه كان يعمل على هذا الأمر لكن من دون إبلاغي بذلك، والمكتومية واحدة من ميزاته الحميدة.

وهكذا، تم تعييني نائبًا للرئيس للشؤون الإدارية، بالإضافة إلى الاستمرار في عمادة كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية. كما تم تعيين الزميل الأستاذ الدكتور سليم صبري نائبًا للرئيس للشؤون الأكاديمية.

ومما يشير إلى حرصه الشديد في ما يتعلق بالمال العام، قرر الرئيس أن يتم تزويد كل من نائبي الرئيس بسيارة صغيرة، ترشيدًا لنفقات الشراء، أولًا، واستهلاك الوقود ثانيًا. وكانت ثمة اجتماعات تعقد لنواب رؤساء الجامعات الأردنية، وعندما كنا نصل بسيارة «تويوتا كورولا»، إلى الجامعة الأردنية مثلًا، يدقق حراس البوابات تدقيقًا صارمًا، وعندما يخبرهم السائق بأن هذه سيارة نائب الرئيس، يبتسمون ابتسامة ساخرة كمن يريد أن يقول: «بتضحك عليّ، نواب الرئيس كلهم معاهم سيارات مرسيدس لونها كحلي»، حتى إن نواب الرئيس من الجامعات الأخرى كانوا يتندرون على تلك الحالة، ولم نفلح في إقناعهم بصواب قرار الرئيس في هذا الأمر.

مضت الأيام، وتخالها مسرعة، بالسرعة ذاتها التي كانت مباني الجامعة ترتفع فيها شيئًا فشيئًا عن سطح الأرض؛ لاستكمال المخطط الرئيس Master Plan لبناء الجامعة من كليات، ومبانٍ إدارية، ومنشآت رياضية، وكنت ترى الرئيس في كل زاوية، وكل مبنى، وكل منشأة تدخل إليها، يتابع العمل والإنشاء، يشيع الحماسة في الأرجاء، ويقدم نصيحة لطيفة هنا أو هناك.

وذات صباح دافئ، في منتصف شهر شباط سنة ١٩٩٨، كنا نجلس في مكتب الرئيس

لمتابعة عادية روتينية لأعمال الجامعة وأشغالها، أبدى الرئيس خلال تلك الجلسة بعض الملاحظات، وأكد ضرورة متابعة تنفيذ بعض المسائل الملحة بالأسلوب الإداري المعهود عنه، وقال: «أنا مضطر للذهاب إلى عمان بعد قليل»، ولبرهة بدا ساهمًا كمن دخل في تفكير عميق، وللحق كانت تلك المرة الوحيدة التي أراه فيها شارد الذهن. وبعد ظهر ذلك اليوم اتضح سبب الشرود، فقد علمنا أنه ذهب إلى عمان لأداء القسم وزيرًا للتربية والتعليم والتعليم العالي، في التعديل الذي أجراه دولة الدكتور عبد السلام المجالي على حكومته في ١٧/ ٢/ ١٩٩٨.

كان يجلس بيننا، وهو يعلم تمام العلم أنه سيغادر بعد قليل لأداء القسم، ولم ينبس ببنت شفة حول ذلك الأمر، انطلاقًا من مكتوميته أولًا، ومن الحرص على الكتمان الذي يرافق تشكيل الحكومات وتعديلها.

وإذ أعلم حق العلم كم كان عصاميًّا في مسيرته، التعلمية والتعليمية، فإنني أغبطه على البديهة الحاضرة، دومًا، والذاكرة المتقدة أبدًا، وتقديمه مصلحة الجامعة والوطن على مصالحه الشخصية.

ومضات مضيئة مع محمد حمدان

د . منذر صلاح *

كانت بداية معرفتي بالدكتور محمد حمدان، في أثناء دراستنا في المدرسة الصلاحية في مدينة نابلس عام ١٩٥١/ ١٩٥٢، وبطريق الصدفة، وكانت هذه الصدفة فترة امتحانات طلبة المدرسة الصلاحية؛ إذْ كان الدكتور حمدان في الصف الحادي عشر، وكنت في الصف الثامن آنذاك. ولغايات ترتيب نجاح الامتحانات في المدرسة وتنظيمها، كانت كل قاعة من قاعات الامتحان خليطًا من طلبة جميع صفوف المدرسة، وعلى كل مقعد ثنائي، حيث يجلس طالبان مختلفان في السنة الدراسية، وكان حظي أن أكون معه على مقعد ثنائي واحد، ولا أزال أذكر ما جلب انتباهي في امتحانه،

* وزير أسبق للتعليم العالي والبحث العلمي في فلسطين.

فقد قرأت عبارة «حصان ميكانيكي»، ولأول مرة أقرأ مثل هذه العبارة، وكررت النظر إلى ورقته وهو يكتب بلا توقف، وبقلم سيال، وكان موضوعي مادة الكيمياء، تخللتها موازنة معادلات كيماوية، فانتبه إلى إحدى المعادلات الخاطئة، وأشار لي بأن هذه غير صحيحة، وقمت بمراجعتها، وفعلًا أجريت التوازن الصحيح، وقد نحتت هذه الحادثة في ذاكرتي اسم محمد حمدان، وعبارة «حصان ميكانيكي»، إلى أن تعرفت عليها في الصفوف التالية لدراستي، وكذلك تصحيح المعادلة الكيميائية.

ولمست من هذه اللفتة أن الدكتور حمدان يحب المساعدة، ولو في ظروف صعبة، ولا يسكت عن خطأ رآه حتى لو كان في قاعة امتحانات، حبًّا في تحري الصواب.

تخرج من المدرسة الصلاحية في العام نفسه ١٩٥١/ ١٩٥٢، وكان ترتيبه الأول في امتحان شهادة الدراسة الثانوية الأردنية (كما يقال لها الآن).

مضت الأيام حتى عام ١٩٥٦/ ١٩٥٧، عندما وصلت إلى القاهرة قبل العدوان الثلاثي على مصر بأسبوع واحد، مبتعثًا من وزارة التربية والتعليم الأردنية؛ للحصول على بكالوريوس في الرياضيات من جامعة القاهرة، لأفاجأ عند مروري أمام إحدى قاعات المحاضرات في كلية العلوم، بطالب يجلس في القاعة وحده، وأستاذ يحاضر، وكان الطالب هو الدكتور محمد حمدان، فتذكرت حادثة المدرسة الصلاحية حينها، وأكبرت ما تقدمه مصر للوطن العربي من تعليم جامعي على مستوى عالٍ، في ظروف كانت معظم الأقطار العربية لا يوجد فيها تعليم عالٍ، وإن وجد فلا يسد الحاجات.

تخرج الدكتور حمدان من جامعة القاهرة عام ١٩٥٧، وعاد إلى الأردن، حيث عين مدرسًا في كلية إعداد المعلمين في عمان، ثم مديراً لها، وبدوري تخرجت عام ١٩٦٠ وعدت

إلـــى الأردن، وعينـــت مدرسًا في المدرســـة الرشيدية في القدس، ثم في كلية الحسين فـــي عمان.

توجه الدكتور حمدان باتجاه الجنوب الشرقي للكرة الأرضية، إلى أستراليا في مدينة سدني؛ للحصول على الدكتوراه من جامعتها، وتوجهت أنا باتجاه الشمال الغربي للكرة الأرضية، إلى بريطانيا في مدينة جلاسكو للحصول على الدكتوراه من جامعتها.

شاءت الأقدار أن نلتقي بعد ذلك في المؤتمرات السنوية التي كان يقيمها معهد الإحصاء في جامعة القاهرة، في موضوعات رئيسية، مثل الإحصاء والحاسب الإلكتروني، وكان ذلك عام ١٩٧٤، وهنا أود أن أذكر موقفين للمحتفى به، في أثناء وجودنا في المؤتمرات العلمية في القاهرة.

- بعد انتهاء حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، وتنظيف خط بارليف على قناة السويس من الألغام والمعدات الحربية الأخرى، بدأت السلطات المصرية بإعداد رحلات سياحية للوفود العربية والسياح الأجانب؛ لزيارة المواقع المختلفة في خط بارليف، والاطلاع على تحصيناته المختلفة، وأعد المؤتمر العلمي الذي عقد عام ١٩٧٤ رحلة للمشاركين فيه إلى هذه المناطق، والتقى أفراد المؤتمر في منطقة خط بارليف بمجموعة سياحية من الأجانب، وكان هناك دليل سياحي مصري يشرح بالإنجليزية الضعيفة، التي لا تؤدي المعنى الذي يقصده، فانبرى الدكتور محمد حمدان للترجمة باللغة الإنجليزية، متطوعًا لإنقاذ الموقف، وكان اللقاء غنيًّا بالمعلومات، التي استطاع حمدان إيصالها إلى المجموعة السياحية الأجنبية، فكانوا مرتاحين ومبتهجين لهذه الترجمة.

وهذه ميزة من مميزات المحتفى به، حاليًّا، وهي البساطة في التعامل مع الآخرين،

والوصول إلى المعلومة الدقيقة، وسهولة توصيلها للاستفادة منها مباشرة، من دون تعقيد، وهذا ما يميزه في محاضراته العلمية وأحاديثه الأكاديمية.

- وأما الموقف الثاني، ففي إحدى الأمسيات، ونحن نتجول مع بعض الزملاء وسط مدينة القاهرة، شعرنا بالجوع، واستقر رأي الجميع بأن نأكل خبزًا مفقعًا وجبنة بيضاء مع بطيخ، لكن أين؟ اهتدينا إلى ميدان قليل السيارات والمارة، وتم شراء الخبز المفقع والجبنة البيضاء والبطيخ، وجلسنا على حواف الدوار في منتصف الميدان، وفتحنا البطيخة بضربها أرضًا، وأكلنا في مركز الدوار، فكانت الوجبة من ألذّ ما أكلنا، وأجمل وقت قضيناه في مصر، وتذكرنا أيام الجامعة في الخمسينيات، والقاهرة بجمالها وحسنها وقلة السكان وغيرها.

تم ذلك بالغريزة الشعبية البسيطة، التي نشأ كل منا عليها، على الرغم من الدرجات العلمية والمواقع الأكاديمية في الجامعات، ويتميز الدكتور حمدان بالروح السمحة البسيطة، وبالذوق الرفيع للنكتة (سمعًا وقولًا) ولا يرتاح إلى التعقيدات الاجتماعية، ويتمتع بروح رياضية عالية.

بدأ الدكتور محمد حمدان عمله الأكاديمي الجاد عام ١٩٦٥/ ١٩٦٦؛ إذْ كان يشغل منصب أستاذ الرياضيات في الجامعة الأمريكية في بيروت، وكذلك الإحصاء الرياضي حتى العام ١٩٧٧، وكان خلال العام ١٩٧٦/ ١٩٧٧ عميدًا لكلية العلوم والآداب في جامعة اليرموك، وكانت هذه السنة بداية عمله في الأردن، بما تضمنته مسيرته الأكاديمية ومساهماته وأفكاره المساعدة، في جميع الحقول التي خاضها حتى الآن.

وهنا نصل إلى فترة مليئة بالمواقف النادرة والمشاركات المتعددة، في دعم التعليم العام والعالي، بالإسهام في بناء مؤسسات التعليم الخاصة والعامة وتأهيلها.

- في العام ١٩٨٣، عندما كان الدكتور حمدان عميدًا للبحث العلمي في الجامعة الأردنية، وكنت مستشارًا لرئيس الجمعية الملكية، أرسل لي بحثًا لأحد الباحثين لتقييمه؛ تمهيدًا لنشره في مجلة دراسات في الجامعة الأردنية، وعندما قرأت البحث، لاحظت أن كل المعلومات والبيانات التي يمكن أن تشير إلى اسم الباحث قد شطبت كاملة أو بترت، فلم يبقَ أي دليل يشير إلى هوية الباحث، لكن بمعرفتي الدقيقة في حقل الورقة المرسلة، ومعرفتي بمعظم الباحثين في ذلك المجال، عرفت صاحب البحث، وتكلمت مع الدكتور حمدان، معتذرًا عن التقييم؛ لأنني عرفت الباحث، ولا يجوز لي إتمام التقييم، فكان رده أن جوابك هذا وموقفك أعطيانا ثقة بتقييمك أكثر من ذي قبل، وننتظر تقييمك.

ويدل هذا على أنه إنسان يقدر الأمانة العلمية وحاملها، ويعتمد على الثقة المتبادلة البناءة، وأنه يطبق روح القانون لا حرفيته.

- في العام ١٩٨٦، تسلم الدكتور محمد حمدان رئاسة جامعة اليرموك، وكنت آنذاك نائب رئيس الجمعية العلمية الملكية لشؤون الدراسات والبحث العلمي، وطلب مني أن نلتقي معًا لبحث موضوع ما. وحصل الاجتماع في منزله، وبدأنا الحديث عن الجامعات في الأردن، وفلسطين المحتلة وغيرها، ثم فاجأني بإخباري أنه سيقوم بترشيحي نائبًا لرئيس الجامعة للشؤون الأكاديمية، فشكرته على حسن ظنه بي وثقته، وعلى اقتراح ترشيحي للمنصب، وأجبته: «أرجوك لا ترشحني لا من قريب أو بعيد»، فتعجب من ذلك، وراح يسرد محاسن المركز ومستقبله، وغير ذلك من الأمور، فكان جوابي بأنني «مسرور ومرتاح في عملي، وأوكد لك أنني سأكون مسرورًا معكم بلا شك، وسوف أكون سعيدًا بالعمل مع فريقكم في جامعة

اليرموك، لكن ترشيحي ليس مناسبًا في هذا الوقت»، وأمضينا أكثر من ساعة ونحن نتناقش حول كل جانب من جوانب هذه العملية، وأخيرًا وافق على عدم ترشيحي. هذا الموقف أراه من أفضل ما يحدث بين المرشِّح والمرشَّح لأي موقع كان؛ إذْ يتفهم كل واحد أسباب الآخر، ويتفقان على مفهوم واحد يكون كل طرف راضيًا عنه.

- تسلمت رئاسة جامعة القدس المفتوحة في ١/ ٥/ ١٩٨٩، وهي عبارة عن الإدارة الرئيسية للجامعة، وجهاز لإعداد المادة العلمية، وفق أسلوب التعليم المفتوح، مع تصميم وإخراج الكتب المناسبة لها، والمادة العلمية لكل مقرر، بالإضافة إلى الموظفين الإداريين والعاملين في الخدمات، وبأقل عدد ممكن منهم؛ لتلبية الحاجات المختلفة. وكانت الجامعة تشغل حيزًا في منطقة أم السماق، داخل عمارة مستقلة، من دون إذن مكتوب أو شفهي لمباشرة الأعمال من الجهات الرسمية، وكانت الإدارة الرئيسية وما تحويه من تجهيزات وقوى بشرية مساندة عرضة للإغلاق في أي وقت، ومن دون إشعار.

ومنذ بدايات عملي، قابلت وزير التعليم العالي والبحث العلمي في الأردن، وكان آنذاك المرحوم الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، وشرحت له رسالة الجامعة ومهامها، وماهية التعليم المفتوح، وأمورًا أخرى عن الجامعة، والفرص التعليمية التي توفرها لمن فاتهم قطار التعليم، ولتنمية قدرات الجامعيين ومهاراتهم، بتزويدهم بالموضوعات الحديثة المتغيرة باستمرار، ضمن التعلم المستمر، فرحب بالفكرة، وقال إنها مفيدة وسنستفيد من عملكم، ولم يعط جوابًا مكتوبًا أو موافقة واضحة، ولكن كانت الموافقة ضمنية.

وفي شهر كانون الأول عام ١٩٨٩، تم تكليف الأستاذ الدكتور محمد حمدان بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وخلال فترة بسيطة التقيته وشرحت مطلب جامعة القدس المفتوحة؛ ليكون لها فرع لقبول الطلبة في الأردن، وسألته: «أتريده من مجلس أمناء الجامعة مباشرة أم من خلال منظمة التحرير الفلسطينية كأول جامعة تنشؤها المنظمة، وذلك من خلال سفارة فلسطين في عمان؟»، ففضل أن يكون الطلب باسم المنظمة، ومن خلال السفارة، وفي هذه الحالة فإن عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية المسؤول عن التعليم العالي، الفريق عبدالرزاق اليحيى آنذاك، هو الذي كان مخولًا بمخاطبة المسؤولين في الأردن، وهذا ما تم.

وبعد فترة، جاء عدم السماح بفتح فرع لقبول الطلبة في الأردن، ولم يتطرق إلى الرئاسة، كما شرحت سابقًا، وكانت أول رسالة مكتوبة من مسؤولين في المملكة الأردنية الهاشمية بعدم قبول إنشاء فرع لقبول الطلبة، وعدم الإشارة إلى الرئاسة وتجهيزاتها، فكان ذلك بمثابة موافقة ضمنية، وبالتالي تمت الموافقة على أن يقوم التلفزيون الأردني ببث برامج الجامعة ساعة واحدة يوميًّا بين الساعة الرابعة إلى الساعة الخامسة بعد الظهر للضفة الغربية وقطاع غزة بأقل التكاليف، وهذا ما كنا نريده ضمنًا.

ولا شك أنه كان لطريقة عرض هذا المفهوم على المعنيين من قبل الأستاذ الدكتور محمد حمدان، وعلى مجلس التعليم العالي، الأثر الأكبر لإنهاء الموضوع إيجابيًّا، بهذا الأسلوب الهادىء والبناء، على الرغم من عبث البعض من الذين يحبون الصيد في المياه العكرة؛ لعرقلة الموضوع، فله جزيل الشكر لقاء جهوده في هذه القضية الإنسانية المهمة على المستوى الوطني والقومي.

- بتاريخ ٩/ ٦/ ٢٠٠٢ استقالت الحكومة الثالثة في فلسطين، حيث كنت فيها وزيرًا للتعليم العالي والبحث العلمي، وتشكلت الحكومة الرابعة وخرجت منها، وبتاريخ ٢٦/ ٦/ ٢٠٠٢ أصدر رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية المرحوم الشهيد ياسر عرفات، مرسومًا رئاسيًّا بتعييني رئيسًا للمجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا في فلسطين، لكن لم يتوفر تمويل كافٍ لهذا المجلس وتأخر التنفيذ، وفي هذه الأثناء، تقريباً في نهاية ٦/ ٢٠٠٢، اتصل بي الدكتور محمد حمدان في أثناء وجودي في نابلس تحت الحصار من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي، وتكلم عن ترشيحي مديرًا للجامعة العربية المفتوحة، وتناقشنا في الموضوع، وشجعني أن أقبل بهذا لأسباب عديدة، فوافقت بعد قناعتي أنني لن أستطيع البدء في عملي في المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا قبل سنتين على الأقل، وهذا ما كان.

باشرت عملي في مدينة الكويت مديرًا للجامعة العربية المفتوحة بتاريخ ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٢، وبذلنا جهودًا مضاعفة للبدء في التدريس في منتصف تشرين الأول ٢٠٠٢، بعقد مدته سنتان، وعملنا معًا في رئاسة الجامعة، فريقًا واحدًا، على اختلاف التخصصات، وفي هاتين السنتين حصلت الجامعة العربية المفتوحة على اعتماد الجامعة المفتوحة البريطانية، وكذلك على عضوية اتحاد الجامعات العربية.

وكان هناك موضوع يؤرقني، فتكلمت عنه مع المغفور له المرحوم صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز، وكان إيجابياً حول الموضوع، لكنه طلب مني أن أتداول فيه مع الدكتور محمد حمدان، بصفته مستشارًا للجامعة، واتخاذ القرار المناسب، فتكلمت معه تلفونيًّا، وكان في عمان، وأعلمته عن الموضوع، وناقشناه أكثر من ساعة، ولم أستطع إقناعه،

ولم يقنعني أيضًا، فقلت له إنني مغادر بعد أسابيع عديدة، وسيترك الموضوع لكم فاتخذوا عندها القرار الذي يناسبكم.

وفي العام ٢٠١٠، كان هناك اجتماع للهيئة العامة السنوي لكلية حطين، وتقابلنا معًا قبل الاجتماع، وبادرني بالقول: «أنت الوحيد الذي كنت تعرف الموضوع من جوانبه وأبعاده كافة، الذي تحدثنا عنه عام ٢٠٠٤»، فبادرته شاكرًا لهذه اللفتة الطيبة منه، وهذه إحدى مناقبه العالية، أن يعترف بصحة مقولة لم يكن يؤمن بها سابقًا، لكن مع مرور الزمن، يتبين له أن هذه المقولة هي الصحيحة وليست التي تبناها حينها، وهي دلالة واضحة على العقلية العلمية ورقيها، وعلى أخلاقيات الحوار الإيجابي الذي يتبناه، وبأنه لا يسعى إلّا إلى الإيجابيات.

ونعمل، حاليًّا معًا، ضمن لجنة الإشراف على إنشاء فرع الجامعة العربية المفتوحة في فلسطين مع الزملاء:

- أ.د. محمد بن إبراهيم الزكري — رئيس الجامعة العربية المفتوحة
- الأستاذ ناصر القحطاني — المدير التنفيذي لبرنامج الخليج العربي للإنماء
- أ.د. محمد أبو قديس — مدير الجامعة العربية المفتوحة ـ الأردن
- الأستاذ محمد مسروجة — رجل أعمال من فلسطين

وندعو الله أن يوفقنا في إنجاز هذا المشروع العام في القريب العاجل.

وكان للدكتور محمد حمدان دور بارز في إنشاء مؤسسات تعليم عال ومدارس في القطاع الخاص، في الفترة ١٩٧٩م – ١٩٩٣م، فقد أعطى الكثير من جهوده وأفكاره وعمله

المؤسسي في إدارته؛ لرفع مكانة المؤسسة التي يساهم في رعايتها وتقدمها، والحفاظ عليها، ونورد بعض الأمثلة المشتركة:

- في العام ١٩٧٩ اتفقت مجموعة من أساتذة الجامعات والكليات المتوسطة وأساتذة في التربية والتعليم، وأخصائيين في التربية وأساليبها، على إنشاء كلية مجتمع متوسطة في محافظة إربد، حيث الحاجة ماسة لها، وقدمت طلبًا لهذا الغرض إلى وزارة التربية والتعليم، حسب الأصول، وتقدمت مجموعة أخرى في وقت متأخر عن المجموعة الأولى، وكانت مؤلفة، في معظمها، من سياسيين.

وعندما بحثت وزارة التربية والتعليم الطلبات المقدمة، وجدت أنهما اثنان فقط، أحدهما من مجموعة غالبيتها أكاديمية وتقدمت بطلبها أولًا، والثاني من مجموعة غالبيتها من السياسيين، فاحتارت في أمرها، ومنحت ترخيص إنشاء كلية مجتمع لكل طلب، فوضعت الوزارة الفريقين إما في مواجهة تنافسية غير واضحة النتائج؛ أو التفاهم والعمل على تكامل الجهدين معًا، وهذا ما فهمناه كمجموعة أكاديمية، وكان الأستاذ الدكتور محمد حمدان ضمن فريق الأكاديميين، وكذلك الدكتور منذر صلاح، فاستقر الرأي أن نسير في الاتجاه الثاني وهو التكامل، وطلب من المرحوم الدكتور فايز سحيمات والدكتور منذر صلاح الاجتماع مع الفريق الآخر وطرح الفكرة، وقد تم الاجتماع في معهد بوليتيكنيك/ عمان في ماركا، ومديره آنذاك المرحوم الدكتور فايز سحيمات. وحضر عن الفريق الثاني المرحوم الأستاذ حمد الفرحان، والأستاذ سالم مساعدة. وخلال ساعة من الزمن، اتفق الطرفان على كل تفاصيل إنشاء شركة «مؤسسة كليات المجتمع الوطنية محدودة المسؤولية»، والمساهمون في الشركة هم مجموع أفراد الفريقين وعددهم (٤٠)، وكان من حسن الحظ أن عدد كل فريق كان (٢٠).

وبدأنا العمل الحثيث لإنشاء كلية الرازي، وكلية ابن خلدون، كما سميت الكليتان الموافق عليهما، وتوفير المتطلبات من أرض ومبان ومختبرات علمية وأثاث ومدرسين وإداريين، وكان للدكتور حمدان أثر كبير في الإعداد والمشاركة في اللجان الفنية والاستشارية وإعداد البرامج، وكذلك في عضوية هيئة المديرين للمؤسسة، ولا تزال هذه المؤسسة قائمة حتى الآن، لكن أصابها الهرم كما أصاب مؤسسيها.

- من نتائج الحرب الأهلية في لبنان، منتصف السبعينيات من القرن الماضي، التأثير السلبي على الاستثمارات في لبنان، وهو ما حمل المستثمرين على الانتقال إلى عمان بعد أن أصبحت قبلة للمستثمرين، بما تتوفر عليه من قدرة على إعداد دراسات الجدوى واستشارات المشاريع، بالذات ما يخص الإعلاميات، نظرًا لقلة عدد المتخصصين في هذا المجال، فاجتمع فريق من الأصدقاء عام ١٩٧٩؛ لتكوين فريق عمل في مختلف التخصصات، مكون من ١٣ عضوًا كان من بينهم الدكتور حمدان والدكتور منذر صلاح؛ بغية تأسيس مؤسسة للاستشارات، وتم ذلك في العام ١٩٧٩ تحت مسمى «المؤسسة الاستشارية للإعلاميات الخصوصية المحدودة»، ثم قرر الفريق إنشاء معهد متوسط لتدريس موضوعات متخصصة للحاسب الإلكتروني، من برمجيات وغيرها، وتم ترخيص المعهد من قبل وزارة التربية والتعليم تحت مسمى «كلية البيروني/ كلية مجتمع متوسطة»، كما ورد في كتاب الوزارة، وكان هذا المعهد الثاني في الأردن بعد معهد الأميرة سمية للحاسبات الإلكترونية، والذي أنشئ أواسط سبعينيات القرن الماضي في الجمعية العلمية الملكية، وقد عملت هيئة المديرين للمؤسسة (من ضمنها كلية البيروني) على البدء بالتدريس، والتعريف بالمؤسسة. وبعد مضي ما يقرب من عام على انتخابهم، طلب أعضاء هيئة المديرين إعفاءهم

من العضوية، وانتخاب هيئة مديرين جديدة، قادرة على عقد الاجتماعات المتكررة، وتلبية المتطلبات النوعية التي تحتاجها الكلية، وتم انتخاب خمسة أعضاء من بينهم الدكتور محمد حمدان، والدكتور منذر صلاح، وعقدت هيئة المديرين ٢٥ اجتماعًا سنة ١٩٨١، و٢٣ اجتماعًا سنة ١٩٨٢، وكانت الأمور جيدة للغاية في البدايات، وكانت إدارة كلية البيروني تتعاقد مع أساتذة من جمهورية مصر العربية، خاصة في مجالات الحاسب الإلكتروني، وبرواتب أعلى من المألوف، وقد كلف بذلك كلّ من الدكتور حمدان في العام ١٩٨٢؛ للسفر إلى القاهرة والتعاقد مع أساتذة في علوم الحاسبات الإلكترونية، والدكتور منذر صلاح في العام ١٩٨٣؛ لاستقطاب أساتذة في المجال نفسه.

وخلال هاتين السنتين، نشات كلية المجتمع العربي، واتخذت موقعها بجوار كلية البيروني تمامًا، وبدأت تستقطب الأساتذة المصريين المؤهلين في الحاسب الإلكتروني، العاملين في الكلية، بإغرائهم بالرواتب العالية، فلم تستطع كلية البيروني إيقاف هذا النزيف، بسبب وضعها المالي.

وبدأ انحسار الكلية في بداية العام ١٩٨٣، فقررت هيئة المديرين تجميد أعمالها، ثم تمت تصفية المؤسسة، ولم يبق من المؤسسين إلّا أربعة من الفريق الأصلي، هم الدكتور حمدان، والدكتور منذر صلاح، ومحمد سمير قردن، والمرحوم عطا الله الحلبي، وصمم الأربعة على متابعة أعمال الكلية وإنعاشها، باستشارة مديرية كليات المجتمع المتوسطة في وزارة التربية والتعليم، وكان المسؤول آنذاك الدكتور أحمد التل، ونصحنا أن نعيدها في جنوب عمان، حيث تفتقر تلك المنطقة إلى مثل هذه الكليات، وهو ما كان.

- ظهرت شركة مؤسسة حطين التربوية، بإنشاء كلية حطين عام ١٩٨٤ من فريق مكون من ١٨ عضوًا، في مقدمتهم المرحوم دولة الأستاذ بهجت التلهوني، ودولة الأستاذ زيد الرفاعي، والمرحوم نايف الحديد، والسيد أنور الحديد، والدكتور أحمد التل وغيرهم، بالإضافة إلى الزملاء الأربعة.

بدأ العمل في البحث عن موقع مناسب لكلية حطين، وتم شراء ما يقارب عشرة دونمات، وصممت المباني وفق احتياجات الكلية وبرامجها، ووضع حجر الأساس في العام ١٩٨٥، وكان الدكتور محمد حمدان، بخبرته الأكاديمية والتربوية، ركنًا أساسيًّا في تخطيط هذه الأعمال، واختيار البرامج لأبناء هذه المنطقة؛ إذْ كانت نسبة الإناث تزيد على نسبة الذكور بأرقام عالية.

مرت المؤسسة في ظروف متأرجحة من التقدم والنجاح، والتباطؤ في التطوير. وبحكمة أعضاء مجلس أمناء الكلية، ورؤية الزملاء الأكاديميين وأصحاب الخبرة من الأعضاء، تخطت الكلية هذه الظروف، وهي تحتل، الآن، في نظر جامعة البلقاء التطبيقية، موقعًا مرموقًا بين كليات المجتمع في الأردن (في المرتبة الثالثة)، وكان لجهود الدكتور حمدان المتصلة منذ بدايات إنشاء الكلية حتى اليوم، دور كبير، حيث كان أكثر احتكاكًا بأعضاء هيئات المديرين المختلفة؛ لإبداء المشورة والنصح، في ما يهم الكلية وتطورها، وكذلك خلال عضويته في مجلس أمناء الكلية.

- أنشئت مدارس فيلادلفيا الوطنية تحت اسم «الشركة العربية للتنمية والتطوير التربوية»، في العام ١٩٩٣، وكان عدد المساهمين يقارب الأربعين، وتهيأت لها هيئة مديرين تملك من القدرات والطاقات الشخصية وحبها للعمل الكثير، وهو ما

ساعد على وضع أسس علمية سليمة للبداية، ولتطويرها مستقبلًا، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من سمعة تربوية ممتازة، وتضم البرامج العربية والأجنبية، وتُعدّ من أفضل المدارس تعليماً وأقلها ماديًّا.

مع هيئات المديرين المختلفة التي انتخبت، تم تشكيل مجلس أكاديمي استشاري للمدارس، مكون من: سلمى الجيوسي، ونوال حشيشو، وعبلة بدر، ومحمد حمدان، ومنذر صلاح.

ولقد سخر الجميع طاقاته المتنوعة وتقديمها كاقتراحات لهيئة المديرين، خلال العام الدراسي، بصورة عامة، وخلال الاجتماع السنوي العادي للهيئة العامة للشركة بصورة خاصة، وكان الجميع إما مقدمًا لاقتراح، أو متلقيًا لاقتراح، ما ساعد في تطوير المؤسسة ورفعة شأنها إلى ما عليه الآن، وأخص بالذكر الدكتور محمد حمدان على جهوده المميزة في هذا المجال، حيث كنا نلتقي معًا للمشاركة في الاجتماعات المقررة للشركة؛ لتقديم مشاريع أو اقتراحات أو تطوير أمور إلى الأفضل، وبحثها والاستفادة منها تطبيقيًّا. وقد لاحظت سمات في هذه المؤسسة غير موجودة في المؤسسات الأخرى وهي جديرة بأن نذكرها:

أولًا: نسبة مساهمة السيدات في المؤسسة عالية، ولم نلاحظ هذه النسبة في أية مؤسسة أخرى.

ثانيًا: نسبة السيدات في المجلس الأكاديمي الاستشاري تصل إلى ٦٠ ٪، وهي نسبة لا توجد في أية لجنة أو مجلس أو هيئة أو غيرها من التسميات، في المؤسسات الموجودة في عمان، وعضويتها مفتوحة للجنسين. وهذا ما منحنا دفعة كبيرة لنضع أساس التطوير، آخذين في الاعتبار احتياجات الجنسين في آن واحد، منذ البدايات وليس عند الحاجة.

ثالثًا: لأول مرة أشاهد الدكتور محمد حمدان يناقش بعصبية عالية، وكان ذلك قبل عدة سنوات خلال أحد اجتماعات الهيئة العامة للشركة، ولم أره منفعلًا بهذا القدر لا قبل هذا الحادثة ولا بعدها.

الـجلسة الثالثة

العمل الـحكومي

«الصديـــق آخـــــــر هـــو أنـــت»
إلى محمد حمدان

د . خالد الكركي *

«رجلٌ طينهُ من العنبر الوردِ...»

وكأن التوحيدي الكبير أشار إليه وإلى من هم في مثل مودّته:

«الصديق آخرُ هو أنت»

«أبو أحمد»، هو كما نحبّه،

«صاحب المعالي» في الحكومات،

«الأستاذ الرئيس»، وهو الأستاذ الجامعي والرئيس، والعالِم في حضوره البعيد على امتداد زمان توالت فيه الفصول على هذا الصاحب العزيز.

صاحبي أبا أحمد،

---

* رئيس مجمع اللغة العربية الأردني.

صاحبي في المجمع، ونائب الرئيس، أو «سيادة النائب» كما نُحب أن نداعب المناصب، وكنت أقول عن نفسي «لا رئيس بغير جرس»؛ لأن هذا خاص بالسلطة والرؤساء، وأسأل الله أن يحفظكم من ضُرٍّ يمسّكم إن تكاثر الرؤساء.

«صاحبي»!!

هل من كلمة في اللغة تفيك حقَّك بيننا!!

وهي في القرآن الكريم

﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذْ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا﴾

ومنذ أنشد امرؤ القيس:

«بكى صاحبي لما رأى الدرب دونـــه،

وأيقن أنّـــا لاحقـــــانِ بقيصـــرا»

إلى أن نادى مالك بن الرّيب:

«فيـــــا صاحبـــــي رحلـــــي»

وكأنّ «كُثيرًا» كان يرد عليه:

«خليلـــي هـــذا ربـــع عـــــزّة....»

.....

ومنذ ذاك الزمان في ربيع الأمة ونحن «صحبٌ»، و «أصحاب»... والنداء فيا صاحبيّ... أو «فيا صاحبًا»...

أبا أحمد،

أكتب عن حضورك، وقد افتقدتك في غيابك الطارئ الأخير، فناديت يوم افتتاح مؤتمر المجمع:

يعـــــزّ عليّ حين أدير عينـــــي
أفتّش فـــي مكانـــك لا أراكـــا
ولـــو أنّـــي استطعتُ خفضـــت طرفـــي
فلـــم أبصـــرْ بـــه حتـــى أراكـــا

أبا أحمد،

تلك يافا على مرأى وردة من القلب، وليس من حقي أن أنافسك عليها، ولا أن أجرح التذكّر الذي في روحك عنها، لكنني، وقد عاينت سطورًا لياقوت الحموي منشورة في مقدمات «تهذيب اللغة للأزهري» (الهروي) عن مدينة هَراة؛ وهي إحدى المدن العظيمة ـ آنذاك ـ في خراسان: «ولم أرَ بخراسان عند كوني بها سنة ٦٠٧ مدينة أجلّ ولا أعظم ولا أفخر ولا أحسن ولا أكثر أهلًا منها. فيها بساتين.. ومياه.. وخيرات.. محشوّة بالعلماء.. وقد أصابتها عين الزمان، ونكبها طوارق الحُدثان، وجاءها الكفّار من التتر فخرّبوها حتى أدخلوها في خبر كان، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون وذلك في سنة ٦١٨....».

أرأيت أيها العالم.. تلك مدينتك الأولى، وهل ترى معي كيف أن «محشوة» هذه لم تكن تقع في نصف أجمل ممّا هي عليه الآن!!

أعود إلى التذكّر..

ها نحن معًا ذات مساء في قصر بسمان، نتقاسم التعليم والثقافة، معنا أكاديميون أو قلة

من هذا «الجنس» في العلماء، والدّنيا لا تهدأ من حولنا، فتعلّمت منك صبر العالِم، وأناقته، ودقّته.. ومرّ زمان يصل إلى عقدين ونصف،

فكنّا معًا في المجمع.. كلّ شيء خطر بالبال إلاّ أن تعلّم درسًا جديدًا في خُلُق العلماء.. أنا رئيس للمجمع بعددٍ من الأصوات مقبول، أما أنت فنائب للرئيس بالأصوات كلها.. سامحك الله يا أبا أحمد... والله ما رأيتُ نفسي قبلك في أمر... لكنّ فرحي كان هائلًا؛ لأنني حين كنا رفيقيّ سفر إلى الرّياض، عرفت أن الرئيس الأول في الوفد لا يخفى على العلماء هناك، وكنت أنت الرئيسَ والصاحبَ والصديق.

أبا أحمد،

أدوّن هنا من قصيدة لممدوح عدوان عنوانها: «ولا تحسبنّ»:

إن فلسطينَ من جيلِنا،

طفلةٌ كبُرت في الهموم التي فاجأتنا صغارًا

وجاءت فلسطين نحو القرى كلمة في كتاب

وأهل القرى يجهلون القراءة

جاءت غناءً وهم يطلبون الرّغيف

...

فلسطين عمرٌ لنا، وملامحُ وجهٍ وعشقٌ...

وها أنت، لا زلت فينا، تمدّ قنطرة نحو يافا، وتُعلي مسجدًا شرقي البلاد، ومدرسة غربها، وتقرأ أسئلتي الحائرة في السياسة والديمقراطية والتكنوقراط، فما عُدت أعرف وصفًا لنا نحن الذين خرجنا من المدارس البسيطة وواجهنا غبار الطرق، وهجير الاستعباد، ثم

غلبت الحيرة عليهم في تصنيف أبناء الفلاحين والقسر، فقد كبروا، وتجاوزت أسئلة المرحلة إلى وعيهم العالي، بينما الجامدون والجاحدون والخائفون يقودون قطار المرحلة العثمانية بالعقلية نفسها إلاّ من بدّل العثماني بآخر بريطاني..

لقد امتدّ هذا الزمان الشقيّ بنا حتى رأينا الأمة ممزّقة على قارعة التاريخ، وحين أطلّ الربيع كثرت مناجل قوى الضدّ (بين رجعي ومستلبٍ وعميل) حتى ماتت السنابل وهي بعدُ في أوّل النهار..

فيا صاحبي،

أنا لا أتذكّر شيئًا عنك الآن، فلسنا من الماضي، ولسنا في رحابه، نحن ما نزال ـ كما أنت، عقلٌ يتوهّج بين أيدينا في الجامعات التي كنت بين من جعل رايات الإبداع والحرية فيها حاضرة، ونحن وعيٌ لا يمكن تجاوز دوره، فجيلنا هو الذي نقل الوطن، وأجزاء من أرض الأمة، إلى الوعي الوطني والقومي في مواجهة بقايا الزمن العثماني، الذي ظلّ فينا على الرغم من ثورة العرب، وأجهز على ادعاءات الاستعمار في بلادنا، يوم تكشّف وجهه القبيح فيما وقع لفلسطين.

نحن بعض هذا،

وهذا ليس في باب الادعاء،

بل هو في باب الضرورة يوم اختلطت الأمور، ووقع الاضطراب الذي نحن فيه.. ورأينا أمّهات العواصم تحت سيطرة العلوج.. هل تتذكّر بيروت وبغداد أم نسينا ذلك!!

أيّها المعلّم،

دُلّني على المزيد من صفحات الرّضا، ومعنى الحياة.

ويوم دار حوار حول قول ديوجين:

«يكون الأسد حبيسًا، ولكن لا يجعله الحبس عبدًا»

ويوم كنّا نرى الحريّة حريّة الأمة «قاب قوسين أو أدنى».

بإيقاعك العذب وأنت شيخ بين العلماء، وعالمٌ بين الشيوخ، أيّها الجدول العذب منذ أوّل زمان في يافا إلى زمانك في عمّان، وما بين هذا وذاك.. زمان الوحدة بين ضفتي النهر، وصبغ ذلك الزمان من رؤى، وتاريخ، وآمال عذاب.

كنت سأبدأ من اليرموك وأنت تلمّ جراحها، وتهدهد أجزاءها، أو من الهاشمية وأنت تجلب لها نهرًا ما تزال تغرف منه،

وما غابت عنك الأندلس ولا عنّي..

وما نزال بأوجاعنا العذبة نستغيث، وأرى في صمتك المهيب حكمة أراها أيضًا في ساعات غضبك النبيل؛ سواء أكنا في المجمع، أم في لجان المناهج، أم في مجلس الوزراء.... ومهما استبد بنا السؤال الصعب: هذه الأمة إلى أين.. وأتذكر أن العربي عمر فاخوري قد نشر كتابًا سنة ١٩١٣ وهو في التاسعة عشرة عنوانه: «كيف ينهض العرب؟»

وقد نشرت بحثًا فيه منذ ثلاثين عامًا؛ لذلك أقترح في هذا الصّباح الكريم، ومن منبر هذه المؤسسة العزيزة:

أن تعقد المؤسسة مؤتمرًا بهذا العنوان، وأضيف أن الكتاب الذي غاب سبعين عامًا موجود، وأن الفتى الذي حكم بالإعدام ثم اختفى حتى جلاء «الاتحاد والترقي» يستحق التكريم.. لا أقول إنّ المؤتمر عنه، بل عن أزمة الأمة، ومن كان لا يدرك بعد أنها في أزمة، فالدعوة له بالرحمة والغفران..

فسلام على الصادقين اليتامى في أرض الأمة،

سلام ما هبّت الرّيح حبًّا وجنوبًا،

سلام لشهداء فلسطين والأردن منذ أن خرجت كتائب العرب في الثورة، ويوم أن خرجت ثلاث جنازات من سجن عكا... وامتد الغناء الحزين: «من سجن عكا طلعت جنازة».

سلام إلى أن تستيقظ الأغلبية الغافلة أو الممتدة في رمال النسيان،

أقول:

ما زال النفط يتسرّب من بين أصابعنا،

والورد يذبح في شوارع مدننا

والجيل الغاضب يسكب على الدم نجيعًا ويزيد،

وقد دهمتنا أدواء الأمية والعامية، والإرهاب، والتطرّف، والانغلاق، والفتاوى التلفزيونية، والتغريب، والاستلاب...

والأمرُ له علاج واحد في ثلاثة:

«الحرية ـ والوعي ـ والعلم»

لذلك لا بدّ أن نبدأ الدرس الأول:

«تعليم الحريّة للمضطهدين»

والدرس الثاني: إذا الشعب يومًا أراد الحياة.

والدرس الثالث: وكتابه في الشهداء.

والدرس الرابع: اللغة المقدّسة.

والدرس الخامس: خطبة محيي الدين بن الزكي يوم تحرير القدس/ بحضور صلاح الدين.

.. وهناك دروس ودروس.. والله أعلم.

أيّها الصاحب،

لقد سبقتنا إلى كثيرٍ مما كنّا نتمنى..

وأنا واحد من هؤلاء،

لذلك أقول لك:

«ما حيلتي وخطاي أقصرُ من خطاك»!!

وكان الذي سبقت إليه في سبيل وطنٍ تعلّمنا من حركة الزمان على الجغرافية أنّه في قلب أمّة عظيمة، وأنّ الذين توحّدوا في التعليم من خريجي الكلية العربية والسلط الثانوية قد مهّدوا لإنجاز في التعليم والوعي هائل.

أمّا الذين توحّدوا من أهل القرى والمدارس الطينية على ضفتيّ النهر فكان عليهم عبء الامتداد الأفقي للوطن والأمة، وهم ـ كما نحن ـ أبناء رجال كل واحد منهم كان «حرّاث الأرض» و«حرّاث المنايا».

ولك التحية والسلام.

مـــــــــن معيـــــــن الذكريـــــات

د . عزت جرادات *

في البدء، أشيد بمؤسسة عبدالحميد شومان، ودورها التنويري في مختلف برامجها، كما أعرب عن التقدير لسلسلة (ندوة ضيف العام) التي تنظمها المؤسسة، بمنهجية علمية تشد الاهتمام إليها، ومع إدراكي للاختيار الراقي الذي تتسم به هذه الندوات، ضيفًا وكتابًا، فإن اختيارها هـذا العـام (٢٠١٩) لشخصيـة متميزة، أكاديميًّا وتربويًّا، وذات مناقب حميدة، ومزايا علمية، وعطاء ثرّ في حياتها المهنية، أعني الأستاذ الدكتور (محمد أحمد حمدان)، يبعث الاعتزاز لدّي بأن أسهم في هذه الندوة، تكريماً لأستاذ وصديق وزميل على مدى نصف قرن ونيّف، وفي الوقت نفسه أعرب عن الشكر والتقدير لمؤسسة عبدالحميد شومان، ولقيادتها التي تتميز

* وزير التربية والتعليم الأسبق.

بالكفاءة العالية، والرؤية الإدارية الحصيفة، والارتقاء بدورها في تعزيز المسيرة الثقافية في الأردن الغالي.

أستذكر، من مخزون الذكريات الجميلة، ذات يوم من خمسينيات القرن الماضي، وعلى مسرح صرح تربوي ريادي، أسهم في بدايات مسيرة التعليم العالي في الأردن أوائل الخمسينيات، وقدّم للتعليم أفواجًا من المعلمين المؤهلين، آنذاك، على مسرح (دار المعلمين) في عمان... التي تمّ اغتيالها أواخر القرن الماضي، بقصر نظر، وكان يمكن أن تتحول إلى (كلية المعلمين). على ذلك المسرح في ذلك اليوم: وقف المربي المبتسم الحازم، المرحوم الأستاذ عبدالحميد ياسين، وعلى يمينه جلست نخبة من كبار الأساتذة المربين الفضلاء، منهم من توفاه الله إلى رحمته، ومنهم من ندعو لهم بطول العمر والعطاء، وكانوا الأساتذة: عبدالرحمن الكيالي، المفكر الفلسفي، وألبرت بطرس، جهبذ اللغة الإنجليزية، ومحمد كمال الحسيني، الكيميائي الهادئ، وغازي عودة، الفيزيائي الحاذق، ومحمد جميل (أبو الطيب)، عميد الرياضة والرياضيين، ومحمد أحمد حمدان، عالم الرياضيات، بالإضافة إلى مجموعة من أساتذة (الدار) مدرسي صفيّ إعداد المعلمين. ولا أريد أن أسهب في ذكر أسمائهم، وكانوا يجلسون في الصفوف الأمامية. وعلى يسار المرحوم (أ.ياسين) جلس عشرون طالبًا من أوائل ألوية المملكة، بضفتيْها، كانوا من أوائل المدارس العامة والخاصة: كلية الحسين، وإربد والسلط والكرك والطفيلة ومعان ونابلس والخليل وجنين وطولكرم والقدس، ومن مدارس الفرير والمطران وتراسنطة، فكانت المدارس العامة والخاصة في سوية متقاربة، نتائج وخريجين، وكانت جلسة تعريفية فريدة من نوعها بين أساتذة وطلبتهم.

كان هؤلاء الطلبة العشرون يمثلون أول، وربما آخر تجربة فريدة تمت باتفاق بين وزارة التربية والتعليم والجامعة الأمريكية في بيروت؛ لافتتاح (صف الفرشمن)، وكانت تلك

النخبة من الأساتذة هي التي أوكلت إليها مهمة تدريس ذلك الصف، وكان لي شرف التلمذة على أيديهم، والالتقاء معهم في العمل في الميدان التربوي، في مراحل ومجالات مختلفة، في ما بعد، وبخاصة شخصية (ندوة ضيف العام ٢٠١٩)، الأستاذ محمد حمدان.

وكان هؤلاء الأساتذة نماذج تربوية سامقة، جمعوا بين إيجاد التواصل العلمي مع أولئك الطلبة، أو بناء علاقات الود والاحترام المتبادلين في ما بينهم، والتي استمرت أينما وجدوا.

وقد تميّز منهم أستاذان يتمتعان بفتوة الشباب، ودماثة الخلق، والتواصل الاجتماعي، كان ذلكما الثنائي هما (أبو الطيب) الرياضي، و(محمد حمدان) الرياضي والكشافي، يقودان النشاط الرياضي الصباحي، والأيام الرياضية مع المعاهد التربوية المناظرة، وكان الفوز دائمًا حليف فريق كرة الطائرة بقيادة الثنائي: أبي الطيب ـ حمدان.

وكانت الرحلة الرياضية ـ العقلية بقيادة ربانها، الأستاذ محمد حمدان، أستاذ الرياضيات، الذي حوّل مادتيْ المنطق الرياضي/ الرياضيات المنطقية Mathematical Logic وعلم التفاضل والتكامل Calculus إلى رحلة ممتعة من (السهل الممتنع) إلى (السهل الممتع). كانت هذه المهارة في تدريس الرياضيات، التي امتاز بها (د. حمدان)، من عوامل اكتسابه احترام طلبته، ونواة لعلاقة الود والاحترام المتبادلين التي تجذرت ونمت، سواء في ميادين العمل العام الاجتماعي والفكري والثقافي، أو في مجال العمل الرسمي، لمن أتيحت لهم الفرصة لذلك، وكنت محظوظًا أن نلتقي معًا في ميادين مختلفة، فكرية وثقافية، وفي ميادين العمل الرسمي؛ فقد تسلم حقيبة وزارة التربية والتعليم على فترتيْن، رافقته فيهما في قيادة تلك المؤسسة التي بها نعتز، ولها نحمل الإجلال والاحترام، وبمنجزاتها التاريخية نفتخر؛ وكان التوافق بيننا تلقائيًّا في الرؤى الفكرية والتربوية، وكذلك كان الانسجام في السلوك الإداري.

انعكس التأهيل الأكاديمي الرياضي للدكتور حمدان على سلوكه الإداري. وإذا كانت البيروقراطية، علميًّا، تعني طريقة التنظيم الإداري؛ لتمكين العاملين في أي مؤسسة من العمل بطرق متوافقة، وبتجديد الأدوار لمستوى القيادات الإدارية، رأسيًّا أو أفقيًّا، بالإضافة إلى التخصصية، والقواعد المعيارية لتنسيق العملية الإدارية، إذا أخذ بهذا المفهوم العلمي أو الإداري للبيروقراطية، فقد كان السلوك الاداري للدكتور حمدان يتسم بهذه الصفة، فقد كانت العدالة والأسس من أساسيات أخلاقيات السلوك الإداري عنده، كما كانت منظومة التشريعات والسياسات والمعايير تشكل الطريقة التي تدار بها المؤسسة؛ لتمكينها من تحقيق أهدافها من جهة، و تقديم الخدمة للمواطن بنزاهة وعدالة من جهة أخرى. وفي إطار هذا المفهوم للحوكمة الإدارية، كانت معظم إجراءات التعيينات والترقيات الإدارية والتنقلات، على سبيل المثال لا الحصر، تتم بتلك الروح من النزاهة والعدالة والشفافية، في وقت كانت فيه بعض القرارات للمؤسسة التربوية وسياساتها تتخذ أو ترسم بأفق إداري يكاد يكون في عداءٍ مع المجتمع.

ولعلي في هذا الجانب، أستذكر بعض الملامح التربوية- العملية، التي تُسجل بداياتها للدكتور حمدان:

ففي أواخر الثمانينيات، نشرت (التايم الأمريكية) ترتيب الدول، عالميًّا، في أداء الطلبة في العلوم والرياضيات، وجاء الأردن في المرتبة الأخيرة، قبل البرازيل، للدول المتقدمة للاختبارات الدولية، فوضعت الوزارة خطة تحفيزية للطلبة والمعلمين لرفع مستوى الأداء التعليمي- التعلمي، وللتهيئة للمشاركة في تلك الاختبارات، بكفاءة عالية، وإعداد مكثف وإشراف متخصص، وكان ذلك حافزًا قويًّا للارتقاء بأساليب تدريس العلوم والرياضيات، كما أدى ذلك إلى تحقيق نتائج أفضل في تلك الاختبارات الدولية في ما بعد.

وإيمانًا بأهمية البحث العلمي، وتشجيعًا لطلبة الصفوف العليا في اكتساب مهارة التفكير العلمي، وممارسة الأسلوب العلمي في الأبحاث، ولتمكنيهم من المشاركة في أول برنامج تضعه اليونسكو بعنوان (نحو جائزة نوبل لطلبة التعليم العام)، فقد تم إعداد دليل الطالب في البحث العلمي، وتهيئة الطلبة المتفوقين وإكسابهم تلك المهارة العلمية، وفاز عدد من الطلبة، ذكورًا وإناثًا، بجوائز اليونسكو في مهارات البحث العلمي: نحو جائزة نوبل.

وفي مجال امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة (التوجيهي)، كان التخطيط لإدارة الامتحان، حاسوبيًّا، سواء في مستوى الامتحان لمراعاة الفروق الفردية بين الطلبة، متوسطين ومتفوقين ومتميزين، بنسب متفاوتة، أو في إجراءات التنفيذ، وإعلان النتائج، وكان الإعلام، والمجتمع يترقبان ذلك الموعد، ولم يتردد حمدان في قبول مبدأ الإعلان عن موعد النتائج في أول يوم للامتحان، وتمّ ذلك لأول مرة، وصدق الوعد، واستمر ذلك النهج سنوات قبل أن يتوقف.

أما على صعيد المعلم ومهنة التعليم، فقد خرجت الوزارة في حينه بمشروع يهدف إلى تجويد العملية التعليمية- التعلمية، من خلال الارتقاء بالعنصر الرئيسي فيها، اقتصاديًّا واجتماعيًّا، بالإضافة إلى ما تقوم به الوزارة من برامج التأهيل والتدريب، وكان ذلك بوضع مشروع للاعتراف بالتعليم مهنة، لها واجباتها وامتيازاتها، ويتمثل أول الامتيازات بخطة عشرية لزيادة علاوة التعليم، بنسبة لا تقل عن (٥٪) سنويًّا؛ لتصل إلى (١٠٠٪)، وتثبيت ذلك في سياسات إعداد الموازنات السنوية، ولم يكتب للدكتور حمدان معاصرة بدء تطبيق الخطة، فعمر الوزارات كان قصيرًا، حيث استمر تطبيقها إلى أن وصلت إلى (٥٠٪)، وتوقفت عام (٢٠٠١م)؛ ليتمكن المعلمون في ما بعد من فرضها بنسبة (١٠٠٪)، ومن ثم تأسيس (نقابة المعلمين) مع موجة الربيع العربي.

ويمكن الإشارة إلى مساهمتين تربويتين كان للدكتور حمدان دوره فيهما، وقد أتيح لي المشاركة فيهما أيضاً:

كانت الأولى عالمية، وهي تلك الرحلة الشاقة عبر (بانكوك) في تايلاند للمشاركة في ذلك اللقاء العالمي: (مؤتمر جومتيان للتعليم الأساسي/ الابتدائي للجميع بحلول عام (٢٠٠٠)). وعقد ذلك المؤتمر مطلع التسعينيات من القرن الماضي البنك الدولي، ومنظمة اليونسكو، ومنظمة العمل الدولية، ووكالة الأمم المتحدة للإنماء، ووكالة الولايات المتحدة للتنمية.

واشتمل المؤتمر على التعريف بالهدف الرئيس، وهو «الحق في التعليم... حق إنساني»، وناشد الدول وضع خططها وبرامجها لتحقيق التعليم الابتدائي للجميع، وقدمت المنظمات الراعية للمؤتمر إطارًا مرجعيًّا للتعاون الدولي ومساعدة الدول، فنيًّا وماديًّا؛ لتحقيق ذلك الهدف، وقدم الأردن أنموذجًا رياديًّا في خطة وطنية أشادت بها المنظمات الراعية، وشكلت التزامًا تربويًّا وطنيًّا نحو تحقيق (التعليم الأساسي للجميع بحلول عام (٢٠٠٠))، ويمكن القول إن هذه الخطة من الخطط المحدودة التي تمّ الالتزام بها وطنيًّا، فالتعليم الأساسي (ومدته عشر سنوات في الأردن) قد تحقق لجميع الأطفال ممن هم في سن التعلم الأساسي (٥-١٦ سنة)، ومن الجدير بالذكر أن النسبة العامة للقرائية في الأردن للفئة العمرية (١٥ فأكثر) قد وصلت إلى (٩٥٪)، وتبلغ نسبة المتعلمين دون الثانوية العامة (٥٥٪)، ونسبة مستوى الثانوية العامة (١٥٪)، وثمة (٨٪) بمستوى الدبلوم المتوسط، و(١٧٪) بمستوى التعليم الجامعي، أما نسبة الأمية فانحدرت إلى (٥٪)، وتعبر هذه النسب عن البعد الكمي في التعليم، ولا مجال للتعرض إلى المستوى النوعي ونسب البطالة العامة (١٩٪+)، وبخاصة نسبة البطالة الشبابية (١٥-٢٤) التي تصل إلى (٤٣٪)، فهي خارج الموضوع.

وكانت الرحلة إلى (جومتيان)، تلك القرية النائية في تايلاند، شاقة بالفعل، لكنها كشفت عن المهارات الكشافية التي يتمتع بها د.حمدان، وأعادتنا إلى ذكريات شبابية كشافية.

أما الإسهام الثاني الذي يمكن الإشارة إليه، فكان على المستوى العربي، فقد شارك الدكتور حمدان في ندوة متخصصة عالية المستوى، بحضور خبراء من البنك الدولي واليونسكو والمملكة المتحدة والباكستان ومصر والأردن، وعقدت تلك الندوة في الرياض بدعوة من مؤسسة (أجفند) التي يرأسها المرحوم سمو الأمير طلال بن عبدالعزيز؛ لدعم المنظمات المنبثقة من الأمم المتحدة، وكان موضوع الندوة (حاجة المجتمع العربي لجامعة عربية مفتوحة)، وقدمت فيها دراسة بعنوان (مدى حاجة المجتمعات العربية لجامعة عربية مفتوحة)، في حين كانت مشاركة د.حمدان بتقديم دراسة حول: (الإمكانات المادية والفنية والبشرية لتأسيس جامعة عربية مفتوحة)، وقدم فيها خطة شاملة، فنية وإدارية ولوجستية كمتطلبات لتأسيس الجامعة، وآليات التنفيذ والإعداد لكل مرحلة، والاعتراف بها أكاديميًّا.

وانتهت الندوة بتكليف د. حمدان بتولي مرحلة التأسيس، ودعمًا لمهمته، وعلى أمل أن تكون إدارتها في الأردن، فقد زودته بالتزام رسمي/ خطي من دولة رئيس الوزراء آنذاك، د. عبد الرؤوف الروابدة، بتخصيص ثلاثة دونمات من أراضي الدولة لإقامة المقر الرئيسي للجامعة؛ أي مقر الإدارة الرئيسية في الأردن.

وكانت نتيجة هذه المشاركة تأسيس (الجامعة العربية المفتوحة)، التي تولى د.حمدان مراحل تأسيسها، ومن ثمّ رئاستها ومستشارها، واستفادت من هذه الجامعة أفواج من الخريجين في الأردن، في تخصصات إدارة الأعمال، والدراسات التربوية والتكنولوجية، وفي الصحافة والإعلام وغيرها.

لقد حاولت، بأقصى درجة من الموضوعية، وأقل درجة من تأثير العلاقة الشخصية،

أن أقدّم شذرات من ذكريات تاريخية أو ذكريات تاريخ تربوي يوصف بالتاريخ غير المكتوب، لكنه مدون في الذاكرة، ويكتسب درجة عالية من المصداقية، فهو يعبر عن مواقف وتجارب وأفعال ترجمت على أرض الواقع التربوي، وكنت، بتواضع شديد، شريكًا فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد حرصت على عرضها بما تستحق من أهمية واهتمام، ولم أتطرق إلى جوانب أكاديمية وتربوية عديدة لشخصية عالم جليل كبير تولى أكثر من ثلاثة وثلاثين منصبًا قياديًّا في مؤسسات أكاديمية وعلمية وثقافية وتربوية، إضافة إلى المشاركة في السلطتيْن التشريعية والتنفيذية في الوطن، وكانت له مشاركة في عضوية المؤسسات الأكاديمية والتربوية والثقافية تزيد على ثلاثين عضوية، وقدم للمعرفة العلمية أكثر من مائة وخمسين بحثًا أو دراسة أو مؤلفًا؛ ولعل ذلك يقع خارج إطار هذا التقديم، على الرغم من أنه يبعث على الاعتزاز.

ويمكنني أن أختتم بمقتطفات من رسالة موجهة إلى وزير التربية والتعليم، في وقت سابق، أقتبس منها:

«لقد تم إيفادي للحصول على درجات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، وأتيحت لي فرص العمل مدرسًا وموجهًا تربويًّا، ومديرًا لدار المعلمين في عمان، وأستاذًا ورئيسًا لجامعات رسمية أعتز بها، وكذلك مناصب وزارية وعينية (مجلس الأعيان).

وعرفانًا مني بهذا الفضل الذي أفاضه عليّ وطني الغالي الأردن، فإنني رأيت، في هذه المرحلة من سيرتي الحياتية، أن أقلَّ القليل مما استطيع تقديمه لوزارة التربية والتعليم، هو الإسهام في تعمير مدارسها.

ومن هذا المنطلق، فإنني أرغب بالتبرع بمبلغ مقداره (٢٠٠٠٠٠) مائتا ألف دينار،

أرفق كدفعة أولى منه شيكًا بمبلغ (١٠٠) مائة ألف دينار، باسم (وزير التربية والتعليم بالإضافة لوظيفته)، وسيتم تسديد المبلغ المتبقي بترتيب لاحق».

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام،،،،

التوقيـع

محمد أحمد حمدان (معلم متقاعد)

وفي هـــــذا مسك الختـــــام

محمد حمدان الحافظ درسه جيدًا

د. محمد الحلايقة *

خلال رحلة الحياة، تتشابك في مخزون الذاكرة صور وأسماء وأماكن وأعمال عديدة، يتم فرزها في إطارات ثلاثة: المكان والزمان والإنسان. وخلال الرحلة يبدأ مخزون الذاكرة بالتلاشي تدريجيًّا، إحلالًا أو إهمالًا؛ أي أن جزءًا من المخزون تحل محله عناصر جديدة؛ أو أن تراكم المخزون ينتج عنه إهمال جزء منه، في إطار عملية النسيان الطبيعية.

غير أن جزءًا لا بأس به، يبقى صامدًا لا يطاله الإهمال أو الإحلال، حيث تبقى في الذاكرة الحية صورة لمكان جميل سبق وأن زرته أو أقمت فيه، أو صورة تاريخ معين شهد حدثًا مهمًّا في حياتك، لكن

* رئيس المنتدى الاقتصادي الأردني.

الأهم من ذلك والأجمل منه، صور بعض الأشخاص الذين مرّوا بك أو مررت بهم، أو عاشرتهم واختلطت بهم في مرحلة ما من حياتك.

لا أتحدث عن صورة الأم أو الأب أو الزوجة أو الابن أو الابنة أو الأخ أو الأخت، أو غيرهم في سلسلة النسب والقربى، بل أتحدث عن آخرين حفظتهم ذاكرتك صورة حية ترتبط بقيمة سامية أو خلق رفيع أو إنسانية متجلية، أو إنجاز رفيع أو معروف، قدّموه في وقت ضيق، أو صحبة لم تشبْها المصلحة والأنانية، ولم تفسدها ماديات الحياة، فبقيت طاهرة نقية.

فكل منا يحتفظ بصورة لمعلم مدرسة متميز تتلمذ على يديه؛ أو طبيب إنسان تعامل معه، أو أستاذ جامعي تلقى عنه العلم في إحدى الجامعات، وغير ذلك من الشخوص الذين تركوا بصمة في ذاكرتنا.

كان الأستاذ الدكتور محمد حمدان، واحدًا من مجموعة مميزة من الأشخاص الذين بقيت صورتهم حية في الذاكرة؛ إذْ ترتبط صورته بالقيم السامية والخلق الرفيع، والإنسانية المتجلية والإنجاز الرفيع. عرفته عن بعد في مرحلة ما، عندما كان أمينًا عامًّا للمجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا، وربما كان ذلك عام ١٩٩٩، عندما كنت أمينًا عامًّا لوزارة الصناعة والتجارة ، ثم شاء الله أن نجتمع سويًّا وزراء وزملاء في حكومة دولة علي أبو الراغب، حيث شغل معالي أبو أحمد وزارة التعليم العالي والبحث العملي، وكنت نائبًا لرئيس الوزراء، وبهذه الصفة أترأس لجنة التنمية للشؤون الاقتصادية أو مجلس الوزراء المصغر، المعني بقضايا التنمية، وخاصة الاقتصادية منها.

وتعرفت، بشكل أوضح وأعمق، على معالي الأستاذ الدكتور محمد حمدان، الشخصية الدافئة الدمثة، خلال العمل الحكومي، وتسنى لي أن أقترب أكثر منه، وكان ما يميزه في

التعامل الرزانة والاتزان، فهو لا يحب الإطالة في الحديث، ويحفظ درسه جيدًا، ويدلي برأيه في الوقت المناسب، ولا يقاطع أحدًا في حديثه، ويكره أن يقاطعه أحد، وهدوء شخصيته أضفى عليه مهابة، وحظي باحترام زملائه.

يدافع عن رأيه وموقفه بلا تزمت، ويشارك الآخرين بفكره، من دون أن يتجاوز حدود زملائه أو اختصاصهم، وتواضعه الجم سمح له بأن يسأل ويستفسر عن القضايا التي لا يشملها مجال عمله.

كان إيمانه كبيرًا بأهمية البحث العملي، ودوره في التنمية والنهضة، وأنه لا بد للجامعات أن تعيره اهتمامًا أكبر.

تداولت ذات مرة معه في أمر استقلالية الجامعات، وحينها كان التعليم العالي في الأردن أفضل حالًا، فكان رأيه أن الاستقلالية المنضبطة أمر ضروري، ولا يجوز للوزارة أن تصادر حق الجامعات في استقلاليتها وإدارة شؤونها، وفي المقابل فإن على الجامعات أن تلتزم بمعايير الأداء وجودة المنتج.

هذا غيض من فيض بحق أُستاذنا محمد حمدان مما أسعفتني به الذاكرة، وهي الذاكرة ذاتها التي ستحتفظ بصورة إنجازاته وجهوده التي بذلها في خدمة وطنه وأمته.

حمـــــدان واستقلاليـــــة الجامعـــــات

د . عبد الله موسى *

تقاطعت مسيرتي مع مسيرة الدكتور محمد حمدان في الزمان والمكان، فقد كان أستاذًا في الجامعة الأميركية حين كنت أحضر رسالة الماجستير فيها، وكان عميدًا في الجامعة الأردنية حين كنت أستاذًا في كلية الزراعة، وكان رئيسًا لجامعة اليرموك، وتبعته بعد زمن في رئاستها. وعندما كان وزيرًا للتعليم العالي والبحث العلمي كنت عضوًا في مجلس التعليم العالي الذي يرأسه، وزاملته في مجلس الأعيان، ولي به وعليه رأي كإنسان. واسمحوا لي أن يكون حديثي حول هذه المحطات.

في سبعينيات القرن الماضي، كانت الجامعة الأميركية في بيروت تزخر بالطلبة الأردنيين في تخصصات مختلفة، وشاء القدر أن أكون

* أستاذ أمراض النبات الفيروسية، عضو مجلس الأعيان الأردني سابقًا.

أحد هؤلاء الطلبة الذين لم يخفوا اعتزازهم وفخرهم بوجود أساتذة أردنيين في هيئتها التدريسية، أذكر منهم الأساتذة الأجلاء مخلوف حدادين وأسامة الخالدي ومحمد حمدان. وكان ثلاثتهم ملجأً للطلبة الأردنيين، يقصدونهم للمشورة والمساعدة، ولم يتوانوا أبدًا عن تقديمها، وشكلوا، بمجموعهم، مثلًا أعلى للطلبة الأردنيين.

وفي غمرة تأسيس جامعة اليرموك العتيدة، كان دولة الأستاذ الدكتور عدنان بدران منهمكًا بالبحث عن الكفاءات الأردنية في المهجر، وكان الدكتور حمدان أحدهم، فاستقطبه عام ١٩٧٦ عميدًا لكلية الآداب والعلوم، فانخرط وشارك بتحمل أعباء الإنشاء لمباني الجامعة المؤقتة، التي ركبت على عجل من ألواح مصنعة مسبقًا، في سباق مع الزمن؛ لإيواء عائلات أساتذة الجامعة، وإنشاء مبنى للتسجيل.

وفي عام ١٩٨٦ عاد الدكتور حمدان رئيسًا لجامعة اليرموك بعد مرورها بظروف صعبة، وكما كان، دومًا، فقد أنجز الكثير للجامعة التي أنشئت على حيز صغير المساحة كان يشغله مستنبت إربد الزراعي، الذي كان سيقيد تطور الجامعة ونموها. وبنظرة استشرافية لتوسع الجامعة المستقبلي، كان لا بد من التوسع المكاني، وذلك بشراء الأراضي المجاورة، فاتخذ القرار. وبتوفيق من الله تم شراء الحرم الجنوبي للجامعة، على الرغم من بعض العقبات التي تم التغلب عليها بمساعدة الخيرين من أبناء الوطن، من أمثال معالي الدكتور صالح الخصاونة. ولولا هذا القرار لما استطاعت الجامعة التوسع الذي شهدته في الفترات اللاحقة.

وفي عهده، أنشئت كلية التربية والفنون، منبثقة من رحم كلية الآداب؛ لتكون أساسًا لإنشاء كلية التربية، وكلية الفنون الجميلة.

ولا شك بأن إدارته كانت تتميز بالحنكة وحسن التصرف، اللذين أضفيا جوًّا من الهدوء بعد عاصفة الجامعة، وكانت قراراته تنم على احترامه الشديد لاستقلالية الجامعة، فقد كان

صلبًا يدافع عن قرارته الإدارية ذات الصفة الأكاديمية أمام المجالس المرجعية، على الرغم من الضغوط التي مورست عليه.

أما في الجامعة الأردنية، فقد تسلم عمادة شؤون الطلبة، حيث عُرف عن الدكتور حمدان ممارسته الرياضة وحبه الشباب والتواصل معهم، وحل مشكلاتهم بروح رياضية. ولا غرو في ذلك، حيث رئس الدكتور حمدان الاتحاد الأردني لألعاب القوى، والاتحاد الأردني للتنس الأرضي. وفي عهده، ازدهرت عمادة شؤون الطلبة، خصوصًا بالرحلات الداخلية لمناطق الأردن ومؤسساته المختلفة، التي كانت تهدف إلى تعزيز روح الانتماء وتقوية أواصر التواصل بين الطلبة ومختلف الكليات، على اختلاف خلفياتهم الثقافية والاجتماعية. وكان الدكتور حمدان يرافق طلبته في بعض هذه النشاطات، خصوصًا زيارة المؤسسات في المناسبات الوطنية.

وأثناء توليه عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية، عمل جاهدًا على إنضاج الأنظمة والتعليمات التي تحكم سيرورة البحث العلمي في الجامعة، خلال سنتين، وتبعها توليه عمادة كلية العلوم. وفي أثناء تسلمه حقيبة وزارة التربية والتعليم عام ١٩٨٩، أُطلق عليه «الوزير الذي يجيب ولا يستجيب»، ولذلك قصة، فقد ترافق عهد الحكومة آنذاك مع مجلس النواب الحادي عشر، الذي مارس ضغوطًا هائلة على الوزراء، كان أبرزها ما يتعلق بطلبات التعيين. وبحكمته وتأنيه وحسن تصرفه، كان يقبل الطلبات ويخضعها للدراسة، بالرجوع إلى ديوان الخدمة المدنية؛ لتبيان دور الشخص المطلوب تعيينه، ومن ثم يُعدّ ردًّا للنائب يتضمن معلومات وأسماء الذين لهم أولوية على ذلك الشخص، مع اعتذار بطريقة لا تخلو من دهاء.

ولتأكيد حياديته في التعيينات، فقد تنازل عن حقه في تعيين الحالات الإنسانية؛ ليدرأ عن

نفسه الضغوط التي قد تحرم صاحب حق حقه. وفي أثناء عمله، كان الدكتور حمدان ميدانيًّا من الطراز الأول، فقد كان يزور المدارس ويتفقد بنيتها التحتية، ويستمع إلى مشكلات المدرسين والطلبة فيها، ولم تكن زياراته برتوكولية؛ بل كانت تترتب عليها نتائج ملموسة، ما كان يولد، غالبًا، سجالًا مع وزير المالية آنذاك؛ للحصول على التمويل اللازم لسد نقص هنا أو هناك.

وفي عهد حكومة دولة الأستاذ الدكتور عبد السلام المجالي الثانية، تسلّم حقيبة وزراة التربية والتعليم والتعليم العالي؛ إذْ أنيطت به مهمة إلغاء قانون وزارة التعليم العالي، ومن ثم إعادة تشكيل مجلس التعليم العالي برئاسة رئيس الوزراء، وذلك لتكريس مبدأ استقلالية الجامعات.

وفي عهد حكومة دولة الأستاذ علي أبو الراغب، كان وزيرًا للتعليم العالي والبحث العلمي عام ٢٠٠٢، وكنت شاهدًا على إدارة معالي الدكتور محمد حمدان لملف التعليم العالي، من خلال ترؤسه مجلس التعليم العالي، الذي كان يتألف، في غالبيته، من رؤساء الجامعات الأردنية الرسمية، وكانت السياسات تُرسم بهدوء، والنقاش يدور بفكر منفتح وديمقراطي. وكان الدكتور حمدان لا يتردد في الوقوف مع استقلالية الجامعات ويؤيد قراراتها الأكاديمية، وما زلت أذكر كيف ساند قرارًا أكاديميًّا اتخذته الجامعة الأردنية يتعلق بعمادات بعض الكليات، على الرغم من الضجيج الذي أثير حول هذه القرارات، والضغوط التي مورست على رئيس الجامعة ووزير التعليم العالي.

أما في مجلس الأعيان، فلقد انخرط في لجان مهمة، كلجنة التربية والتعليم التي رئسها مدة سنتين، ولجنة الحريات وحقوق الإنسان، ولجنة المرأة. وكان، إضافة إلى ذلك، يحرص على حضور جلسات اللجان الأخرى، خصوصًا اللجنة المالية واللجنة القانونية وغيرهما،

وكانت مداخلاته تنم على وضوح في التفكير يلتقط الواردة والشاردة، ويُولي اللغة العربية مكانتها التي تستحق، وغالبًا ما يُلجأ إليه لتوضيح أو لتصحيح سياق لغوي غامض. كيف لا وهو نائب رئيس مجمع اللغة العربية.

وتميزت رئاسته لجنة التربية والتعليم بالجولات الميدانية، التي غطت المملكة من الكرك ومؤتة إلى المفرق والموقّر والسّلط، في زيارات للمدارس والجامعات؛ لتحسس مشكلات الإدارات والطلبة، التي غالبًا ما ينتج عنها جهد شخصي من الدكتور حمدان؛ لجمع تبرعات لمعالجة نقص ما، كما حصل مع مدرسة الموقر أو حضانة أطفال السجينات في الجويدة.

علاوة على ذلك، فلقد تقدّمت لجنة التربية والتعليم، في أثناء رئاسته، بمقترحات لوزارة التربية والتعليم، فحواها الالتزام بما ورد في الاستراتيجية الوطنية لتنمية الموارد البشرية، ومقترحات تتعلق بالبيئة المدرسية، بما تتضمنه من العلاقات البينية داخل المدرسة (طلابًا ومدرسين)، وبين المدرسة والمجتمع المحلي؛ لتصبح المدرسة مركزًا يخدم المجتمع، إنتاجيًّا وثقافيًّا، ومركزًا تدريبيًّا لمهارات مطلوبة في منطقتها.

واسمحوا لي، بعجالة، أن أعرّف بالوجه الآخر للدكتور حمدان كإنسان، فهو ذو إحساس مرهف، يحب الموسيقى الكلاسيكية والعربية. وفي جولاته الطويلة كان، أحيانًا، يدندن بألحان السنباطي بصوت شجي، ينم على إرهاصات إنسانية تمتد إلى شغاف القلب.

والدكتور محمد ودود، يأسر مستمعيه بلطفه وكياسته، وهو محب للخير، يمد يده دومًا للمساعدة، وفي جعبته من ذلك الكثير، أذكر منها:

- جمعه تبرعات بمبلغ ٢,٥ مليون دينار لبناء كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية في الجامعة الهاشمية، في أثناء رئاسته لها، في مرحلة التأسيس.
- كان سببًا ودالًّا على الخير لتبرعات المرحوم سمير شما، مثل: تبرعه بالمسكوكات الذهبية والفضية لمتحف جامعة اليرموك.

- وتبرعه بسكن للبنات في جامعة مؤتة، وقاعة مرافعات في الجامعة الأردنية، وبناء دور المسنين في شفا بدران، وبناء مجمع قاعات التدريس للعلوم الطبية في الجامعة الأردنية.
- وأخيرًا وليس آخرًا، تبرعه من حر ماله بمبلغ ٢٢٥ ألف دينار؛ لبناء مدرسة في عين الباشا، ومبلغ ٢٠٠ ألف دينار لبناء مدرسة في ماركا.

وفي الخلاصة:

لقد كان الدكتور محمد حمدان رجلًا عصاميًّا، خاض غمار الحياة، وكان منجزًا وخادمًا لوطنه، بكل تفان وإخلاص.

الجلسة الرابعة

المؤسسات الوطنية والإقليمية والعالمية

محمّد أحمد حمدان
الإنسانُ المُتعدّدُ الأبعاد، وفارسُ الأرقام

د . همام غصيب *

ـ١ـ

كيف أصفُ محمّد أحمد حمدان؟

حاولْتُ أنْ أجيبَ عن هذا السؤال البريء بالعنوان الفَرعيّ لورقتي هذه. وسأبدأ بالشقِّ الثاني من هذا العنوان. ذلك أنّه مباشر من دون أيِّ تعقيد. فأبو أحمد رياضيّاتيّ إحصائيّ بارع، والأرقام تجري في دمه وعلى أنامله. ولَكمْ اختلسْتُ النظر إليه في غَمرةِ اجتماعاتنا الكثيرة في مَجْمعنا، مجْمع اللغة العربيّة الأردنيّ؛ سيّما أنّ بعضَ هذه الاجتماعات تتضمّنُ حساباتٍ وميزانيّاتٍ ومُوازنات! فأراه يُتمتم، وكأنّه يحسب؛ وأحيانًا يُحرِّك أصابعه، وكأنّه يَعزف! وما زال كثيرون منّا يذكرونــه على شاشــات التلفــاز فــي ختــام

* عضو مَجْمَعِ اللّغة العربيّةِ الأُردنيّ، أُستاذ الفيزياء النّظريّة/ الجامعة الأُردنيّة.

الانتخاباتِ النيابيّة الأخيرة وهو يُحلّل الأرقام ويَحسم الأمور. فكيف فات رؤساءَ الحكومات المُتعاقبين أنْ يَعهدوا إليه بوزارة الماليّة؟!

إلاّ أنّه ـ في خِضمِّ الأرقام ومتاهات الإحصاء ـ يظلّ «إنسانًا»، بكلِّ معنى الكلمة. ولعلّ أهمَّ سِمات إنسانيّته أنّه يضع نفسَه مكان الشخص الذي أمامَه. ويُحقِّقُ ذلك برشاقة ذهنيّة فائقة، ووجدانٍ راقٍ. ويتجلّى ذلك، أكثرَ ما يتجلّى، مع الإخوانِ والخِلاّن. ويُعزِّز إنسانيّتَه هذه إيمانُه النقيّ الراسخ، الذي لا يَشوبُه أيُّ تعصُّبٍ أو فتور. ولا أنسى أنْ أذكر هنا اهتمامه الحثيث، منذ أكثرَ من عَقْديْن من الزمان، بالأخلاقيّات الحيويّة، وأخلاقيّات العلوم والتكنولوجيا؛ فهذه الأخلاقيات وثيقةُ الصلة على نحوٍ أعمق من عميق بحقوق الإنسانِ الكبرى. وتزدادُ أهمّيّة يوْمًا عن يوْم، مع ذاك الطوفانِ الكاسح من الطفَراتِ العلميّةِ والتكنولوجيّة.

بعد ذلك، يأتي التعبير «المُتعدّد الأبعاد»؛ وهو أصلاً تعبيرٌ فيزيائيّ. فمفهوم البُعْد في الفيزياء الحديثة يَتجاوز بكثير الأبعاد المكانيّة الثلاثة: بدءًا من البُعد الرابع (الزمان)، الذي أدخله آينشتايْن في نظريّة النسبيّة الخاصّة، إلى الأبعادِ الأحدَ عشرَ في النظريّة السائدة لنشأة الكوْن. وهنالك معنىً آخَرُ عميقٌ لمفهوم «البُعديّة» في الميكانيكا الإحصائيّة لا مجالَ للخوْضِ فيه هنا. أردْتُ أنْ أقول إنّ أبا أحمد أبعدُ ما يكون عن نموذج «الإنسان الأحاديّ البُعْد»، الذي أصبح على لسان الكثيرين من أصحاب الفكر والقلم في العالم أجمع فوْر صدور كتاب الفيلسوف الألمانيّ البارز هيربرت ماركوزه[1] ذي العنوان نفسه (١٩٦٤). وأقترضُ هنا هذا العنوان؛ لكنْ، خارج سياقه الأصليّ. فالكتابُ أصلاً يُشير إلى الإنسان المُدجّنِ المُروَّضِ بسياط العالَم المُعاصر، البعيدِ عن التفكير الناقد أو التفكير «خارج الصندوق». أمّا المقصود في هذا المقام، فهو ـ باختصار ـ الإنسانُ الضيّقُ الأفق الذي لا لونَ له ولا طعمَ ولا رائحة؛

فمثَلُــه مثَـــل الإنسان الـــذي يرى باتّجاهٍ واحد، مُتعاميًا عن كلّ ما يُسبغُ على الحياة رَوْنقَها.

بالمُفارقة، تأمّلوا ذاك الطيفَ العريضَ من الأبعاد في شخصيّة أبي أحمد. فهنالك البُعد الرياضيّ (من الرياضة البدنيّة)، والرياضيّاتيّ (من الرياضيّات)، والاجتماعيّ، والسياسيّ، والتربويّ، والإداريّ. وهنالك «الفكر العمليّ» الذي يَسعى لترجمة الأطر النظريّة إلى مشروعاتٍ وإجراءاتٍ ملموسةٍ قابلةٍ للتطبيق في الميْدان. والحقّ أنّنا أحوجُ ما نكون إلى الفكر العمليّ هذا في كثيرٍ من الأحيان. صحيح أنّ الفكر النظريّ العميق من أنبل الممارسات الإنسانيّة؛ إلاّ أنّ دوَران عجلة الحياة كثيرًا ما يتطلّبُ إجراءاتٍ عمليّة على أرض الواقع. وأبو أحمد من أساتذة هذا الفكر. ولا أنسى حسّ الفكاهة لديه، خاصّةً حين يترأسُ مجالسَ أو لِجانًا. وحسّه هذا من النوْع العَفّ الذي لا يستهزىء بأيّ مخلوقٍ، كائنًا مَنْ كان؛ ولا يَسفّ أبدًا. أفليس ذلك عُملةً نادرةً في مُجتمعاتنا؟ وغنيّ عن البيان أنّ عُنصرَ الفكاهة يُفرِّج عن كروب النفس؛ فتهدأ وتقلّ حِدّةُ توتُّرها. أضيفوا إلى ذلك طبيعتَه المُتفائلة عمومًا، حتى في أحلكِ الأوقات. فهو يَشعّ «إيجابيّةً». وهذا واضحٌ حتى في رسائله النصّيّة القصيرة التي نتبادلُها ضمن مجموعات التواصُل الاجتماعيّ؛ فمثلما نشير إلى «لغة الجسد»، علينا أنْ ننصتَ إلى «همْس الحروف» فيما أرى! ولهذه الرسائل روْنق خاصّ: معظمُها تحيّاتٌ صباحيّة دافئة تشي بإيمانٍ عفْويّ عميق، وإيجابيّةٍ بنّاءة؛ حتى لو كان صاحبُها (أو مَنْ يُحبّه) على سرير الشفاء. والطريف في الأمر أنّ بعضًا من هذه التحيّات يأتي بُعيْد مُنتصف الليل (وأحيانًا قُبيْل ذلك)! ومرّت مرحلة ما ضمّت فيها الرسائلُ مقطوعاتٍ فنّيّةً رفيعة. والفنّ النبيل يُنعش الروح ويَصقل الوِجدان؛ كما إنّه يكشف عن «إنسانيّة» مُتأصّلة في المرء.

كلّ ذلك لا يَعني أنّ الأمورَ كانت دائمًا وِئامًا في وِئام؛ فأحيانًا كانت ترتفع الأصواتُ

قليلاً، وربّما تهتزّ الأعصاب. إلاّ أنّ ذلك سُرعان ما يَنقشع كسَحابة صيْفٍ عابرة. وأنا أنظر الآن نظرة نقديّة إلى هذه «الهبّات»؛ فأرى أنّها كانت أشبه بـ«رشّة» ملحٍ على الطعام: أقلّ من أنْ ترفعَ ضغط الدم؛ لكنّها كافية لكي تجعلَ الطعام لذيذًا مُستساغًا.

ـ٢ـ

كيف عرفتُ أبا أحمد؟

عُيّنْتُ في الجامعة الأردنيّة، وباشرْتُ العملَ في قسم الفيزياء بكلّيّة العلوم فيها، في ١١/ ١٠/ ١٩٧٥، بعد غياب في إنجلترا دام تسع سنوات (منذ تخرُّجي في المدرسة الثانويّة حتى ما بعد الدكتوراة). كنتُ حينذاك شابًّا يافعًا في منتصف العشرينيّات من العمر. وبعد فصل دراسيّ واحد فقط، غادرَنا عميدُ كليّة العلوم ـ الدكتور عدنان بدران ـ ليُؤسّسَ جامعة اليرموك. ولمْ يَمضِ سوى بضعة أشهر حتى بدأت أسمع باسم أبي أحمد. كان آنذاك، ولمدّةِ سنةٍ إلاّ قليلاً، عميدَ «كلّيّة الآداب والعلوم»، وأستاذًا للرياضيّات في اليرموك. وبعد غياب قصير دام سنةً جامعيّة قي الجامعة الأمريكيّة بالقاهرة، عاد على نحو أكثرَ حضورًا بالنسبة لنا في الجامعة الأردنيّة؛ حيث عُيّن عميدَ شؤون الطلبة وأستاذًا للرياضيّات فيها. وطوال تلك السنين، كانت معرفتي به «عن بُعدٍ» فقط.

ولم يتغيّر الحال إلى معرفةٍ «عن قُرب» إلاّ حين أصبح أبو أحمد عميدَ البحث العلميّ في الأردنيّة. ومن بيْن سائر اللقاءاتِ معه، التي شارك فيها عمومًا عددٌ من الزملاء، أذكر لقاءً على هامش جلسات «مدرسة البتراء الدوْليّة الثانية للفيزياء»، في بواكير خريف عام ١٩٨٣. والتعبير «مدرسة» هنا يَعني تجمُّعًا من أساتذة مرموقين في موْضوعٍ مُنتقىً يُدعوْن من جامعات ومراكزَ علميّةٍ عالميّة، لإلقاء عددٍ من المحاضرات المُتقدّمة في ذلك

الموضوع، أمام المُجتمعِ الفيزيائيّ المحلّيّ (والعلميّ عُمومًا)، بحضور بعض المُشاركين من الخارج[٢]. وفكرة المدرسة جاءت من الدكتور محمّد عبد السلام، عالِم الفيزياء النظريّة الباكستانيِّ الأصل، الذي كان ضمن ثلاثة فيزيائيّين نظريّين حازوا جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٧٩[٣]، وسموّ الأمير الحسن بن طلال، إثرَ منحهما أوّلَ دكتوراة فخريّة من جامعة اليرموك بمناسبة تخريج أوّل فوْجٍ من طلبتِها. وتبنّاها آنذاك عددٌ من الفيزيائيّين الأردنيّين، كان من بينِهم كاتبُ هذه السطور. أقول: التقيْتُ في تلك المناسبة أبا أحمد في مُدرّج سعيد المفتي بكلّيّة الهندسة في الجامعة الأردنيّة. وذكّرْتُهُ أنّني سأغادرُ البلاد فوْر اختتام المدرسة إلى جامعة كورنِلّ Cornell الأمريكيّة، لقضاء إجازةِ تفرُّغٍ علميّ فيها؛ إذْ كنْتُ حينَها أحدَ الذين نالوا جائزة فولبرايت. ثمّ سألتُه إنْ كان بالإمكان دعمي بشراء نُسخ من بحوثي المُتوقّع أنْ أنجزَها وأنشرَها في دوْريّاتٍ عالميّة طوالَ إجازتي العلميّةِ الوشيكة. فوعدني بذلك؛ على أنْ أرسلَ إلى عِمادة البحث العلميّ مُطالباتِ الدوْريّاتِ في حينه. وهكذا كان. فكانت المطالباتُ تُسدّد فوْرًا؛ الأمر الذي أثلج صدري لسببيْن: الأوّل تعزيز صدقيّة جامعتنا الأردنيّة لدى هذه الدوريّات. والثاني أنّ أبا أحمد وعد وأوفى؛ وهذا لعَمْري من شيَمِ الكرماء. ليس هذا وحسْبُ؛ إنّما لاحظْتُ بعد بضعة شهورٍ من ذلك اللقاء أنّ المُطالباتِ أخذت تعود إليّ غيْرَ مُسدَّدة (وكانت سنة التفرُّغ العلميّ تلك غزيرةَ الإنتاج، بحمد الله)! ولمّا استفسرْتُ عن ذلك، علمْتُ أنّ السببَ كان انتقال أبي أحمد إلى عمادة كلّيّة العلوم في الجامعة، وأنّ سياسة عمادة البحْثِ العلميّ تغيّرتْ بعده؛ فلم يعُدْ «دعْمُ النشر» مُمكنًا. كيف تصرّف أبو أحمد حيالَ ذلك؟ واجهَ مَنْ واجه، وأقنعَ مَنْ أقنع، حتى تمكّن من استصدار قرار بإحالة الأمر إلى كلّيّة العلوم لسداد قيمة المُطالبات. وهكذا كان. ألا يدلُّ ذلك على مكارم الأخلاق؟ لله درُّكَ يا أبا أحمد!

كان «عهدُ أبي أحمد» في «عمادة العلوم» (شباط ١٩٨٤ـ تمّوز ١٩٨٦) عهدَ خيْرٍ لي. فقد انتُخبْتُ بالإجماع في تشرين الثاني ١٩٨٤ عضوًا عاملاً في مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، وعُيِّنْتُ فيه بإرادةٍ ملكيّةٍ سامية. كما رُقّيتُ في بواكير ١٩٨٦ إلى رُتبة الأستاذيّة في الفيزياء (النظريّة). وبيْن هذيْن التاريخيْن، كنْتُ بمعيّة عددٍ من الفيزيائيّين العرب في تأسيسِ جمعيّةِ صداقةٍ بيْن المُجتمع الفيزيائيّ العربيّ والمركز الدوْليّ للفيزياء النظريّة في مدينة تريستا الإيطاليّة ICTP[٤]. وشارك أبو أحمد في اللقاء الحافل الذي أقيم بهذه المناسبة في المركز. وتحديدًا، حضر تلك الجلسة التي تصدّيْتُ فيها للترجمة الفوْريّةِ لمُساهمات العرب «المشارقة» («الأنجلوسكسون»!) باللغة الإنجليزيّة إلى لغة عربيّةٍ فصيحة لصالح العرب «المغاربة» («الفرنكوفون»!). وأذكر أنّ أبا أحمد صفّق بحرارة حين قلْتُ، في معرِض ترجمتي: «وإنّ للضرورة أحكامًا». لقد صفّق لأنّي نصبْتُ اسمَ إنّ المُؤخّر، كما يجب طبعًا. وسأعودُ في البَند التالي إلى أبي أحمد مَجْمعيًّا.

وفي تلك الأيّام أيضًا، حدث أمرٌ جليل. كان ذلك في الساعات الأخيرة من «مدرسة البتراء الدوليّة الثالثة للفيزياء»، التي عُقدت في تشرين الأوّل ١٩٨٥، وكان موْضوعها «الليزر: النظريّة والتطبيقات». حضر الجلسة الأخيرة منها، التي تشرّفْتُ برئاستها، سموّ الأمير الحسن ووزير الطاقة والثروة المَعْدنيّة، الدكتور هشام الخطيب، وأمين عام (وكيل) الوزارة، الدكتور إبراهيم بدران. ومع أنّنا أُخبرنا برغبة سموّ الأمير في حضور الجلسة الختاميّة فقط قُبيْل انعقادِها، فقد تدبّرْتُ الأمر بأنْ كلّفْتُ مُحاضرًا مُبدعًا من جامعة «سانت أندروز» الاسكتلنديّة إعطاءَ محاضرةٍ مُبسّطة، من دون إخلال، عن تطبيقات الليزر، وعلى رأسها الألياف الضوْئيّة والاتصالات. وكان من شدّة إعجاب سموّ الأمير بالموْضوع والمُحاضرة أنْ تقرّر تحويل نظام الاتّصالات في بلدنا إلى الألياف الضوئيّة؛ الأمر الذي أدّى – كما يُذكِّرنا

سموّ الأمير في كلّ مناسبة علميّة ـ إلى توفير ملايين الدنانير على خزينة الدوْلة. والحدَث الجليل جاء في ذاك اليوم نفسِه؛ حيث دُعينا ـ الدكتور أحمد سالم (من جامعة اليرموك) وكاتب هذه السطور (من الجامعة الأردنيّة)؛ أي الشخصيْن اللذيْن تحمّلا الوِزر الأكبر في تنظيم مدرسة البتراء ـ لحضور اجتماع مع سموّ الأمير والدكتور محمّد عبد السلام، الذي كان في زيارة عابرة للأردنّ، وعدد من الأكاديميّين والاقتصاديّين والصناعيّين. وإثر هذا الاجتماع، تقرّر تأسيس «اللجنة الوطنيّة للعلوم والتكنولوجيا». وبالفعل، سُرعان ما أصدر رئيس الوزراء، السيّد زيد الرفاعي، قرارًا بتشكيل اللجنة من ١٦ عضوًا، بمَنْ فيهم «مُنظّما» مدرسة البتراء المذكوران. وشمِلت اللجنة أيضًا رؤساء الجامعات الأردنيّة. ولم ينضمّ إلينا أبو أحمد إلاّ بعد أحداث اليرموك المؤسفة عام ١٩٨٦، حين تسلّم رئاسة الجامعة. وكنّا نجتمع ساعاتٍ طويلة، أحيانًا أكثرَ من مرّة أسبوعيًّا، في وزارة الطاقة برئاسة الدكتور هشام الخطيب. أمّا الرئيس الأعلى، فكان سموّ الأمير الحسن. كان العملُ مُضنيًا، وشمِل – في ما شمِل ـ دراساتٍ جادّةً عن تجارب دولٍ عِدّة في العلوم والتكنولوجيا. وكانت التوصية الأهمّ للجنة العمل على إنشاء المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا. أعلن ذلك في احتفالٍ كبير، إيذانًا بانتهاء عمل اللجنة، حضره الملك الحسين، طيّب الله ثراه، والأمير الحسن، في مُدرّج وزارة الطاقة. وبالفعل، أُنشىء المجلس بعد ذلك بقليل، وكان أمينه العام المؤسّس الدكتور عدنان بدران. وجاء دوْر أبي أحمد ليكون الأمين العام، في زحام مناصبَ أخرى مُتعدِّدة، بيْن أيلول ١٩٩٨ وتمّوز ١٩٩٩.

وتجدرُ الإشارةُ هنا إلى أنشطةٍ ثلاثة ذات صلة بهذه اللجنة. (الأوّل) تكليفي بترؤس وفد ثلاثيّ لزيارة «المُنظمة الأوروبيّة للبحوث النوويّة [وفيزياء الجُسيمات]» «سيرن» CERN[٥] على الحدود السويسريّة ـ الفرنسيّة، لدراسة إمكانيّة انضمام الأردنّ إلى هذه المُنظّمة الشهيرة

عضوًا مُشاركًا. وعلى الرغم من محاولاتنا الدؤوبة في هذا الشأن، بدعم عزّ نظيره من الأمير الحسن، فإننا أخفقنا؛ لأنّ المُجتمع الفيزيائيّ الأردنيّ لَمْ يكنْ مُستعدًّا بعدٍ لهذه الطفرة الكبيرة. و(الثاني) تأسيس مركز الفيزياء النظريّة في جامعة اليرموك إبّان عهد أبي أحمد، بدعم سخيّ من مركز تريستا ورعاية حثيثةٍ منه. وكان لي دوْرٌ في هذا التأسيس «من وراء الستائر». وكان هنالك سببان لاختيار اليرموك حاضنةً للمركز: الأوّل، أنّنا عارضْنا حصر «كلّ الخير» في عمّان، وكانت إربد خيارَنا؛ والثاني، أنّ البيئة العلميّة والإنسانيّة والاجتماعيّة والإداريّة في قسم الفيزياء باليرموك كانت آنذاك أفضلَ عمومًا منها في قسم الفيزياء بالأردنيّة (وأبو أحمد يعرف تمامًا ما أعنيه!). وأذكر أنّني، بهذه المناسبة، رافقْتُ صديقي المرحوم الدكتور غالينو ديناردو، مسؤولَ «الأنشطة الخارجيّة» في مركز تريستا، إلى إربد. وهناك استقبَلنا أبو أحمد بحفاوةٍ كبيرة، وقلّدَنا ميدالية اليرموك. (وبالمُناسبة، كم تأسّفْتُ على إغلاق مركز اليرموك أبوابَه قبل بضع سنوات لضيقِ ذاتِ اليد!) أمّا (النشاط الثالث)، فكان ترتيبي، بالتعاون مع طيّب الذكر الدكتور محمّد صفوري، الذي كان من الوجوه المألوفة آنذاك في مركز تريستا، زيارةً إلى أهم المؤسّسات العلميّة في تلك المدينة لرؤساء الجامعاتِ الأردنيّة (د. عبد السلام المجالي/ الأردنيّة، ود. محمّد حمدان/ اليرموك، ود. علي محافظة/ مؤتة، ود. كامل العجلوني/ العلوم والتكنولوجيا)؛ إضافةً إلى د. جواد العناني/ رئيس الجمعيّة العلميّة الملكيّة. وكانت زيارة مُفيدة وطّدتْ عَلاقتنا مع هذه المدينة العلميّة المُتطوّرة، وأثبتتْ لها أنّ القياداتِ الأكاديميّةَ الأردنيّة مُتنوّرةٌ وذاتُ رؤيةٍ مُتقدّمة. ومن نافلة القول إنّ مثلَ هذه الزيارات لها تأثيراتٌ تراكُميّة، ولا تظهر للعيان رأسًا.

بقي أمرٌ واحد متّصلٌ بتلك الزيارة نفسِها، أذكره هنا من باب الدعابة. فقد كُنّا ـ نحن الوفدَ الزائر ـ نستقلّ ذات مرّة الحافلة (الباص) في جوْلة حُرّة، بعيدًا عن الرسميّات. وكنْتُ

أقف قريبًا من أبي أحمد. (أقول «أقف»؛ لأنّ الحافلات هناك تحتلّ المقاعد فيها أقلّ من ٥٠٪ من مِساحتها؛ فمعظمُ الركّاب وقت الازدحام يظلّون وقوفًا.) فهمس في أذني مُستفسرًا عن حالتي الاجتماعيّة. وهذه من خصاله الحميدة؛ فلا يفعل ذلك من قبيل الفضول، وإنّما من باب الاهتمام الدافىء بالشخص الذي أمامَه. أجبْتُ: إنّني أعزب؛ لكنّني على وشْك ترْك العزوبيّة. وأردفْتُ قائلاً: «إذا رُزقْتُ بثلاثة أبناء، فسأسمّيهم «محمّد، وأحمد، وحمدان»؛ وهي «تنويعات على خيْر الأسماء» (وكان في ذهني التعبيرُ المألـوف في الموسيقــا الكلاسيكيّة)[٦]. ضحكنا معًا من القلب، وتابعنا جوْلتنا لا نلوي على شيء.

ـ٣ـ

وكيف تقاطعتْ طرقُنا بعد ذلك؟

عجيبٌ أمرُ القدَر؛ فلا نعرف متى وكيف يَجمع، ولا متى وكيف يُفرّق! ففي عام ١٩٨٨، انتُخب أبو أحمد وأنا «عضويْن زميلَيْن» في أكاديميّة العالم للعلوم TWAS[٧]. أؤكّد: كان ذلك في السنة نفسِها! وهذه منظّمة غيْرُ حكوميّة طرح فكرتَها الدكتور محمّد عبد السلام في مؤتمرٍ بروما عام ١٩٨١؛ ثمّ أسّسها في تريستا عام ١٩٨٣، لتكونَ منصّة ومظلّة ومنبرًا «للعلماء المُتميّزين» في الجنوب، للنهوض بالعلوم والتكنولوجيا ومراكز التميُّز العلميّ فيه، من أجل تنميةٍ مُستدامة. وعددُ أعضائها الأردنيّين بالكاد يتجاوزُ عددَ أصابع اليدِ الواحدة. ذلك أنّ الانتخابَ فيها يمرُّ بمراحلِ تحكيمٍ وتمحيصٍ صارمة، لا يجتازها إلاّ القلّة. من هنا، فقد باءتْ ـ للأسف ـ ترشيحاتُنا لزملاء أردنيّين عبرَ السنين بالفشل. وللأكاديميّة مراكزُ إقليميّة موزّعة على ستّ مناطق في العالم، بما فيها المِنطقة العربيّة، ومركزها مكتبة

الإسكندريّة. والجدير بالذكر أنّ أبا أحمد انتُخب عام ٢٠١٥ نائبًا لرئيسِها عن المنطقة العربيّة، وجُدِّد انتخابُه مؤخّرًا. وهذا شرفٌ لنا أجمعين.

أكاديميّةٌ مرموقة أخرى جمعتنا معًا؛ أعني: مَجْمع اللغة العربيّة الأردنيّ. فكما ذكرْتُ سابقًا، انتُخبْتُ ثمّ عيِّنْتُ فيه عضوًا عاملاً في ١٨/ ١١/ ١٩٨٤. كذلك، انتُخب أبو أحمد وعُيّن فيه عضوًا عاملاً في ٢٧/ ٣/ ١٩٩١. وكان الانتخابُ في كلتا الحالتيْن بإجماع الأعضاءِ العاملين؛ كما جاء التعيين بإرادةٍ ملكيّةٍ سامية[٨]. وإلى جانب «مجلس المجمع»، فقد تشاركنا في عددٍ من لِجانه المُهمّة؛ وعلى رأسها «لَجنة مُصطلحات العلوم الأساسيّة والتطبيقيّة» التي يترأسها أبو أحمد منذ عام ٢٠١٤. و«العملُ المَجْمعيّ بلجانه»، كما يقول المَجْمعيُّون. وفي أيلول ٢٠١٥، انتُخب أبو أحمد بالتزكية نائبًا لرئيس المجمع لمدّة أربع سنوات، جُدِّدتْ مؤخّرًا[٩]. وفي موْعد التجديد، انتُخبْتُ عضوًا في «المكتب التنفيذيّ»؛ وهو أشبه بمجلس الوزراءِ المُصغّر، إنْ جاز التعبير، و«يتولّى إدارة المجمع والإشراف على أعماله». ويترأسه رئيسُ المجمع، ويضمُّ في عضويّته «نائب الرئيس، وثلاثة أعضاء عاملين ...». وهكذا، ازدادتْ نقاط الالتقاء والتلاقي بيننا مع مرور الأيّام.

وإنْ أنسَ فلا أنسى، في هذا السياق، «اللجنة الوطنيّة الأردنيّة للنهوض باللغة العربيّة للتوجّه نحو مُجتمع المعرفة»، التي جاءت بناءً على قرار مؤتمر القمّة العربيّة المُنعقد في دمشق عام ٢٠٠٨، ثمّ في الدوْحة عام ٢٠٠٩. وكان الأصل تأليف لجانٍ قُطريّةٍ مماثلةٍ على مستوى الوطن العربيّ؛ إلاّ أنّ لجنتنا ـ في ما يبدو ـ كانت الوحيدة التي شُكّلتْ فعلاً، وذلك بموجب قرار رئيس الوزراء، السيّد سمير الرفاعي، في مطلعِ ٢٠١٠. واللجنة مُستقلّة عن المجمع، من حيث المبدأ؛ لكنّها تجتمع في رحاب المجمع، ورئيسها حُكمًا هو رئيس المجمع. واللجنة

نشطةٌ منذ تأسيسِها. فقد نشرتْ دراساتٍ ميدانيّةً إحصائيّةً قيّمة عن واقع اللغة العربيّة في الإعلام، والقضاء، ووسائل التواصُل الاجتماعيّ، والجامعات الأردنيّة، وغيْر ذلك. ولعلّ من أجلِّ أعمالِها وضعَ امتحانِ الكفاية باللغة العربيّة، المُعتمَدِ الآن رسميًّا في بلدِنا. ونحن نتطلّع إلى مشروعاتٍ جليلةٍ أخرى هي الآن قيد التخطيط والتنفيذ. وقد شُرِّفْتُ بعضويّة اللجنة منذ التأسيس؛ كما انضمّ إلينا أبو أحمد منذ ٢٠١٥.

تتزاحمُ الذكرياتُ المجمعيّةُ في ذهني الساعة؛ لكنّني أعود دوْمًا إلى ندوةٍ لا تُنسى عُقدت في المجمع يوم السبت الموافق ٢٥ نيسان ١٩٩٢، ضمن فعاليّات الموْسم الثقافيّ العاشر[١٠]. كان عنوانُها: «هُويّة الأمّة العربيّة الإسلاميّة في مواجهة التحدّي العلميّ والتقنيّات الحديثة». وقد أدارها أبو أحمد؛ وشارك فيها الدكتور عبد المجيد نصير، وكاتب هذه السطور. وقبل أنْ يُقدّمَنا، أبدى أبو أحمد ثماني نقاطٍ مُهمّة، لا تزال برأيي تحتفظ بروْنقها. وهي تُفصح عن بعض السمات الحميدة التي أوردتُها في الفِقرات الأولى من ورقتي هذه؛ مثل: الإيجابيّة، والتفاؤل، والفكر العمليّ. أسوق في ما يأتي أوّلَ نقطتيْن من هذه النقاطِ الثماني:

يقول أبو أحمد [النقطة (١)]: «لقد اعتدنا، عند بحثِ هذا الموْضوع، التركيزَ على عرْض جوانبِ النقص وأسبابِ تخلُّفِ الأمّةِ العربيّةِ الإسلاميّةِ عن مواكبة التطوّرِ العلميّ والتقنيّ في الدولِ المُتقدّمة. وكثيرًا ما يتحوّل النقاش إلى تشخيص الداءِ في عدم توافُرِ المُناخ العلميّ والتقنيّ المُلائم للإبداع والإنجاز، بما في ذلك عدم كفايةِ الدعم المادّيّ لنشاطات البحث العلميّ والتطويرِ التقنيّ.»

ويُتابعُ قائلاً [النقطة (٢)]: «وخلافًا لهذا المنحى، فإنّني أرى أنّه قد آن الأوان لأنْ ننطلقَ من ظروفِنا وإمكاناتنا الحاليّة للوصول إلى مُقترحاتٍ عمليّة، من أجل الإسهام الفعّال في

التقدُّم العلميّ والتقنيّ، والاستفادةِ منه في تيْسير أمورنا المعيشيّة، مع المُحافظة على هُويّة الأمّة العربيّة الإسلاميّة؛ بل دعْمِ الاعتزاز والافتخار بمُنجزات علمائها وباحثيها. وفي اعتقادي أنّ هذا المنحى يُجنّبُنا ما اعتدْنا عليه من جلد الذات، ويَترك المجال مفتوحًا للتفاؤل بالمُستقبل العلميّ والتقنيّ لهذه الأمّة.»

المراجع والهوامش

(1) Herbert Marcuse, *One-Dimensional Man: Studies in the Ideology of Advanced* Industrial Society, Beacon Press, USA, 1964.

(2) International Petra School of Physics (PSP)

عُقدت المدرسةُ الأولى في ١٩٨٢، والثانية في ١٩٨٣، والثالثة في ١٩٨٥، والرابعة في ١٩٨٧، والخامسة في ١٩٨٩. ولَمْ تنتظمْ بعد ذلك حتى هذه اللحظة، مع أنّها عُقدتْ مرّتيْن مؤخّرًا (٢٠١٦ و ٢٠١٨).

(٣) شِلدون غلاشو، ومحمّد عبد السلام، وستيفن واينبرغ: لنظريتِهم في توْحيد القوّة الكهرَمغناطيسيّة مع القوّة [النوويّة] الضعيفة.

(٤) هو مركز عبد السلام الدوليّ للفيزياء النظريّة، الذي أسّسه المرحوم الدكتور محمّد عبد السلام في مدينة تريستا الإيطاليّة عام ١٩٦٤: *https://www.ictp.it* .

(٥) كلمة *سيرن* مشتقّة من الأحرف الأولى للاسم الفرنسيّ للمنظّمة الأوروبيّة للبحوث النوويّة. وهي المختبر العالميّ الأبرز في فيزياء الجسيْمات؛ أي الجسيْمات الأساسيّة التي تتكوّن منها المادّة. وقد أسّس عام ١٩٥٤ عبر الحدود الفرنسيّة ـ السويسريّة قرب مدينة جينيف.

(٦) Variations on the same theme (كما في بعض أعمال باخ، وبيتهوفن، وبرامز، وغيْرهم).

(٧) اسمها الكامل: The World Academy of Sciences (TWAS) – for the advancement of science in developing countries: https://twas.org.

وكانت تُسمّى في سنيّها الأولى حتى بعد انهيارِ الاتحاد السوفييتيّ بقليل:

The Third World Academy of Sciences (TWAS).

(٨) تغيّر هذا الوضع في قانون المجمع رقم (١٩) لسنة ٢٠١٥، المنشور في عدد الجريدة الرسميّة رقم ٥٣٤١، بتاريخ ١٧/ ٥/ ٢٠١٥؛ فأصبح قرار التعيين يَصدر عن رئيس الوزراء.

(٩) تنصّ المادّة ١٠ج من قانون المجمع رقم (١٩) لسنة ٢٠١٥ على الآتي: «يَنتخب المجلس من بيْن أعضائه نائبًا للرئيس، يقوم مقامه عند غيابه، بالطريقة التي يُنتخَبُ فيها الرئيس، لمدّة أربع سنوات قابلة للتجديد لمرّةٍ واحدة.»

(١٠) مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ: **المؤسم الثقافيّ العاشر**، عمّان، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م:
الندوة الأولى: «هويّة الأمّة العربيّة الإسلاميّة في مواجهة التحدّي العلميّ والتقنيّات الحديثة».

أدارها: الأستاذ الدكتور محمّد أحمد حمدان، عضو المجمع، وشارك فيها:
الأستاذ الدكتور عبد المجيد نصير، عضو المجمع
الأستاذ الدكتور هُمام غَصيب، عضو المجمع
السبت ٢٣ شوّال ١٤١٢هـ/ ٢٥ نيسان ١٩٩٢م؛ ص ٤٣-٦٠.

أنشطـــة حمـــدان فـي الإسكندريـــة

د. محمد الفحام *

أتوجه بالشكر، بداية، إلى مؤسسة عبدالحميد شومان، التي أتاحت لي الفرصة للمشاركة في هذه الاحتفالية التكريمية بصديق وأخ عزيز، وهو الدكتور محمد أحمد حمدان، وسينحصر حديثي حول المشاركات الأكاديمية التي أنجزها الدكتور حمدان في الإسكندرية، وعلى النحو الآتي:

- في شهر ديسمبر ٢٠١٠، عقدت الأكاديمية العالمية للعلوم (TWAS)، والتي يتمتع الدكتور حمدان بعضويتها، إضافة إلى منصبه نائبًا لرئيس الأكاديمية للمنطقة العربية، والتي تمتلك مكتبًا إقليميًّا تستضيفه مكتبة الإسكندرية، عقدت مؤتمرًا يعنى

* أستاذ الهندسة في كلية الهندسة والتكنولوجيا/ الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري بالإسكندرية.

بالاتصال ما بين المراكز البحثية والجامعات والقطاع الصناعي، في العالم العربي، وشارك فيه الدكتور حمدان ببحث حول العلاقة بين الصناعة والأكاديميا، بعدًا واقترابًا. وكان اللافت في بطاقته التعريفية، أنها تتضمن صفة جديدة في كل مؤتمر يشارك فيه.

- في شهر ديسمبر ٢٠١٢، وفي الاجتماع السنوي لـ(TWAS)، الذي تناول موضوع تأثير العلاقة بين العلوم والهندسة والتكنولوجيا في الاستدامة البشرية لتقدم المنطقة العربية، تناولت كلمة الدكتور حمدان قضايا عامة حول تقييم أداء الجامعات في هذا المجال.
- في شهر ديسمبر ٢٠١٣، كان موضوع مؤتمر (TWAS)، حول العلوم والتكنولوجيا والتعليم لاستدامة التنمية في العالم العربي، وتحدث فيه الدكتور حمدان عن إصلاح التعليم العالي.
- وفي مؤتمر لاحق تحدث الدكتور حمدان في ورقته عن العلوم الحياتية الجديدة وبعض الأخلاقيات الحيوية.
- في شهر إبريل سنة ٢٠١٦، شارك الدكتور حمدان في مؤتمر حول العلوم الحياتية في الإسكندرية، والذي يعقد كل سنتين، بمشاركة ٢٠٠٠ مدعو، ويحاضر فيه نحو ٢٥٠ متخصصًا، بعضهم من الحاصلين على جائزة نوبل.
- في ديسمبر ٢٠١٦، عقد مؤتمر (TWAS) لأول مرة خارج الإسكندرية؛ إذْ عقد في الجامعة العربية المفتوحة في عمان، بجهود كبيرة من الدكتور حمدان، وتمحور موضوع المؤتمر حول الاستدامة في الغذاء والماء، من وجهة النظر العربية، بحضور سمو الأمير الحسن.

- في نوفمبر ٢٠١٧، تناول مؤتمر (TWAS)، الذي عقد في الإسكندرية موضوع الأخلاقيات في العلوم الحياتية الجديدة، لا سيما في الأبحاث والنشر، وكانت كلمة الدكتور حمدان عن بعض مبادئ الأخلاقيات في الطب والعلوم الحياتية وصلتهما بالتكنولوجيا.
- في نوفمبر ٢٠١٧، عقدت (TWAS) مائدة مستديرة عن العلم المسؤول.
- في شهر أبريل ٢٠١٨، سبق مؤتمر (TWAS)، عقد لقاء شبابي بعنوان «الشباب القادم الجديد»، لمدة يومين، وهي عادة درجت عليها الأكاديمية، وكان الموضوع بعنوان «دبلوماسية العلم ـ أصوات من الجنوب»، وكانت كلمة الدكتور حمدان عن «التضامن والتعاون الدولي».
- وفي أبريل ٢٠١٨، ألقى الدكتور حمدان كلمة بالنيابة عن الأكاديمية العالمية للعلوم، وفي يونيو ٢٠١٩، كانت هناك ورشة للأكاديمية بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية، والمؤسسة الأمريكية للتقانة والعلوم، ودار موضوع الورشة عن «دبلوماسية العلوم»، وتناولت كلمة الدكتور حمدان موضوع الأمن والأمان وتأثير دبلوماسية العلوم في مساعدة العلماء المهجّرين.

وأختم بإحدى شمائل الدكتور حمدان وسخائه، فقد خصص مبلغًا قدره ١٧٠ ألف دولار ووضعه تحت تصرف (TWAS)، بصفته عضوًا فيها، يعطى لأحد الباحثين الشباب في الدول النامية، في مجال الرياضيات البحتة أو الإحصاء.

قدمت ما لدي، بعجالة، عن الدكتور محمد حمدان، موقنًا أنني لم أوفه ما يستحق لقاء أنشطته الغزيرة في الإسكندرية، وهي أكثر مما يمكن أن يسمح به وقت هذه الاحتفالية.

رؤية حمدان في مجال التقانة وأخلاقياتها

د. نجمة العطيات *

إنه لمن دواعي سُروري واغتباطي، أن أكونَ معكم وبينكم في يومِ الوفاءِ والعرفانِ، احتفاءً بمعالي الأستاذ الدكتور محمد حمدان، الذي يتمتع بمَسِيرةٍ حَافِلَةٍ بالعطاءِ في ميدانِ الشَّرَفِ، ميدانِ التربيةِ والتعليمِ، وكذلك في تولي مسؤوليات التدريس والبحث العلمي، والمهام الإدارية والقيادية، في عدد من المؤسسات التعليمية، داخل الأردن وخارجه.

إن تكريم الدكتور حمدان هو احتفال بالعلم والعلماء، فالأستاذ والباحث والوزير الذي جاءته السياسة من باب العلم، هو ابن جيل تنويري، ومن أرباب العلم والفكر والمعرفة والمؤهلات.

---

* أستاذة مشاركة في تمريض الأورام في الجامعة الهاشمية.

وإننا إذْ نُكرّمُ اليومَ رجلًا من رجالات الدولة، ونبراسًا في التربية والتعليم، وأبًا حانيًا، لهُ في قلوبنا كل المحبّةِ والتقديرِ، فإنّنا نتطلّعُ إلى إرْسَاءِ تَقْليدٍ حضاريٍّ، يَكُونُ فيه الْاِحْتِفَاءُ بأهْلِ الفَضْلِ، والعِرْفانُ بحقِّهم، واجبًا لا مناص من تأديته، ونَهْجًا لا بُدّ من مُواصَلَتِهِ وتَرْسِيخِه.

هو يوم نكرّم فيه رَجُلاً ينتمي لأسرةٍ تحمل أسمى رسالةٍ، ألا وهي رسالةُ التربيةِ والتعليمِ، التي حملها خاتمُ الأنبياءِ والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم).

فالمعلمُ، كانَ ولا يزالُ، مربيًا يقودُ الجاهِلَ، ويهدي الضّالَّ، ويُنِيرُ الطريقَ لِكُلِّ مَنِ التجأ إليه، فَهُوَ كالمنارَةِ على رأسِهَا نُورٌ وضِياءٌ، يراهُ من فقدَ الطريقَ، فيهتدي بهِ وينتفعُ من نورِه. وما هذه الألوفُ المؤلّفَةُ من أبنائنا إلا أَغْرَاسٌ تَعَهّدَهَا المعلمُ بِمَاءِ عِلْمِهِ، فانبعثتْ وأثمرتْ وفاضتْ معرفةً وفَضْلاً. فجَدِيرٌ بنا أن نَحْتَفِيَ ونُكرّمَ مَن حمل هذهِ الرسالةَ، وأدّاهَا على أكملِ وَجْهٍ. كيفَ لا وقد قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): « إنّ اللهَ وملائكَتَهُ وأهلَ السمواتِ والأرضِ حتّى النملَ في جُحْرِها وحتّى الحوتَ في جَوْفِ البحْر لَيُصَلّون على مُعَلِّمِ الناسِ الخَيْرَ» صدق رسول الله الكريم.

إنّ كلَّ ما يحتاجه المعلمُ حتّى يَرْتَقِيَ لِمَصَافِّ الأنبياءِ، شروطٌ ثلاثة: ضميرٌ حيّ، وقلبٌ مُحِبٌّ، وإخلاصٌ في العملِ، وأحسب أنها تَوفرتْ جميعُها فيكم طيلة حياتِكم المِهنية، وهو ما تستحقون عنه الحفاوةَ والعرفانَ بالجميلِ، فلقد أدّيتم الأمانةَ، وحقّقتم الرسالة، وسجلتم بَصَماتٍ يَشْهَدُ لكم بها عديدُ الأطرِ التي اشتغلتْ معكم. فلا غابت شمسكم، ولا أفل نجمكم، بهمتكم وعزيمتكم رسمتم قوس النجاح، وبإخلاصكم للوطن صنعتم دائما التميز والتقدم، وسأبقى أفخر وأفاخر بكم ما حييت.

وإن للنّجاح أناسًا يُقدّرون معناه، وللإبداع أُناسًا يحصدونه؛ لذا نقدّر جهودك المُضنية،

فأنتَ أهلٌ للشّكر والتّقدير.

إن قلتُ شكرًا فشكري لن يوفيكم حقًّا، سعيتم فكان السّعي مشكورًا، وإن جفّ حبري عن التّعبير يكتبكم قلبٌ فيه صفاء الحبّ تعبيرًا.

إلى صاحب التميّز والأفكار النيّرة، أزكى التحيّات وأجملها وأنداها وأطيبها، أرسلها لك بكلّ ودّ وحبّ وإخلاص، تعجز الحروف أن تكتب ما يحمل قلبي من تقدير واحترام، وأن تصف ما اختلج بملء فؤادي من ثناء وإعجاب. فما أجمل أن يكون الإنسان شمعةً تُنير دروب الحائرين.

تلوح في سمائنا دومًا نجوم برّاقة لا يخفت بريقها عنّا لحظةً واحدةً، نترقّب إضاءاتها بقلوب ولهانة، ونسعد بلمعانها في سمائنا كلّ ساعة، فاسّتحقت وبكل فخر أن ترفع اسمها عاليًا. كلمة حبّ وتقدير وتحيّة وفاء وإخلاص، تحيّة ملؤها كل معاني المحبة والإجلال، تحيّة من القلب إلى القلب، وشكرًا من كلّ قلبي.

إن العمل ليس مجرد تشريفٍ، ولا هو منصبٌ للمفاخرة، بل هو تكليفٌ وأمانة، وأنتم قد أثبتم، بالوجه الشرعي، أنكم على قدر المسؤولية والأمانة، وأنكم خير من تولى المناصب، فشكرًا لكم على جهودكم الرائعة، وعلى عملكم وتعاونكم؛ لأجل رفعة هذا البلد أردننا الغالي، الذي لولا أمثالكم لما تقدم ولا ازدهر.

ربما لا تُسعفني الكلمات في قول كلمة الحق فيكم، «إن خير من استأجرت القوي الأمين»، وأنتم خير من كُلِّف بالعمل وحمل الأمانة، وأنتم أفضل من أدى عمله بإتقانٍ وتفانٍ.

إننا اليوم؛ إذ نتوجّه بالتكريم إليكم، إنما نتوجه بتحية التقديرِ والاحترامِ لمرحلةٍ مِنْ مراحلِ عَطائكم الوظيفيّ، الذي استغرق سنواتٍ مِنْ عُمْرِكُمْ، تميّزت بالتضحية ونُكْرَانِ

الذّاتِ في سبيل أداء الأمانة، وإنّ أقلّ الْتِفَاتَةِ شُكْرٍ تُقدَّمُ لكم، هي الاحتفالُ بكم وتكريمُكم في حفلٍ يحضرُه ثلة ممن كان لكم الأثر الطيب في نفوسهم؛ بوصفكم مسيرة مميزة وقدوة يحتذى بها.

إنْ هذا الحفلَ التكريميَّ، البسيطَ في ظاهرِهِ، الغنيَّ في رمزيّتِه ودَلالاتِه، لهو عُربونُ مَحبّةٍ ووفاءٍ وإخلاصٍ.

فلَكُمْ منّا، باسمِ الأجيالِ التي تَتَلْمَذَتْ على أيديكم، وباسم نساءِ ورجالِ التعليم كافة، خالص الدعواتِ، وجزيل الشكرِ على ما كَابَدْتُمُوه من مشاقَّ، وعانيْتُمُوه من صِعَابٍ، من أجل تحقيقِ الغاياتِ والأهدافِ التربويةِ النبيلة.

كنتَ، ولا زلتَ، كالنّخلة الشّامخة، تُعطي بلا حدود، فجزاك الله عنّا أفضل ما جزى العاملين المخلصين، وبارك لك وأسعدك أينما حطّت بك الرِّحال.

المؤسسات الوطنية والإقليمية والعالمية

نشاطات الدكتور محمد حمدان، المتعلقة بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو):

- ١٩٨٩ – ١٩٩١: رئيس اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة، التابعة لمنظمة اليونسكو، بحكم وظيفته وزيرًا للتربية والتعليم / الأردن.
- ١٩٩٧: رئيس اللجنة الثالثة للجلسة التاسعة والعشرين للمؤتمر العام لمنظمة اليونسكو (وقد تم اعتماد الإعلان العالمي حول المجين البشري وحقوق الإنسان، خلال هذا المؤتمر).

- ١٩٩٨ – ٢٠٠١: نائب رئيس اللجنة الدولية للأخلاقيات الحيوية التابعة لمنظمة اليونسكو.
- ٢٠٠٢-٢٠٠٥: عضو اللجنة الدولية للأخلاقيات الحيوية التابعة لمنظمة اليونسكو.
- ٢٠٠٣: يشغـــل، الآن، منصب رئيس اللجنة الوطنية لأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا/ الأردن.
- ١٩٨٦ – ٢٠٠٠: رئاسة الوفد الأردني المشارك في العديد من جلسات المؤتمر العام لليونسكو.

ولقد تشرفت بالعمل مع الدكتور حمدان في اللجنة الوطنية الأردنية لأخلاقيات العلوم والتقانة، التي تشكلت عام (١٩٩٨)، استنادًا إلى قرار المؤتمر العام لليونسكو عام (١٩٩٧)، الذي يحث الدول الأعضاء في منظمة اليونسكو على إنشاء لجان مستقلة لأخلاقيات العلوم والتقانة متعددة التخصصات، ويترأس اللجنـــة الدكتور حمدان، وتضم في عضويتها (١٩) عضوًا من الجهات المعنية بأخلاقيات العلوم والتقانة.

رؤية اللجنة

امتلاك كفاءات بشرية وخبراء مستقلين، يتولون متابعة التقدم المحرز في العلوم الطبية والحياتية وتطبيقاتها، مع مراعاة احترام مبادئ حقوق الإنسان وكرامته وحرياته الأساسية، وبناء وتعزيز الروابط بين خبراء الأخلاقيات العلماء، صانعي السياسات والمجتمع المدني؛ لمساعدة مختلف الوزارات والمؤسسات والمنظمات الرسمية وغير الرسمية في المملكة الأردنية الهاشمية، على سنّ سياسات سليمة ومنطقية بشأن المسائل الأخلاقية، في مجال

العلوم والتقانة، استجابة لمتطلبات التنمية المستدامة، وضمان المشاركة الفاعلة في أنشطة وبرامج عمل المنظمات الثلاث (الألكسو، والإيسيسكو، واليونسكو).

رسالة اللجنة وفلسفتها

بلورة رأي وطني تجاه القضايا الأخلاقية المتعلقة بالتقدم العلمي والتقاني، واتخاذ موقف موحد بشأنها، من خلال تعزيز التفكير والنقاش حول القضايا الأخلاقية والقانونية، التي تثيرها الأبحاث المتعلقة بالعلوم والتقانة وتطبيقاتها، وما يستجدّ عليها، وتشجيع تبادل الأفكار والمعلومات، والتنسيق مع الجهات الأخرى في مراكز البحوث والمؤسسات المعنية بأخلاقيات العلوم.

أهداف اللجنة

تمارس اللجنة عملها تحت إشراف رئيس اللجنة الوطنية الأردنية للتربية والتقانة والعلوم/ وزير التربية والتعليم بهدف:

- بلورة رأي وطني تجاه القضايا الأخلاقية المتعلقة بالتقدم العلمي والتقاني، واتخاذ موقف موحد بشأنها.
- رصد ودراسة المستجدات العلمية والتقانية وانعكاساتها الأخلاقية على المجتمع الأردني.
- التعريف بالمواقف والرؤى والمعايير الوطنية لأخلاقيات التقدم العلمي والتقاني، وتعميمها على المستويات الإقليمية والدولية.

- التنسيق وتبادل الآراء وتعزيز الحوار بين اللجان الوطنية المعنية وتيسيره.
- اقتراح معايير للضوابط الأخلاقية في مجال عمل اللجنة، تأخذ بالاعتبار القيم الدينية والقانونية والاجتماعية على المستوى الوطني.

القيم الأساسية

يرتكز عمل اللجنة على تحقيق مجموعة من القيم الأساسية، تتمثل بما يلي:

احترام حقوق الإنسان، وحرياته الأساسية، والكرامة الإنسانية، والأخلاق، والولاء، والانتماء، والمواطنة الصالحة، والعدالة، والمساواة، والجودة، والفعالية، والكفاءة، والتشارك في المنافع، والتضامن والتعاون الدولي، وعدم التمييز وعدم الوصم، واحترام التنوع الثقافي والتعددية، والمسؤولية الاجتماعية، وحماية الأجيال المستقبلية، وحماية البيئة والتنوع.

إنجازات اللجنة

- مشاركة الدكتور محمد حمدان، رئيس اللجنة، وعدد من الأعضاء في العديد من الاجتماعات التي عقدتها منظمة اليونسكو للجنة الدولية لأخلاقيات البيولوجيا، وفي اجتماعات اللجنة العربية لأخلاقيات العلوم والتقانة.
- عقد الاجتماع السادس للجنة العربية لأخلاقيات العلوم والتقانة في عمان، برعاية صاحبة السمو الملكي الأميرة سمية بنت الحسن.
- تنفيذ مشروع مسح مفاهيم أخلاقيات العلوم والتقانة في المناهج والكتب المدرسية عام (٢٠٠٩)، حيث تبين بأن هناك نقصًا في مفاهيم أخلاقيات البيولوجيا في المناهج والكتب المدرسية.

- عقد المؤتمر الوطني الأول حول الإعلانات العالمية المتعلقة بالمجين البشري وحقوق الإنسان عام (٢٠٠٩).
- عقد الندوة الإعلامية للتعريف بالإعلانات العالمية الثلاثة، الصادرة عن اليونسكو في مجال أخلاقيات البيولوجيا عام (٢٠١٠).
- عقد ندوة وطنية حول استخدامات الخلايا الجذعية خلال عام (٢٠١١)، بهدف الوصول إلى صيغة تعليمات أو قانون يحكم استخدامات الخلايا الجذعية في الأردن من وجهة نظر طبية وقانونية وشرعية.
- إعداد مادة تدريسية في مجال أخلاقيات العلوم والتقانة، من قبل لجنة فنية مصغرة انبثقت عن اللجنة الوطنية لأخلاقيات العلوم والتقانة، وقد تم تدريسها للطلبة على المستوى الجامعي في الجامعة الهاشمية منذ عام (٢٠١٢).
- إصدار الخطط الاستراتيجية لعمل اللجنة للأعوام (٢٠١٢ - ٢٠١٥م)، وللأعوام (٢٠١٦-٢٠٢٠م).
- عقد ورشة عمل توعوية حول أخلاقيات البيولوجيا لمشرفي ومعلمي العلوم، حيث عقدت بدعم ومشاركة من اللجنة الوطنية العُمانية.
- المشاركة في اجتماعات الهيئة الإسلامية لأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا، وقد تم استضافة الاجتماع في عمان.
- عقد المؤتمر العلمي حول أخلاقيات البحوث الطبية، وتعزيز دور الباحثين الشباب خلال الفترة من (٢٩-٣٠/ ٦/ ٢٠١٤م) في الجامعة الأردنية.

- تنفيذ ورشة العمل الإقليمية لتكوين الأطباء الباحثين في مجال تدريس الأخلاقيات والأخلاقيات الحيوية في عمان، خلال الفترة من (٥- ٧/ ١٠/ ٢٠١٥م).
- تنظم اللجنة، من خلال قسم الثقافة والعلوم والاتصال، اجتماعات دورية، وتعقد ندوات حوارية في العديد من المؤسسات الأردنية.
- عقد دورة تدريبية بعنوان «الأخلاق البيولوجية في العصر الجينومي» في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، بمشاركة أساتذة جامعات وباحثين وطلاب دراسات عليا، وبمشاركة محاضرين من مختبرات لوس ألموس الأمريكية، وجامعة هارفارد، وجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية.
- عقدت اللجنة بالتعاون مع اللجنة الوطنية لأخلاقيات العلوم والتقانة، ورشتي عمل توعويتين حول «مفاهيم أخلاقيات العلوم والتقانة لمشرفي ومعلمي العلوم الحياتية والتربية الإسلامية»، الأولى لمديريات التربية والتعليم في إقليم الوسط، بتاريخ ١٤/ ٥/ ٢٠١٨م في مركز الملكة رانيا العبد الله لتكنولوجيا المعلومات والتعليم؛ والثانية لمديريات التربية والتعليم في إقليم الجنوب، بتاريخ ٢٤/ ٩/ ٢٠١٨م في كلية البترا للسياحة والآثار/ جامعة الحسين بن طلال.
- المشاركة في الدورة الاستثنائية العاشرة للجنة أخلاقيات المعرفة العلمية والتكنولوجيا، وكذلك الدورة العادية الخامسة والعشرين للجنة الدولية لأخلاقيات البيولوجيا في اليونسكو، في مقر منظمة اليونسكو في باريس.
- الفوز بكرسي اليونسكو لأخلاقيات العلوم والتقانة المقدّم من الجامعة الهاشمية (عام ٢٠١٨م).
- شارك عدد من أعضاء اللجنة الوطنية الأردنية لأخلاقيات العلوم والتقانة في

الاجتماع التشاوري لدول منطقة المشرق العربي، حول شِرْعَة أخلاقيات العلوم والتكنولوجيا في المنطقة العربية، الذي انعقد برعاية كريمة من صاحبة السمو الملكي الأميرة سمية بنت الحسن، في الجمعية العلمية الملكية بتاريخ ١٩/ ١١/ ٢٠١٨م.

- ناقشت اللجنة في اجتماعها الذي عُقد بتاريخ ٦/ ١٢/ ٢٠١٨م «بيان اليونسكو حول التعديل الجيني»؛ وأوصت بضرورة رفع البيان المذكور إلى رئيس الوزراء؛ لإصدار بيان تعبّر فيه الحكومة الأردنية عن رفضها للأبحاث والتجارب غير الأخلاقية.
- عقدت اللجنة، بالتعاون مع اللجنة الوطنية لأخلاقيات العلوم والتقانة، ندوة تعريفية عن اللجنة، لعدد من مشرفي ومعلمي العلوم الحياتية والتربية الإسلامية، في مديريات التربية والتعليم لإقليم الشمال، في مركز مصادر التعلّم التابع لمديرية التربية والتعليم للواء قصبة إربد، بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٩م.
- عقدت اللجنة الوطنية الأردنية للتربية والثقافة والعلوم، بالتعاون مع اللجنة الوطنية لأخلاقيات العلوم والتقانة، ندوة تعريفية عن اللجنة الوطنية لأخلاقيات العلوم والتقانة لعدد من مشرفي ومعلمي العلوم الحياتية والتربية الإسلامية، في مديريات التربية والتعليم لإقليم الجنوب، في مدرسة وادي موسى الثانوية للبنات/ البتراء، بتاريخ ١٤/ ١١/ ٢٠١٩.

ومن الجدير بالذكر، أنه في مراسيم منح الجامعة الهاشمية الأستاذ الدكتور محمد حمدان، درجة الدكتوراة الفخرية في إدارة الأعمال، يوم الخميس الموافق ١٧/ ٩/ ٢٠١٥، تقديرًا لعطائه الموصول، وإقرارًا بإسهاماته الوطنية الجليلة في المجالات المختلفة، عرض الدكتور حمدان، أهم الدروس المستفادة، وهو ضرورة الالتزام بمبدأ التعلم مدى الحياة Life-Long

Learning ، وبخاصة في سياق التمكين الذاتي في المجالين الأكاديمي والإداري، وذلك من خلال الدراسة المعمقة، والاقتداء المدروس بالنماذج الناجحة، والممارسة العملية في أثناء الخدمة. وأود التأكيد أن معاليك خير من يقتدى به.

أتمنى من الله العظيم، أن يبارك جهودكم المبذولة، وأن يجزيكم عنا خير الجزاء، وأن يُكَلِّلَ جُهُودَكُم بالسّعيِ المشكورِ والذّنْبِ المَغْفُورِ والأجرِ و الثّوابِ منه، سبحانه و تعالى.

ختامًا أسأل الله العلي القدير أن يحفظ الأردن عزيزًا شامخًا، منيعًا آمنًا، مستقرًا، في ظل قائد المسيرة الملك عبد الله الثاني بن الحسين.

التجربة «الحمدانية» في حقل الإحصاء

د . غازي إبراهيم رحو *

إنه لمن دواعي سُروري واغتباطي، أن أكونَ معكم وبينكم في يومِ الوفاءِ والعرفانِ هذا، الذي تُحْييه مؤسسة عبدالحميد شومان، احتفاءً بأستاذنا ومعلمنا الكريم معالي الأستاذ الدكتور محمد حمدان، الذي كان ولا يزال ـ بحمده تعالى ـ شعلة متوقدة دائمة في خدمة مسيرة حَافِلَة بالعطاءِ في ميدانِ الشَّرَفِ، ميدانِ التربيةِ والتعليم.

وإننا اليوم؛ إذْ نشارك جميعًا في تكريم أستاذنا ومعلمنا العزيز على قلوبنا، والذي له في قلوبِنا كل المحبّةِ والتقدير، فإنّنا نتطلّعُ أن تكون جميع مؤسساتنا في بلداننا، تعمل على إرْسَاءِ تَقْليدٍ حضاريٍّ، يَكُونُ فيه الْاِحْتِفَاءُ بأهْلِ الفَضْلِ، والعِرْفانُ بحقِّهم، واجبًا لا مناصَّ من تأديتِه، ونَهْجًا لا بُدّ من مُواصَلَتِهِ وَتَرْسِيخِه.

* الأمين العام لاتحاد الإحصائيين العرب.

أوجه الشكر، بداية، إلى مؤسسة عبدالحميد شومان، التي أسعدتني بأن أشارك في هذا التكريم، وفي هذا الحفل الذي نكرّم فيه اليومَ رَجُلاً ينتمي لأسرةٍ تحمل أسمى رسالةٍ، ألا وهي رسالةُ التربيةِ والتعليم، التي حملها في قلبه وعقله، فقد كان، ولا يزال، مربيًا يُنيرُ الطريقَ لِكُلِّ مَن التجأ إليه، فَهُوَ كالمنارَةِ على رأسِهَا نُورٌ وَضِياءٌ، يراهُ من فقدَ الطريقَ، فيهتدي إليه، وينتفعُ من نورِ علمه. فجَدِيرٌ بنا أن نَحْتَفِيَ ونُكرّمَ مَن حمل هذهِ الرسالةَ وأدّاهَا على أكملِ وَجْهٍ، وهو أستاذنا الجليل معالي محمد حمدان. وكما يعلم الجميع والحضور الكريم، فإن ثقافة التكريم واحدة من أهم الأمور التي تُساعد في نموّ المجتمعات ورقيّها، وذلك لأنّ التكريم، بحد ذاته، يدفع الأفراد بقوّة نحو التميّز والتفوّق، وبذل المزيد من الجهد الإيجابيّ في خدمة المجتمع. وعندما نقول شكرًا بطرق وأساليب مختلفة لأشخاصٍ تميزوا في عملهم، أو دراستهم، أو أدوارهم المجتمعية المتعددة، فإننا بذلك نحفّز الآخرين نحو عجلة التقدّم والتطوّر الضروري؛ لخلق التنمية الشاملة للمجتمعات والبلدان، كما أننا حين نعطي صورة ناصعة للآخرين، فإننا ندفعهم للحرص والمحافظة على شعلة نشاطهم الإنساني الخلّاق، ونقدم للمجتمع أشخاصًا بذلوا كل ما يمكنهم لرفعة وعلو بلدانهم وأوطانهم، فعزيزنا المكرم اليوم يمثل صورة بهية من صور الإبداع، في جميع المواقع التي أدارها بكفاءة عالية قلّ نظيرها، ويشهد بذلك من عمل بمعيته في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، والتي استوزرها ثلاث مرات وأبدع في إدارتها، بالإضافة الى تسنمه رئيسًا لعدد من الجامعات الأردنية، منها جامعة اليرموك، والجامعة الهاشمية، والجامعة العربية المفتوحة، فضلًا عن عضويته في مجلس الأعيان ثلاث مرات، بالإضافة إلى أن أستاذنا العزيز كرم من قبل جلالة الملك عبد الله بن الحسين بوسام الكوكب الأردني من الدرجة الأولى، وأيضًا وسام التربية من الدرجة الأولى، كما كرم من قبل جلالته مرة أخرى بوسام التميز من الدرجة الأولى.

إن للنّجاح أناسًا يُقدّرون معناه، وللإبداع أُناسًا يحصدونه، واليوم تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتلظُم عقد الشّكر الذي لا يستحقّه إلّا من هم على شاكلة أستاذنا المكرم، فالحقيقة أنني سعدت عندما طلبت مني مؤسسة عبدالحميد شومان المشاركة في تكريم شخص هو ليس ككل الأشخاص، فقد عملت معه منذ فترة ليست بالقصيرة، فكان، بالنسبة لي، الأب والمعلم والموجه والأستاذ، ونهلت منه الكثير في العلم والإنسانية التي ترون عنوانها في عيونه وكلامه وتصرفاته، ولقد احترت كيف وماذا أكتب، وماذا أقول في هذا التكريم، فهل أتحدث عن القمة العلمية والذكاء المتوهج في عقل وقلب أستاذنا العزيز اللذين يتحلى بهما؟ أم أتناول صفات المعلم الإنسان الذي لا يكل ولا يمل في دعم ومساعدة الجميع، أساتذة وطلابًا، التي يتحلى بها معاليه؟ أم الجهود التي بذلها في رقي تلاميذه وتعليمهم وتوجيههم؟ أم أتحدث عن شخصية أثرت في قلوب وعقول كل من عرفه وتقرب إليه؟ أم عنه وعن جهوده وتوجيهاته في بناء منظمة عربية علمية تضم في جنباتها نخبًا من خيرة علماء الإحصاء والمعلوماتية في الوطن العربي، وهي اتحاد الإحصائيين العرب، الذي كان لمعاليه البصمة الأساسية والرئيسية والدائمة في بنائه واستمراره ورقيه؛ لهذا كنت أراجع كلماتي أيامًا عسى أن أجد منفذًا أستطيع من خلاله كتابة كلمات قد توفي جزءًا لهذه الشخصية العربية الأصيلة في قيمها، وخلقها وعلمها وإنسانيتها ورقيها. فإليك أستاذي العزيز الدكتور محمد حمدان، إليك يا من كان له قدم السّبق في ركب العلم والتّعليم، إليك يا من بذلت ولم تنتظر العطاء، إليك ولك اليوم، حيث نلتقي مع هذا الجمع المبارك؛ لنشارككم جميعًا في تكريم رجل لم يدخر جهدًا في سبيل الرقي بواقع وطنه، والارتقاء بالثقافة، من خلال التنظير في ممارسة العطاء بلا حدود، بعيدًا عن الاعتزال والخمول، على الرغم من كل صعوبات الحياة، متحملًا وحاملًا رسالة العلم، وإن للتكريم دلالات تنبع

من المحبة والوفاء للقيم الإنسانية والعلمية، التي يحملها أستاذنا ومعلمنا المكرم، الذي حمل في قلبه وعقله ووجدانه رسالة العلم، والذي يعطي ويسخر كل إمكاناته في رقي الوطن وتقدم تلاميذه وإعلاء رايتهم.

إننا، اليوم؛ إذ نشارككم جميعًا في تكريم أستاذنا العزيز، نستحضر، في هذا التكريم، رجلًا وفارسًا لا يشق له غبار في مجال تخصصه العلمي، وميدان نبوغه وتميزه، وإننا في اتحاد الإحصائيين العرب، هذا الاتحاد الذي يقوده ويرأسه معاليه منذ سنوات، وهو عمدته وفارسه الجليل، فهذا الرجل أسهم على نحو كبير، في تكوين هذا الاتحاد، وأوصله إلى أرقى مصاف الاتحادات العربية المتخصصة، في فترة قياسية، حتى أضحى مرجعًا لجميع الإحصائيين العرب، وكانت متابعته الكريمة قد أسهمت، بجهوده، في الحصول على موافقات مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، في الجامعة العربية؛ لإعلان تأسيس الاتحاد عام ٢٠٠٧. وبعد التأسيس بذل معاليه جهودًا كبيرة في دعوة الأجهزة الإحصائية العربية للانضمام إلى هذا الاتحاد، كما بذل جهودًا في انضمام عدد كبير من الإحصائيين العرب لعضوية الاتحاد، هذا بالإضافة إلى إشرافه ومتابعته المستمرين والدقيقين، في كل ما يخص الاتحاد، حتى وصل عدد أعضائه إلى أكثر من ٥٥٠ عضوًا من خيرة العلماء العرب في هذا القطاع.

هذا إضافة إلى ما قدمه للاتحاد من إصرار على تأسيس مجلة علمية مقيّمة دوليًّا، على الرغم من الفترة الزمنية القصيرة على تأسيس الاتحاد، حيث كان الغرض من تأسيس المجلة هو نشر الأبحاث العلمية، والتي كان لمعاليه، ومنذ العدد الأول، دور كبير في وضع أسس علمية رصينة للمجلة، التي أدارها من موقعه فيها، كونه رئيسًا للتحرير. وعلى الرغم من كل الصعوبات التي جابهتنا كاتحاد، من الجوانب المالية أو قلة العاملين، لكن الجميع

عملوا بشكل تطوعي فيها، حتى أضحت المجلة من المجلات التي تفخر بنشر أبحاث العلماء العرب، ثم بعدها عمل معاليه جاهدًا لوضع أسس علمية دقيقة للمتميزين في قطاع الإحصاء والمعلوماتية، فأنشأ وسام التميز الإحصائي العربي للعلماء العرب، كما أنشأ وسام التميز للمؤسسات الإحصائية العربية، بالإضافة إلى وسام التميز العربي للشباب؛ لكي يدفع بالشباب إلى التميز في هذا القطاع الحيوي، حيث تمنح هذه الأوسمة باحتفالية تقام كل عامين، على هامش عقد المؤتمرات العلمية الدولية للاتحاد، والتي أضحت التزامًا علميًّا يقام كل سنتين، ما جعل هذه الأوسمة هدفًا لتسابق الإحصائيين العرب في تطوير قطاع الإحصاء، وبلورة طرق جديدة في هذا الاختصاص؛ لغرض نيل هذا الوسام. وقد تحرّت هذه الأوسمة دفع التقدم العلمي في البلدان العربية، التي يقاس تقدمها بعدد علمائها، وبحجم ما يقومون به ويقدمونه للمجتمع، فالدّولة ومؤسساتها، ومراكز البحوث والمؤسسات العلمية التي تحترم علماءها وتكرمهم، وتقف داعمًا لهم، هي التي تسعى للرّقي والتّقدم، وهو ما يسعى إليه اتحاد الإحصائيين العرب، وأيضًا مؤسسة عبدالحميد شومان.

إن تكريمكم اليوم لأستاذنا العزيز، هو خطوة في طريق طويل من الجهد والاجتهاد، واختياركم لأستاذنا الجليل جاء بما يستحقه، ولما قدمه في درب تحقيق طفرة كبرى في العديد من المجالات البحثية والعلمية والإدارية والقيادية.

وإن حضور هذه الكوكبة من محبي معاليه في هذه الاحتفالية، ما هو إلا دالة على الوفاء والامتنان العميقين اللذين يعبران عن دلالات إنسانية؛ لإظهار الجنود الأوفياء الذين يعملون في الخفاء، ويرون صورة ذلك في مثل هذا التكريم، الذي يعبر عن إعلان للجهود التي قدمها المكرم في حياته، كونه من رواد الفكر والإبداع.

إن اختيار أستاذنا العزيز واصطفاءه بهذا التكريم، من خلال مؤسسة عبدالحميد

شومان، لهو التفاتة محبة وتقدير لجهود معاليه، عبر كل تلك السنين التي أبدع فيها، وفي جميع المسؤوليات التي كلف بها. نعم، لكنه في الحقيقة اختيار تسنده ركائز متينة تقاس بمعيار ما لقيناه من جهود لهذا الأستاذ وأعماله الجليلة والقيمة، سواء تعلقت تلك الجهود بكفاءته المهنية في التدريس والتعليم؛ أو في التأطير العلمي والإداري الذي يشهد به كل من تتلمذ على يديه، وكذلك بإسهامه في فنون التأليف العلمي، والتحقق الذي يبنئ عن منزلته العلمية في البحث والتأليف، والإشراف على طلبة الدراسات العليا، بالإضافة إلى ما قدمه لنا، في اتحاد الإحصائيين العرب، من توجيه لإعلاء شأن الاتحاد كمنظمة عربية، تضم في صفوفها صفوة من العلماء العرب، حتى أصبح هذا الاتحاد هو اتحاد العقول، كما عبرت عنه دوائر مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، فقد كان ولا يزال، يقدم لنا جميعًا النصح والتوجيه؛ لإعلاء شأن كل من يبحث عن التطور والتقدم، هذا بالإضافة إلى ما قدمه معاليه في الإدارة الناجحة، في جميع المراكز والجامعات التي قادها، بكل كفاءة واقتدار.

إننا، مهما تحدثنا عن أستاذنا الجليل من صفات، تعلوها في المقدمة إنسانيته الرائعة في التعامل مع الجميع، والتي طبعت بعض سمات العبقرية في شخصيته وعطائه العلمي والأكاديمي، والتي استحق بها أن نشارك جميعًا في تكريمه، فلن نوفيه حقه، وهذا أقل ما يمكن أن نقوم به ونفعله، فأمام صورة أستاذنا العزيز المشرفة لنا جميعًا، نجد أنفسنا ملزمين أن نقف اليوم مع الجميع لتكريم هذا الرجل؛ لأننا، على المستوى الشخصي، نرى أنه هو من فتح لنا باب النجاح في ما نقوم به، من خلال موقعنا في الاتحاد.

وإننا؛ إذ نعتبر هذا التكريم اليوم، تكريماً لاتحادنا ولجميع أعضاء الاتحاد، وللمؤسسات الإحصائية العربية، كوننا نفتخر بأن يكون معالي الأستاذ الدكتور محمد حمدان هو رمزنا ومعلمنا، فإننا نتقدم إليكم بالشكر والتقدير والعرفان لهذا التكريم، حيث نفخر بأن

المحتفى به رئيس للاتحاد؛ ولأننا نعتبر أن هذا التكريم، هو حلقة مهمة في سياق ترسيخ ثقافة الوفاء والاعتراف بجهود الذين وضعوا لبنة التبحر في العلوم والمعارف، المرتبطة بالرقم الإحصائي.

إليك أستاذي العزيز، أهدي عبارات الشكر والتقدير، فإن قلت شكرًا فشكري لن يوفيك حقك، فقد احتار حبر قلمي أن يعبر بكلمات أكتبها في هذا اليوم؛ لأعبر بها عن صفاء المحبة والتقدير، إلى صاحب التميز والأفكار، فما أجمل أن يكون الإنسان شمعة تنير دروب الآخرين.

ألف تهنئة لمعاليكم أستاذنا العزيز الدكتور محمد حمدان بهذا التكريم الذي تستحقه عن جدارة، وألف تهنئة لجميع أعضاء الاتحاد بهذا التكريم، الذي نعتبره تكريماً لنا جميعًا، وألف شكر وتقدير للسادة الحضور، الذين شاركونا هذا التكريم، والشكر والتقدير والعرفان لمؤسسة عبدالحميد شومان، التي تحترم وتقدر العلم والعلماء.

محمد حمدان
عصامـــي تجـاوز الفقــر ليعلّم المقهورين

د. مهند مبيضين *

يكمن ما أنجزه وما وصل إليه الراحل الدكتور محمد حمدان في حياته، في قدرته على الإنجاز والعمل ضمن فريق، ولمزاياه الشخصية دور في ذلك، كالبساطة واللباقة ودماثة الخلق، التي دارت حولها ملامح شخصيته المركزية كبروفيسور في الرياضيات، محب للرياضة، ومنتمٍ لبحوثه العلمية العالمية، التي جاوزت ٧٠ بحثًا في حقل التخصص الدقيق، وهي التي قدّمته لكل ما وصل إليه، وهو، وإن أبدع في الرياضيات، إلا أنه في بداية حياته كان ميّالًا للهندسة.

ولد محمد حمدان في حـي المنسيـة من مدينة يافا العام ١٩٣٥م، لأسرة من أصول تعود لمدينة طولكـرم، وكـان رب الأسـرة يملك

* أستاذ التاريخ العربي الحديث في الجامعة الأردنية.

مكتب سفريات. وفي الخامسة من عمره كان موعده مع الذهاب إلى الروضة مدة عامين، ولم يكن ذلك مألوفًا، ولما ذهب للدراسة الابتدائية في المدرسة العامرية، قال والده للمدير إن ابنه يقرأ ويكتب، ولا يجوز وضعه في الصف الأول: «وسألني المدير وفحصني بالحساب وأجبت فوافق، وأصرّ والدي على أن أدخل في الصف الثاني؛ لأنني درست عامين قبل المدرسة، وكنت أعرف الإنجليزي، وفحصني المدير في الإنجليزية، وبدأت بالصف الثالث».

في العام الدراسي ١٩٤٧-١٩٤٨م عام النكبة، التي ما تزال صورتها تلازمه، كانت الهجرة: «كنت في بدء العام الدراسي للصف الأول الثانوي»، ويتذكر بداية القصف في أرجاء يافا لتهويل الناس ودفعهم للرحيل: «ويا ليتنا لم نرحل، والدي وضعنا في سيارة فذهبنا إلى طولكرم، فنابلس، وضاع العام الدراسي».

التحق حمدان بالمدرسة الصلاحية في نابلس، وفيها أتمّ دراسة الرابع الثانوي «المترك» العام ١٩٥٢م، ونابلس يومها، كان مجتمعها يميز بين المدني والفلاح، وآنذاك كانت تشهد تنافسًا على المراكز المتقدمة.

من زملائه في الدراسة وليد باكير، طبيب العظام في عمان، وحسني أبو سير، وهاني أبو حجلة، وعدنان أبو عودة، والراحل أحمد عثمان، وهؤلاء كما يقول: «كانوا من المتقدمين في الدراسة، وكان التنافس في ظل دولة الوحدة شديدًا».

في العام ١٩٥٢م حصل على المرتبة الأولى في امتحان شهادة الثانوية على طلبة الضفتين، كان هدفه بعد التوجيهي أن يعمل على مساعدة والده الذي انتقل بعد النكبة من مالك للسيارات وصاحب مكتب، إلى سائق سيارة يملكها ويعمل عليها لإعالة أسرة مكونة من ١٣ فردًا في ظروف صعبة.

كانت عينه على الوظيفة، وحال الأسرة مستند إلى عمل الأب، وكانت وزارة التربية والتعليم توظف حملة المترك، موظفين في الدرجة العاشرة، براتب ١٧ دينارًا، لكنه طُلب بعد النتائج من قبل الوزارة، عبر برقية من الراحل خليل السالم في عمان: «قالوا لي إنهم يريدون إرسالي في بعثة».

وخُيّر حمدان بين الجامعة الأميركية في بيروت أو جامعة بغداد أو القاهرة أو دمشق، بيد أنه لم يخبر بشرط البعثة، وهو وجوب العودة للعمل معلمًا. فظل عائدًا لوالده وأخبره بما عُرض عليه: «قلت له إني أرفض البعثة، وهو لم يرتح قلبه لبيروت وبغداد، فوافق على القاهرة أو دمشق، وذهبت مبعوثًا إلى القاهرة العام ١٩٥٢م».

بعد شهرين على ثورة تموز (يوليو) سافر إلى القاهرة، وفيها درس التوجيهي المصري، واختار دراسة الرياضيات البحتة، وظهرت أمامه مشكلة في القاهرة في أول سنة: «كنا خمسين طالبًا، ومنهم أردنيون، وكان يجب تحقيق تقدير جيد جدًا للتخصص في الرياضيات البحتة، ولم يحقق الشرط إلا خمسة طلاب من أصل خمسين، وفي السنة الثالثة لم يحقق الشرط إلا طالب واحد هو أنا».

قُبل الدكتور حمدان في التخصص الدقيق للرياضيات البحتة، وظن بادئ الأمر أن القسم لا يمكن أن يفتح لطالب واحد: «كنت أدرس في مكتب الأساتذة وحدي، وكانت المناهج قوية، وكانوا يستقدمون لنا علماء من جامعات بريطانية، وكانت الظروف أفضل من اليوم». لكن مصر التي شهدت آنذاك تحولات سياسية عميقة، تمثلت بثورة تموز، ظل لها في قلبه ووعيه منزله كبيرة.

كانت فترة الدراسة الجامعية عنده حيوية، فحبه لكرة القدم استمر منذ كان في المدرسة الصلاحية، وهو ما جعله ينخرط في فريق جامعة القاهرة: «صرت في الفريق المدرسي في سنة

التوجيهي المصري، ثم في فريق الكلية، وشاركت في المباريات مع جامعات مصر الأخرى، وهذا ما أتاح لي معرفة أخرى غير معرفة الجامعة، سياسيًّا».

وفي زمن الاستقطاب الفكري، لم ينضم حمدان إلى أي حزب، لكنه كان ممن تحمسوا للثورة المصرية، واللواء محمد نجيب، وعندما استقال نجيب وبرز عبد الناصر على المسرح، ومعه صلاح سالم: «خرجنا بتظاهرة كبيرة من حرم الجامعة إلى ميدان التحرير، وهتافنا كان: يسقط المنقار (نسبة لعبد الناصر ذي الأنف الطويل)، والمنظار (نسبة لصلاح سالم ونظارته)، إلى أن وصلنا قبيل ميدان التحرير فأطلقت علينا النيران الحية فعُدنا».

في القاهرة ، كان يُدفع له خمسون جنيهًا من المنحة الجامعية للطالب الأول في كل تخصص، هذا إلى جانب مخصصات بعثة وزارة التربية والتعليم الأردنية، وكان الجنيه أعلى من الدينار الذي يساوي ٩٥ قرشًا مصريًّا، ولم يكن ينفق المبلغ المخصص كاملًا بل يوفر منه مالًا لمساعدة والده. ومع حرب السويس العام ١٩٥٦م، دخل في فريق الطلبة المتطوعين، وتسلموا أسلحة تشيكية: «ولبسنا اللباس وأعطونا رصاصًا، وتدربنا على الرماية، ووضعنا في المدينة الجامعية بالجيزة كخط دفاع أخير».

ابن الأسرة قليلة المال كثيرة العدد، مارس عصامية كبيرة، وظلّ دومًا مضطرًّا للعمل؛ لتوفير مصاريفه: «كل صيف كنت أعود وأدرّس طلبة في الإجازة بعمان، وفي جامعة القاهرة كنت معيدًا غير معين، وبين المحاضرات كنت أشرح للطلبة الدروس وأتلقى الأجر منهم عينيًّا».

في العام ١٩٥٧م تخرج من جامعة القاهرة بمرتبة الشرف وعاد إلى عمان، وطُلب لوزارة التربية، بينما كان يحب أن يعين في المدرسة الصلاحية بنابلس: «وقيل لي إن التعيين حسب

الأولويات، وأنت مرشح للتعيين في دار المعلمين بعمان، وكانت الدار مؤسسة التعليم الوحيدة إلى جانب دار أخرى في رام الله».

كانت دار المعلمين أواخر الخمسينات بإدارة عبد الحميد ياسين، وكان من زملائه الأستاذ محمد نوري شفيق، وإلبرت بطرس، والراحل فايز علي الغول: «الذي كان يدافع عن الفصحى»، وتأثر به منذ ذلك الوقت. كان ذلك جيل الكبار من رجال التربية الأردنية الفلسطينية في زمن الوحدة.

بدأ بعد التعيين بتلمس الجهات التي توفد للدراسات العليا، وبعد عامين ونصف العام منح بعثة من اليونسكو إلى جامعة أستراليا في الرياضيات، وبعد إنهاء البعثة لقي تشجيعًا من أستاذه كي يتمّ الدراسة، يقول هنا: «كتبت لليونسكو ووزارة التربية، وجاءني اعتذار في المرة الأولى، لكن في المرة الثانية أعدت الرسالة بتوصية من أستاذي، وتمت الموافقة وتخرجت العام ١٩٦٣م، وعدت إلى الأردن».

أما الجامعة الأردنية، عند عودته، فكانت بدأت بكلية الآداب، حيث عين مفتشًا للرياضيات في الضفتين: «خلفيتي في كلية المعلمين أكسبتني مهارات تربوية، وتنقلت بين كل المدارس، وكان عندي وقت، فدرّست في مدرسة الصناعة، وفي راهبات الناصرة، ودرست دروسًا خصوصية قبل أن أذهب للدكتوراه، وكنت أتلقى على الساعة ٨٠ قرشًا».

عُين أبو أحمد بعد ذلك مديرًا لدار المعلمين في عمان، لكنه لم يطل المقام؛ إذ جاء عرض من الجامعة الأميركية في بيروت؛ ليدرّس في تخصص الإحصاء الرياضي، فقبل العرض وذهب، وبقي هناك بين عامي ١٩٦٥-١٩٧٦م. بدأ أستاذًا مساعدًا، وترقى إلى بروفيسور وثُبّت. وفي أثناء تلك الفترة كان يتردد على كلية العلوم في الجامعة الأردنية، وأخذ إجازة

تفرغ علمي، فدرس ثلاث سنوات في جامعة ولاية فيرجينيا الأميركية بين عامي ١٩٦٩-١٩٧٢م.

العام ١٩٧٦م كُلف د. عدنان بدران رئيسًا لجامعة اليرموك، فجاء من بيروت ليعمل مع بدران منذ التأسيس: «كان هناك فقط مدرسة مبنية عظمًا في منطقة المستنبت». وظروف «اليرموك» عند التأسيس بدت صعبة؛ إذ كان هناك رئيس وعميد لكلية العلوم والآداب فقط، وكان التفكير أن تكون جامعة اليرموك مثل الجامعة الأميركية في بيروت. يقول: «د. بدران عمل بجد، وكان متحمسًا. طلب إلي أن أستقطب من أستطيع، واستقدمنا محمود الغول والدكتور رفل وفيلب باسون وفكتور بلا، وبنينا الجامعة على الانفتاح، في ظل جسم طلابي ينبض بالحياة. كنت أنزل وألعب رياضة مع الطلاب، وكانت إربد بلدة صغيرة لكنها قبلت الجامعة».

بقي في «اليرموك» حتى العام ١٩٧٨م، حيث عين في الجامعة الأردنية التي كانت في أوج حراكها الطلابي، وكان حمدان يومها عميدًا لشؤون الطلبة، الذين بدوا منظمين ومسيسين في أحداث ذلك العام، وكان الحراك السياسي كبيرًا بين الطلبة، ومؤثرًا على إدارة الجامعة، وجاءت الشرطة لتقف على تلة مقابلة للبوابة: «الراحل محمد أبو حليمة خطب خطبته العصماء في مدرج سمير الرفاعي، ومعه ناهض حتر». وفي أثناء عمله عميدًا لشؤون الطلبة، اقترح حمدان إنشاء إذاعة للجامعة.

بعد أحداث «الأردنية»، نقل حمدان من عميد شؤون طلبة إلى عميد بحث علمي في عهد الدكتور عبد السلام المجالي، وظل عميدًا بين عامي ١٩٨٢-١٩٨٤م، ثم عُين عميدًا لكلية العلوم بين عامي ١٩٨٤-١٩٨٦م.

في شهر رمضان ١٩٨٦م، اندلعت أحداث جامعة اليرموك، وبعد الأحداث وقع الاختيار عليه من قبل زيد الرفاعي ليكون رئيسًا لجامعة اليرموك: «عينت لجامعة خرجت من معركة عاتية، مات فيها ثلاثة طلاب، وفصل منها ٢٥ مدرسًا و١٥ موظفًا و٣٠ طالبًا».

يومها؛ اتخذ حمدان إجراءات حازمة، أهمها أنه نقل مكان إقامته هو وأسرته إلى إربد: «نجحت وتجاوزت الأمر، وأتيت بأعضاء الاتحاد واجتمعت بهم، وتفاهمنا على أن لا يسمح لأحد أن يعبث بالجامعة وأمنها، وأي مخالفة لن تذهب من دون تحقيق، وقلت للعمداء أنتم فريقي، ويجب أن لا تتركوني كما تركتم عدنان بدران وحده».

في العام ١٩٩٠م، جاء تشكيل حكومي جديد، على إثر أحداث نيسان ١٩٨٩ وما تلاها من انتخابات نيابية، فاختاره مضر بدران وزيرًا للتربية والتعليم العالي، ولأول مرة تُعهد فيها الحقيبتان إلى وزير واحد، وبقي حتى مطلع العام ١٩٩١م. ويصف تجربته في وزارة مضر باشا بدران بأنها كانت صعبة؛ إذ: «كان مجلس النواب فاعلًا، وحركة الإخوان فيه قوية».

في العام ١٩٩٢م، عند تأسيس الجامعة الهاشمية، وقع اختيار مضر بدران عليه ليكون الرئيس المؤسس: «كانت ميادين تدريب للجيش في منطقة (خو)، وبدأنا من نقطة الصفر». وبقي رئيسًا للهاشمية نحو ست سنوات (١٩٩٢-١٩٩٨م)، وعند تشكيل حكومة عبد السلام المجالي اختير وزيرًا للتربية والتعليم العالي مرة أخرى، براتب أساسي يوثقه ملفه الوظيفي، قدره ١٥٠٠ دينار، وكان المجالي طلب إليه أن يصوغ قانونًا لإلغاء وزارة التعليم العالي.

بين عامي ١٩٩٨ و١٩٩٩م، عين أمينًا للمجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا، وبعدها

جاء الأمير طلال بن عبد العزيز، واختاره من بين فريق عربي رئيسًا للجامعة العربية المفتوحة، فطلب الاستقالة العام ٢٠٠١م للعمل مستشارًا للأمير طلال في أمر الجامعة العربية المفتوحة.

في العام ٢٠٠٢م عين مديرًا عامًّا لمؤسسة عبد الحميد شومان، وبقي شهرًا ونصف الشهر، ثم جاء وزيرًا للتعليم العالي في حكومة علي أبو الراغب، وظل حتى (تشرين الثاني) نوفمبر ٢٠٠٣م، بعدها عاد مستشارًا للجامعة العربية المفتوحة، وفي العام ٢٠٠٧ اختير ليكون أحد أعضاء مجلس الأعيان.

في العام ١٩٦٦م تزوج من السيدة هدى الخاروف: «بنت جيراننا في جبل الحسين التي أحببتها، وأنجبنا أحمد وهو اليوم أستاذ في كلية طب الأسنان في الجامعة الأردنية في تخصص التقويم، وريسا درست الهندسة المعمارية وتعمل في أمانة عمان».

كانت لباقة محمد حمدان وتواضعه، أحد أسرار رجل العمل المؤسس، المنتمي للحياة الأكاديمية والمعرفة، كان رحبًا بما يكفيه لتجاوز أي خصومة او كراهية او حسد من الآخرين. ختم حياته بالعمل في مجمع اللغة العربية كعضو عامل، وبقي على صلة بكل ما هو معرفي، ولم يتكلف في حياته، بل ظل نصيرًا للعمل والمعرفة، ولذلك كان سخيًّا بأن بنى مدرستين على نفقته، واحدة في عين الباشا وأخرى في عمان الشرقية، وفاء لمهنة العلم وضرروة تعليم الفقراء، فتعليم المقهورين ذلك هو الخير الذي يمكث في الأرض.

محمد حمدان ومجمع اللغة العربية الأردني

د. محمد السعودي *

للدكتور محمد حمدان جهود كبيرة في التعليم العام والعالي وخدمة اللغة العربية؛ ولذلك صدرت الإرادة الملكية السامية بتعيينه عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية الأردني، بتاريخ ١١/ ٩/ ١٤١١هـ، الموافق ٢٧/ ٣/ ١٩٩١م، وشغل منصب نائب رئيس المجمع في المدة بين عامي ٢٠١٤م و٢٠٢٠م، وعضو المكتب التنفيذي فيه، وكان عضوًا فاعلًا في معظم اللجان الدائمة والمؤقتة في المجمع، ورئيسًا (مقررًا) لعدد منها، وعضوًا في اللجنة الوطنية للنهوض باللغة العربية.

شارك الأستاذ حمدان في جلسات المؤتمرات والمواسم الثقافية التي يقيمها المجمع، وترأس عددًا منها، وقد مثّل المجمع في العديد من المناسبات والمحافل الوطنية والدولية.

---

* أمين عام مجمع اللغة العربية الأردني.

وله بصمات كبيرة في تأسيس المجمع ونشاطاته وفعالياته وإنجازاته، ومشروعاته الكبيرة في تعريب التعليم، وتعريب المصطلحات الأجنبية، والترجمة والتأليف، ووضع المعجمات، ومشروع تأليف مناهج اللغة العربية الرائد، الذي أشرف المجمع عليه في التسعينيات. ويشهد له أنه مواظب على حضور اجتماعات المجلس والمكتب التنفيذي، وحضور فعاليات المجمع، وإثرائها بالمشاركة الفاعلة والدعم المتواصل.

ولقد حقق المجمع جملة من الإنجازات خلال مدة تسلّمه منصب نائب الرئيس، كان أهمها:

- تفعيل أهم بنود قانون حماية اللغة العربية رقم (٣٥) لعام ٢٠١٥م، وتعميمه على دوائر الدولة ومؤسساتها كافّة.
- الفوز بجائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية والأدب عام ٢٠١٧م عن تجربة المجمع في التعريب والترجمة.
- افتتاح إذاعة المجمع الأردني عام ٢٠١٧م، التي تحدث غير مرة عبر أثيرها للجمهور؛ أكاديميًّا فذًّا ولغويًّا بارعًا، وموجهًا رسائل ترفع الذائقة اللغوية، والدعوة لخدمة اللغة العربية الشريفة.
- إطلاق حزمة من المسابقات الثقافية في فن الخط العربي والتأليف والترجمة، ومسابقات الأطفال والمبادرات اللغوية الفاعلة، والإنشاد الشعري على مستوى المملكة.
- تطبيق امتحان الكفاية في اللغة العربية، استنادًا إلى المادة العاشرة من قانون حماية اللغة العربية رقم (٣٥) لعام ٢٠١٥، وهو الامتحان الذي صدر نظامه وتعليماته، وفعّل بداية عام ٢٠١٨م على كل الفئات المستهدفة، من معلمين في التعليم العام، وأعضاء هيئة تدريس في التعليم العالي، والإعلاميين في المؤسسات الإعلامية.

- تسلم الدكتور حمدان رئاسة لجنة توثيق أوضاع المؤسسات المخالفة لأحكام قانون الحماية؛ استنادًا إلى المادة السادسة عشرة من القانون، إلى جانب أعضاء من وزارة الصناعة والتجارة والتموين، ووزارة التربية والتعليم، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وهيئة الإعلام، مدة عام، رصدت فيها اللجنة برئاسته المخالفات لدى المؤسسات والشركات والمحال التجارية في عدد من مناطق العاصمة عمان، ووثقتها بالصور، وخاطبت المعنيين في الوزارات والدوائر والمؤسسات الرسمية وأمانة عمان؛ لتصويب هذه المخالفات، المتمثلة بكتابة اللافتات بلغات أجنبية أو لهجات عامية، وذلك عند تجديد رخص المهن التجارية سنويًّا.
- الفوز بمنحة صندوق الأوبيك للتنمية الدولية (أوفيد) ٢٠١٨م؛ لدعم نشر معجم «لسان العرب الاقتصادي».
- الفوز بجائزة محمد بن راشد للغة العربية عام ٢٠١٨م عن أفضل تجربة في السياسة والتخطيط اللغوي، تمثلت في قانون حماية اللغة العربية.
- الفوز بجائزة مونديال القاهرة عن أفضل عمل في إذاعة المجمع عام ٢٠١٨م.
- نيل المجمع وسام الاستقلال من الدرجة الأولى لعام ٢٠١٩م؛ لجهوده في الحفاظ على اللغة العربية واستخدامها في سائر مناحي الحياة، باعتبارها هوية الأمة.
- كما ساهم في افتتاح المكتبات الخاصة في المجمع، مثل المكتبة الخاصة للعلامة المرحوم الأستاذ سامح الرواشدة عام ٢٠١٨م، وروكس العزيزي.
- كما أسهم معاليه في إصدار العديد من الكتب العلمية التي دعم المجمع نشرها في شتى المجالات، وأهمها:

ـ معجم لسان العرب الاقتصادي ـ بجزأيه.

ـ العين والبصر في القرآن الكريم.

ـ نظم المعلومات الإدارية لعصر المعلومات.

ـ تاريخ العلوم والتكنولوجيا في الحضارة العربية والإسلامية.

ـ محنة الكحالين.

وكانت له بصمات واضحة في أعمال المكتب التنفيذي، تمثلت في:

- إدارة شؤون المجمع العلمية والإدارية والمالية، والإشراف على أوجه نشاطاته.
- إعداد مشروع الموازنة السنوية للمجمع.
- إعداد مشروعات الأنظمة والتعليمات اللازمة للعمل.
- الإشراف على انتخابات المجلس.

وانتخب الدكتور حمدان عضوًا في اللجان الدائمة والمؤقتة، وكان رئيسًا (مقررًا) لبعضها، فقد كان عضوًا في لجنة المصطلحات من عام (١٩٩٣م-١٩٩٩م)، ومن (٢٠٠٣م-٢٠٠٧م)، والتي أسهمت في:

- وضع المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية في علوم شتى.
- تزويد المجامع اللغوية والعلمية والعربية ووزارات التعليم العالي وغيرها من المؤسسات الثقافية بهذه المقابلات.

كما كان عضواً في لجنة الحاسوب من عام (١٩٩٣م-١٩٩٧م) التي عملت على:

- تطوير موقع المجمع على الشابكة (الإنترنت).
- تنسيق المنشورات والمطبوعات الصادرة عن المجمع وإخراجها.
- تطوير وحدات وأقسام المجمع إلكترونيًّا.

- متابعة حوسبة الدوائر، ومتابعة مشروع نظام إدارة الموارد البشرية الموحد (HRMIS) الصادر عن ديوان الخدمة المدنية.

كما كان عضوًا في لجنة التأليف والترجمة والنشر من عام (١٩٩٣م-١٩٩٩م)، ومن (٢٠٠٣م-٢٠٠٧م)، والتي أسهمت في ترجمة وتعريب ما يزيد على اثنين وعشرين كتابًا علميًّا، منها الموجز في الجراحة، وحساب التفاضل والتكامل وغيرها، وإصدار مخطوط الفلاحة الأندلسية لابن العوام الإشبيلي بأجزائه السبعة، ومراجعة وتحكيم عدد من المنشورات التي دعم المجمع نشرها مؤخرًا مثل: كتاب العين والبصر في القرآن الكريم، وتاريخ العلوم والتكنولوجيا، ومحنة الكحالين.

وكان عضوًا في لجنة المعجمات من عام (٢٠٠٢م-٢٠٠٦م)، التي أعدّت خطط مشروعات عدة منها: مشروع معجم الحياة العامة، ومشروع المعجم المدرسي، ومشروع معجم المصطلحات الديوانية (الكتابية والإدارية)، الذي تفرّد المجمع بإنجازه من بين مجامع اللغة العربية التي كُلِّفت بإنجاز معاجم متخصصة بألفاظ الحياة العامة، ضمن قرار مجلس اتحاد المجامع رقم (٦) لعام ١٩٩٧، وجاء المعجم ليكون نواة لتوحيد ألفاظ الحياة في كل البلاد العربية؛ لتنطلق منه المناهج التعليمية على أسس ثابتة ومشتركة.

وكان عضوًا في لجنة البحوث والدراسات اللغوية من عام (٢٠٠٤م-٢٠٠٧م)، التي درست مشروع النظام الأساسي لمؤسسة المعجم التاريخي للغة العربية، الذي وضعه اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وتدريس توصيات المؤتمرات التي تعقد كل عام.

وكان رئيسًا (مقررًا) للجنة صندوق الاستثمار للمجمع من عام (٢٠٠٦م-٢٠١٢م)، المكلَّفة باستثمار رأس مال الصندوق لتمويل أنشطة المجمع بالطرق المناسبة، وصدرت عنها تعليمات صندوق الاستثمار المعمول بها حاليًّا.

كما كان عضوًا في لجنة مصطلحات الفيزياء والرياضيات من عام (٢٠٠٧م-٢٠١٢م)، والتي من أهم أهدافها: توحيد هذه المصطلحات ووضع المعاجم بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية، داخل المملكة وخارجها.

وكان رئيسًا (مقرراً) للجنة صندوق دعم التأليف والترجمة والنشر وتحقيق التراث، من عام (٢٠٠٩م-٢٠١٠م)، المكلَّفة بجلب الأموال للصندوق وتنميتها، من أجل مشاريع تأليف الكتب وترجمتها وطباعتها ونشرها، وتحقيق التراث ونشره.

وكان عضوًا في اللجنة العليا للإشراف على الاحتفال بالذكرى الأربعين لتأسيس المجمع في عام ٢٠١٦م، التي كُلِّفت بالإعداد لاحتفالية مهيبة تبرز إنجازات المجمع على مدى أربعين عامًا، وترأس الدكتور حمدان لجنة تأليف كتاب «مجمع اللغة العربية الأردني في أربعين عاماً» عام ٢٠١٦م، برفقة عضوية ثلة من الأساتذة أعضاء المجمع، وعطوفة أمينه العام آنذاك، وقد زاد الكتاب على مئتين وخمسين صفحة في ستة أبواب وخمسة ملاحق، جسَّدت نبض الحياة في أربعين عامًا من مسيرة المجمع.

وكان عضوًا في لجنة إعداد مشروعات الأنظمة والتعليمات اللازمة لعمل المجمع في عام ٢٠١٥م، التي تتولى مهمة إعداد المشروعات والأنظمة الخاصة بعمل المجمع، تمهيدًا لرفعها إلى دولة رئيس الوزراء لإصدارها.

كما كان رئيسًا (مقررًا) للجنة مصطلحات العلوم الأساسية من عام (١٩٩٣م-١٩٩٩م)، وعام ٢٠١٥م، التي تراجع المصطلحات، بهدف وضع مقابلات عربية لها مع تعريفاتها؛ لمواكبة الأمور المستجدة في مجال اختصاصها.

وكان عضوًا في لجنة الموارد المالية من عام (١٩٩٣م-١٩٩٩م)،

ورئيسًا (مقررًا) للجنة التنسيق العلمي لمشروعات المجمع عام ٢٠٠٩م،

ورئيسًا (مقررًا) للجنة مصطلحات الهندسة (المعمارية والهندسية والكهربائية والميكانيكية والاتصالات والحاسوب) من عام (٢٠٠٩م-٢٠١٢م)، التي تتولى تعريب المصطلحات الأجنبية في مجالات عدة. إضافة إلى تخزين عدد كبير من المصطلحات التي أقرها المجمع في الحاسوب على نظام (ميزنيس)، إلى نظام (windows) الذي يتوافق مع الأنشطة، ونشرها على موقع الشابكة (الإنترنت)، فضلًا عن توحيد مصطلحات العلوم والآداب والفنون، ووضع المعاجم بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم، وغيرها.

وكان عضوًا في لجنة مصطلحات العلوم الأساسية والتطبيقية (الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء والعلوم الحياتية، الهندسة، والزراعة، والجيولوجيا والبيئة وتكنولوجيا المعلومات)، التي أنجزت مراجعة المصطلحات المستلَّة من مدونة «المتطلبات الأساسية لأماكن تخزين المواد الخطرة» وتعريفاتها الموجزة عام ٢٠١٦م، ومراجعة المصطلحات المستلَّة من مدونة «الخرسانة الإنشائية/ المجلد الثاني» وتعريفاتها الموجزة عام ٢٠١٦م، إضافة إلى مراجعة المصطلحات المستلَّة من مدونة «الدراسات المرورية» وتعريفاتها الموجزة عام ٢٠١٦م.

كما مثلَّ المجمع، بالتعاون مع التلفزيون الأردني، منافحًا عن اللغة العربية، باعتبارها هوية الأمة وعنوان حضارتها؛ حيث سُجلت ثلاث عشرة ندوة تلفازية عام ١٩٩١م بعنوان «في رحاب العربية»، في التلفاز الأردني، بالتعاون مع المجمع، وشارك بالتعاون مع الأستاذ نصرت عبدالرحمن في حلقتين بعنوان: «أهمية اللغة العربية في تحديد هوية الأمة العربية»، والأخرى بعنوان: «اللغة العربية السليمة لغة لكل ناطق بها وليست لغة المتخصصين بالعربية وآدابها».

يذكر أنه عضو فاعل في اللجنة الوطنية الأردنية للنهوض باللغة العربية نحو مجتمع

المعرفة، التي تشكلت بناء على تكليف الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، وأقرت في قمة دمشق عام ٢٠٠٨م، وقمة الدوحة عام ٢٠٠٩م، من أجل النهوض باللغة العربية، وقد أنجزت اللجنة، على مدار عشر سنوات، إصدارات أسهمت في الكشف عن التحديات التي تواجه اللغة العربية في قطاعات وحقول شتَّى، ووضعت توصيات من شأنها النهوض بالبرامج القومية والوطنية؛ لمعالجة قضايا اللغة العربية، أهمها:

- صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال عام ٢٠١٤م.
- اللغة العربية في القضاء الأردني وكليات الحقوق في الجامعات الأردنية ٢٠١٥م.
- اللغة العربية في ميدان التواصل على شبكة الإنترنت والهاتف المحمول عام ٢٠١٥م.
- واقع اللغة العربية في الجامعات الأردنية الرسمية والخاصة، جامعة مؤتة أنموذجًا عام ٢٠١٨م.
- واقع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عام ٢٠١٩م.
- دليل أبحاث حوسبة اللغة العربية في جزأين عام ٢٠١٩م.

الجلسة الخامسة

شهـــادات

شهـادة

د. أحمد محمد حمدان *

عندما طُلب مني أن أقدم شهادة تخص مسيرة حياة أبي الحبيب، سعدت كثيرًا بهذا الطلب، واعتقدت أنه سيكون أمرًا سهلًا، فأنا من أقرب الناس إلى أبي ولم أفارقه إلا بضع سنين، وقت دراستي الماجستير والدكتوراه، إضافة إلى بضع أخرى عندما ذهبت للعمل خارج الوطن. لكن حينما جلست لأكتب هذه الشهادة، وجدت صعوبة بالغة في نقل كل ما أشعر به تجاه والدي من حب واحترام وتقدير وامتنان، وغيرها من المشاعر النبيلة والجياشة، إلى الورقة الفارغة التي جلست أنظر إليها مطولًا، وأحسست بالضعف وقلة الحيلة؛ لأنني أعلم إنني لا أملك المفردات اللغوية والأدوات النحوية اللازمة؛ لنقل ولو جزء يسير من هذه المشاعر إليكم.

كيف تكتب على ورقة شهادة عن شخص قد أثر على كل خلية في جسدك؟ وكيف تصف مسيرة عمر، ذلك أنك مهما كتبت، ومهما قدمت من شهادات، فإنه من المستحيل أن أوفيكَ حقك يا أبي الحبيب.

* نجل المحتفى به، عميد كلية طب الأسنان في الجامعة الأردنية.

ولو تساءلت: من هو الأستاذ الدكتور محمد حمدان، يمكنني الإجابة على النحو الآتي: هو الأب، والأخ، والصديق، والمربي، والمثل الأعلى، والرفيق.

هو من علمني أن أحترم الناس جميعًا، وأن أحسن معاملتهم، مهما كانت مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية، لا بل أن أعامل الضعيف منهم بأحسن من القوي؛ لأن الحياة قد قست عليه وهو بحاجة إلى من يهوّن عليه ذلك، فكان، ولا يزال، يبحث عن طرق لمساعدة كل من حوله، حتى لو كان ذلك على حساب راحته، وفي بعض الأحيان صحته. وأتذكر، في هذا السياق، وقبل بضعة أسابيع، وقد كان الوالد يعاني من شدة المرض، لكنه أصر أن يذهب لتقديم العزاء لصديقه دولة الأستاذ الدكتور عبد السلام المجالي.

هو من علمني الجد والاجتهاد والإتقان في العمل، فكان يجلس الساعات الطوال إلى طاولة غرفة الطعام؛ لأنه لم يكن يملك مكتبًا في تلك الأيام، وبتركيز تام لإنجاز ما عليه من عمل. وأذكر أنه، بعد أن صدرت الإرادة الملكية السامية بتعيينه الرئيس الأول المؤسس للجامعة الهاشمية، وفي جلسة واحدة استغرقت أزيد من خمس ساعات، وضع النظام المالي والإداري للجامعة. وكانت والدتي حفظها الله، تأتي له بالشاي والكعك، فيبرد الشاي من دون أن يشربه من شدة انشغاله وتركيزه في عمله.

وقد كنت أتذكر هذا الموقف ومواقف عديدة على غراره، في خلال دراستي في بريطانيا، حينما كنت أشعر بالتعب ووحشة الغربة، فكان منارة مضيئة لي تحثني على المثابرة والاستمرار.

هو المثل الأعلى الذي يُقتدى به، فمن بداياته المتواضعة، من عروس البحر يافا إلى نابلس، ومن ثم إلى عمان، استطاع بجده واجتهاده، أن يرتقي إلى أعلى الدرجات العلمية والأكاديمية والإدارية والسياسية، فقد تولى عمادة العديد من الكليات في جامعة اليرموك، والجامعة الأردنية، ومن ثم عُين رئيسًا لجامعة اليرموك، في أصعب الظروف، واستطاع، في

وقت قصير، أن يُخرِج الجامعة من الأزمة التي كانت تمر بها، وذلك من خلال تعامله العادل والمنصف مع أعضاء هيئة التدريس والطلبة. وبعدها تولى منصب وزير التربية والتعليم والتعليم العالي، وقد شغل هذا المنصب أربع مرات، مع أربعة رؤساء وزراء. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أنه كان الرجل المناسب في المكان المناسب. وقد كان الرئيس المؤسس للجامعة الهاشمية، والتي كانت، منذ تأسيسها حتى الآن، نموذجًا مضيئًا للجامعة الأردنية الرشيقة المستقلة ماليًا، وما كان ذلك ليتحقق لولا أن كان تأسيسها على قواعد صلبة وسليمة.

إن محمد حمدان مثلٌ حيّ على أن من يجدّ ويجتهد ينلْ مراده، وفي زمن طغت عليه الوساطة والمحسوبية، فنحن في أشد الحاجة لمثل هذا الأنموذج، الذي يبعث الأمل في روح الشباب الذي لا وساطه له.

وعلى الرغم من كثرة انشغاله في عمله، فهو الأب الحنون والمعطاء، الذي يلعب مع أولاده ويساعدهم في دراستهم، ويستمع إلى مشاكلهم ويحاورهم، ويساعدهم على إيجاد الحلول المناسبة لها.

كانت شهاداته الجامعية في الرياضيات والإحصاء، فداوم على مساعدتي في دراسة هذه المواد في المدرسة، ما ساعدني في الحصول على علامة ١٠٠٪ في الرياضيات في التوجيهي، وقد كان لذلك الأثر الكبير في تنمية التفكير والتحليل المنطقي لدي، وانتقل هذا الأثر، كذلك، عندما انتقلت إلى بريطانيا لدراسة الماجستير والدكتوراه في تقويم الأسنان، فتفوقت في البحث العلمي، ولا يزال هذا التأسيس القوي في الإحصاء يساعدني في إجراء البحوث الرصينة إلى يومنا هذا.

وهو يداوم على صلة الرحم، خصوصًا في رمضان والأعياد، فهو يصل القريب والبعيد

من رحمه، كما يداوم على إقامة مأدبة إفطار في اليوم الثاني من رمضان كلّ عام لجميع أفراد العائلة، وكذلك يداوم على زيارة رحمه في الأعياد حتى إن كان ينوي السفر خلال فترة العيد، فإنه يقوم بزيارتهم قبل سفره، وقد نقل هذه السنّة الطيبة لي وإلى حفيده محمد.

والدكتور حمدان يعشق الرياضة، وقد نمَّى في نفوس عائلته هذا الحب؛ إذ كان يلعب في فريق كرة القدم للنادي الأهلي في صغره. وكان رئيسًا لاتحاد ألعاب القوى، ورئيسًا لاتحاد التنس الأرضي، وعضوًا في اللجنة الأولمبية الأردنية، وهو رياضي من الطراز الأول، وقد علمني كرة القدم، والتنس الأرضي، وكرة السلة والسباحة. وعلى كثرة مشاغله، كان يداوم على ممارسة الرياضة ولو مرة واحدة في الأسبوع، فكان يستيقظ باكرًا يوم الجمعة ويذهب إلى كلية التربية الرياضية في الجامعة الأردنية أو مدينة الحسين للشباب؛ ليلعب التنس الأرضي أو يسبح، وكان يداوم على إيقاظنا أنا وأختي للذهاب معه.

وهو يتذوق الفن ويعشقه، خصوصًا المسرحيات الموسيقية، فحينما كانت العائلة تسافر في إجازة، كان حضور هذه المسرحيات من أهم ما في البرنامج الترفيهي الذي كان ينظمه لنا الوالد حفظه الله، وكنت وإياه ننتظر الساعات الطوال مصطفّين في الدور على أبواب المسارح في لندن ونيويورك؛ للحصول على أفضل التذاكر لمثل هذه المسرحيات، وقد انتقل هذا الحب للفن إليّ، وانا الآن بدوري أعززه في أبنائي.

وبحكم ما تفضل المولى عليه من رزق ومكانة أكاديمية وسياسية، فقد دأب على مساعدة القريب والغريب بما يرضي الله، فهناك العشرات من طلبة التوجيهي الذين ساعدهم في الحصول على القبول في الجامعات، وعشرات من خريجي الجامعات الذين ساعدهم في الحصول على عمل، ما ساهم في تمتعهم بالعيش الكريم.

ولم يكتف بهذه المساعدات الشخصية، وإنما، وفي سياق حبه وولائه للوطن، كان من

أكبر إن لم يكن أكبر من تبرع لوزارة التربية والتعليم، فقد تبرع ببناء مدرستين؛ إحداهما في عين الباشا، والأخرى في ماركا، كما تبرع بتأثيث قاعة تدريسية في كلية طب الأسنان في الجامعة الأردنية، وحديثًا تبرع للأكاديمية العالمية للعلوم TWAS بجائزة سنوية نقدية مستمرة لأفضل بحث في الرياضيات والإحصاء لباحث من الدول العربية والإفريقية، كل ذلك مع محدودية موارد رزقه. ولو أن أبناء هذا الوطن، ممن أنعم الله عليهم بالرزق، احتذوا حذوه؛ لما كانت هناك منطقة في الأردن بحاجة إلى مدرسة، ولكانت جميع المدارس الحالية في أفضل حال، ومزودة بأحدث المعدات والأجهزة.

وفي الختام، ومع أن شهادتي قد تكون مجروحة، فإن هذا الرجل الذي تكرمه اليوم مؤسسة عبد الحميد شومان العريقة، هو من أحق من استحق التكريم على هذا المنبر. فشكرًا جزيلًا لها على هذا التكريم الذي أعتبره تكريمًا لي أيضًا.

شهـادة
مع محمد حمـدان: رحلة حياة

عدنان أبو عودة *

في خريف العام ١٩٤٩، منتصف الفصل الدراسي الأول، دخل الصف الثاني الثانوي (أ) في المدرسة الصلاحية في نابلس فتى غضّ الإهاب، كما وصف أحمد شوقي أنطونيو في قصيدة كليوباترا، وكان اسمه محمد أحمد حمدان، قادمًا من مدرسة الإمام الشافعي الثانوية في غزة.

وقبل المضي في الحديث عن صديقنا محمد، أشعر بضرورة رسم الخلفية الاجتماعية المزاجية، في ما تبقى من فلسطين في ذلك التاريخ. كانت النكبة قد وقعت وإسرائيل أقيمت، والدول العربية المجاورة، مصر وسوريا والأردن ولبنان، وقعّت معها معاهدات هدنة في جزيرة رودس اليونانية.

ما تبقى من فلسطين من جنين شمالًا حتى الخليل جنوبًا، والذي عرف بعد عام باسم

* محلل سياسي ومستشار سابق للملك عبدالله الثاني.

الضفة الغربية، وجد نفسه شبه محاصر حينما أغلقت إسرائيل منافذه الثلاثة غربًا نحو البحر المتوسط، وشمالًا نحو لبنان وسوريا، وجنوبًا نحو مصر. ولم يبق إلا منفذ واحد من الشرق باتجاه الأردن، هذا الجزء من فلسطين هو الذي استقبل أكبر عدد من اللاجئين المطرودين من بيوتهم وأراضيهم، نتيجة التطهير العرقي الذي مارسته المنظمات الإرهابية الصهيونية مباشرة، بعد إعلان التقسيم في الأمم المتحدة في تشرين الثاني ١٩٤٧، على الرغم من وجود البريطانيين في فلسطين. ولم تكن الأمم المتحدة قد أنشأت وكالة الغوث بعد، حيث شكلت في ديسمبر ١٩٤٩. ومحمد جاءنا في نوفمبر ١٩٤٩.

هذا الحال الذي وصفت خلق مزاجًا عامًّا تميز بمزيج من الحزن والغضب والإحباط والخوف وعدم اليقين، زادته حدة الواقع الاقتصادي السيئ في المنطقة المحاصرة: استمر هذا الوضع بضع سنين كانت الأسوأ في تاريخ الضفة الغربية، قبل تكيف الاقتصاد «حركة الاستيراد والتصدير» مع المنفذ الواحد، وقبل أن تفتح أبواب الكويت؛ لتشكل المغناطيس الجاذب للعاطلين عن العمل. كانت المدارس في غمرة هذا المزاج المعتم هي الوحيدة التي فيها بعض ضياء؛ لأن المدرسة هي المؤسسة الوحيدة التي تعنى بتنظيم الوقت والبرامج، الأمر الذي يجعل للفرد فيها معنى؛ لأن له مقصداً واضحاً وبرنامج عمل، في هذا الوقت وصل محمد من غزة. وحينما وصل كنا قبل وصوله أربعة طلاب أصدقاء نتنافس على المراتب الأولى. وحينما عدنا إلى الدراسة بعد إغلاق المدارس أكثر من عام، كانت حماستنا شديدة للتعويض عما فاتنا، الأمر الذي زاد في حدة التنافس بين الأصدقاء. بعد نحو أسبوع أو أسبوعين من وصول محمد، تبيّن لنا نحن المتنافسين أننا قد أصبحنا خمسة. فالقادم الجديد، من خلال تفاعله في الحصص مع المدرسين، أبدى تميزًا ملحوظًا، وهؤلاء الخمسة هم الدكتور وليد باكير جراح العظام المقيم في عمان، والمرحوم أحمد عثمان، والدكتور

حسني أبو سير المقيم في عمان، والدكتور محمد حمدان وأنا، وكنت مع محمد الاثنين القادمين من الطبقة العاملة: والده كان سائق تكسي، ووالدي كان عاملًا في مصنع للصابون. وفي الفصل الدراسي الثاني أصبح واضحًا ان القادم الجديد شديد التميز؛ لدرجة أن أستاذ اللغة الإنجليزية السيد محمد حلاوة، أحسن الله خاتمته، قال مداعبًا وليد باكير في الفصل الثاني، وقد كان الأول في الفصل الأول: «أنا يا وليد شايف أن محمد سبقك».

نحن المتنافسين لم نكن بحاجة إلى ملاحظة الأستاذ، حيث كنا قد أحسسنا بذلك قبل ملاحظته بكثير.

وفي مطلع العام الدراسي ١٩٥٠-١٩٥١، جاءنا طالب جديد اسمه هاني أبو حجلة قادمًا من المدرسة الفاضلية في طولكرم. وبعد نحو أسبوعين، تبيّن للمتنافسين أن هاني منافس جديد، بسبب تميّزه العلمي الواضح، خاصة في الرياضيات. وهكذا زاد عدد المتنافسين ليصبح ستة، وعلى ذكر التنافس الودي حدث يومًا أن قال لي وليد باكير: «ليلة البارحة أنت نمت في الساعة العاشرة»، قلت: «هذا صحيح كيف عرفت؟»، قال: «لأن نور بيتك أطفئ في الساعة العاشرة». ملاحظته لفتت انتباهي للطوبوغرافيا النابلسية.

كان بيتي في سفح جبل عيبال غير محجوب بأي بنايات. وكان من السهل رؤيته من وسط البلد في الوادي أو من جهات أخرى. وكان بيت وليد في الوادي، لكن ملاحظته أوحت لي ببعض الخبث؛ إذ ما دامت منافستنا تشمل الوقت الذي يقضيه الفرد منا في الدراسة، فلأغلق حاجب الضوء الأباجور في الساعة التاسعة، وأدرس حتى الحادية عشرة مثلًا.

كان محمد يتميز على الخمسة الآخرين بأنه كان رياضيًّا، حيث أصبح لاعبًا في فريق كرة القدم للمدرسة الصلاحية. وأذكر أنه كان يلعب في الجناح الأيمن، وأنه في إحدى المباريات أصيب وكسرت ذراعه، وعلقها في رقبته فترة غير قصيرة. هذا البعد الرياضي في شخصيته

أضاف له ميزة جديدة هي التقارب مع الآخرين ومحبة الآخرين له، التي كان يستجيب لها بتعامله الودود معهم. وفي هذا العام الدراسي ١٩٥٠-١٩٥١، بدأ محمد يحتكر مرتبة الأول في الصف، فكان الأول في الفصل الأول، وفي الفصل الثاني، وفي الفصل النهائي. واستمر كذلك في العام الدراسي ١٩٥١-١٩٥٢، وهو العام الدراسي الأخير الذي يختتم بالفحص العام «الثانوية العامة» أو «المتريكوليشن» كما كان يسميه الإنجليز، وكان آخر امتحان متريكوليشن عام ١٩٥١؛ أي قبل عام من انتهائنا من الثانوية نحن الذين درسنا وفق النظام الفلسطيني القديم حتى الرابع الثانوي ١٩٥١-١٩٥٢؛ لأن وحدة الضفتين تمت في نيسان ١٩٥٠، وحدث تكييف للمنهج ليشمل امتحان ١٩٥٢ الضفتين.

وهكذا؛ جلسنا لأول امتحان بعد الوحدة، ليحتل محمد من جديد المركز الأول في المملكة. أما الخمسة الآخرون فقد احتل المرحوم أحمد عثمان المرتبة الثالثة، والدكتور وليد باكير المرتبة الخامسة، وأنا المرتبة السادسة. أما الدكتور حسني والمهندس هاني فقد كانا ضمن العشرة الثانية من الناجحين، وهكذا انتهت المرحلة الأولى من حياتنا، أصدقاء متنافسين؛ لنبدأ المرحلة الثانية التي ستعدّنا لحياتنا المهنية المقبلة.

محمد الأول وأحمد الثالث ابتعثتهما وزارة التربية إلى مصر للتخصص في الرياضيات، وليد باكير ذهب أيضا إلى مصر لدراسة الطبّ، وكذلك حسني أبو سير. أما هاني أبو حجلة فقد ذهب هو الآخر إلى مصر لدراسة الهندسة، وثلاثتهم، وليد وحسني وهاني، درسوا على نفقتهم، أما أنا فقد التحقت بدار المعلمين في عمان وكانت قد أسست حديثًا؛ لأصبح بعد عامين مؤهلًا لتدريس طلاب الابتدائي والإعدادي، وهكذا عام ١٩٥٢ تفرقت السبل بالأصدقاء المتنافسين، من دون أن يفرطوا برابط الصداقة ما داموا أحياء.

خمسة منا ذهبوا إلى مصر، وأنا الوحيد الذي بقي في الأردن. وكانت فرصتي الوحيدة في

لقاء أي واحد منهم هي العطلة الصيفية، التي كنا نقضيها جميعًا في نابلس. كنا نلتقي غالبًا في مقهى صيفي في إحدى ضواحي نابلس، نلعب الورق أو في الملعب البلدي؛ لمشاهدة مباراة كرة قدم، أو في دار السينما لمشاهدة أحد الأفلام.

وكان اللقاء الأول في العطلة يبدأ بالتذاكر عما حدث في العام الدراسي المنصرم، وفي نهاية العطلة كان يعود كل واحد منا إلى جامعته أو معهده. ولأني كنت الوحيد طالبًا في معهد وليس جامعة، فقد كنت أول واحد من الستة أذهب إلى سوق العمل حينما أصبحت بعد سنتين معلمًا في مدرسة السلط الثانوية. وتمضي السنون فيصبح الدكتور محمد والمرحوم أحمد عثمان معلمين، والثلاثة الآخرون طبيبين ومهندسًا. وفي زمن غياب الهاتف النقال، قل اللقاء والتواصل، وكان يحدث في معظم الأحيان من باب الصدفة.

لكن الصداقة أيتها السيدات والسادة، التي تزرع في الطفولة والصبا، تبقى حية وإن رقدت. وكما تفرقت بنا السبل لأول مرة حينما انتهينا من الدراسة الثانوية؛ ليذهب كل في طريقه نحو الدراسات العليا، تفرقت بنا السبل من جديد مهنيًّا بعد الدراسة، ثلاثة منا هم الدكتور محمد والمرحوم أحمد عثمان وأنا امتهنّا التعليم، ولكن كان كل واحد منا في بلد.

أما الطبيبان وليد وحسني فقد عمل أحدهما في الجيش والآخر في وزارة الصحة، أما هاني فقد عمل في شركة مقاولات، وكنا جميعًا في الأردن. والرابط الوحيد الذي ظل يجمعنا هو صداقة المدرسة الرائدة، وكانت اللقاءات نادرة إلا لدى الطبيبين وليد وحسني، بحكم المهنة الواحدة. وكما تقول المطربة أم كلثوم «قد عزّ اللقاء»، وحينما يحدث، كان يبدأ بالعناق ليتلوه التذاكر عن العمل والأسرة والأولاد ومدارسهم، ويتلوه الفراق الذي تذهب فيه الصداقة إلى حالة من الرقاد، بانتظار لقاء جديد يوقظها ويجددها ويشحنها بطاقة جديدة.

في مجال التعليم افتقدنا، نحن من كتبت علينا المهنة، الصديق أحمد عثمان حينما اختاره الله

إلى جواره في وقت مبكر، أما الخمسة الآخرون فهم ما زالوا، والحمدالله، أحياء: الطبيبان والمهندس والدكتور محمد والعبد لله، وفي هذه الحقبة من الحياة سأذكر ثلاث مناسبات تم فيها اللقاء بين الدكتور محمد وبيني، حينما كنا نوقظ الصداقة من رمادها ونجدد طاقتها، الأولى كانت عام ١٩٦٥، حينما التقيت في بيروت مع الدكتور محمد الذي تقدم في حقله وحصل على شهادة الدكتوراه، وعمل أستاذًا في الجامعة الأمريكية، وصار يحمل صفة الأكاديمي، وكنت حينئذ مدرسًا أعمل في دولة الكويت، وفي العطلة الصيفية من ذلك العام التحقت بدائرة المخابرات العامة، محلّلًا سياسيًّا، حينما التقيت بالدكتور محمد دعاني إلى الغداء في مطعم فيصل المشهور في بيروت، وكالعادة تذاكرنا وتحدثنا عن أمور شتىّ، ولا أدري حينما أسررت له بأنني التحقت بدائرة المخابرات الأردنية، إن كنت مدفوعًا بالرغبة في تمتين قواعد الصداقة، أم أنني كنت أسعى نحو معرفة رد فعله على تغيير حياتي المهنية، بعد أن قضيت في حياتي المهنية التعليمية نحو عشرة أعوام. لم أحسّ من رد فعله أنه كان مشجعًا أو مستنكرًا، فقد تلقّى الخبر كأمر عادي جدا ولم يوله أي اهتمام، لكن بعد بضع سنين اتصل بي في بيتي ليخبرني أن زميلًا له اسمه عيسى شاهين (وكان الرابع في امتحان الثانوية العام الذي اجتزناه عام ١٩٥٢ من طلاب المدرسة الرشيدية في القدس)، كان يعرف أن محمد صديقي، يرجوه أن يطلب مني مساعدة شقيق له كان يعمل في الكويت، وفي أثناء وصوله مطار عمان صودر جواز سفره. وعدته بأن أفعل ما أستطيع، وبالفعل تمكنت من الإفراج عن جواز سفره.

في العام ١٩٧٢ عيّنت عضوًا في مجلس أمناء الجامعة الأردنية، وبعد اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية، انطلقت نشاطات طلابية سياسية في الجامعة الأردنية، وكانت في معظمها غير منضبطة، الأمر الذي جعل المرحوم ناصرالدين الأسد رئيس الجامعة يشكو من الوضع،

ومن فشل عمادة شؤون الطلبة في تنظيم الأمور. اقترحت عليه، بحكم وظيفتي، أن يعيّن الدكتور محمد عميدًا لشؤون الطلبة، شافعًا توصيتي بسببين، الأول أن الدكتور محمد، حينما كان طالبًا، كان لاعبًا في فريق كرة القدم في المدرسة، وهذا يعني أنه معتاد على التعاون والتفاهم، في إطار العمل الجمعي الطلابي، والثاني أن الدكتور محمد شخص متوازن راجح العقل، ودود في تعامله مع الآخرين. لقد أخذ المرحوم الدكتور ناصر الدين برأيي، فعين الدكتور محمد عميدًا لشؤون الطلبة، وقد تمكن من ضبط النشاط الطلابي، وكسب احترام الطلاب ومودتهم، كما نقل لي الدكتور ناصر الدين انطباعه بعد بضعة أسابيع فقط من تسلم الدكتور محمد هذا المركز. وكما عرفت أنا، عرف آخرون عن حسن أداء الدكتور محمد في إدارة شؤون الطلبة، الأمر الذي أكسبه سمعة طيبة في الإدارة، مما حدا بأحد رؤساء الوزارات أن يختاره وزيرًا للتربية والتعليم والتعليم العالي.

وفي الخلاصة، ستة فتيان أصدقاء تنافسوا على مدى ثلاث سنوات، على المراتب الأولى في المدرسة الصلاحية الثانوية في مدينة نابلس. ثلاثة منهم دخلوا ميدان التعليم، واثنان ميدان الطب، والسادس ميدان الهندسة المدنية. اثنان من هؤلاء هما الدكتور محمد وأنا قدمنا من الطبقة العاملة، ونحن الاثنين فقط انتقلنا من ميدان المهنة التي أعددنا لها لندخل ميدان السياسة.

مضى واحد من الستة إلى ربه راضيًا مرضيًّا، والخمسة الآخرون أحياء مقيمون جميعهم في عمان. أربعة منهم متقاعدون، وواحد ما زال يعمل هو الدكتور محمد الذي تقدم ونجح في الميدان الأكاديمي، وأصبح معروفًا في الوسطين العربي والدولي، وتشهد على ذلك المراكز التي يحتلها اليوم وهو في الثمانين من العمر:

* الدكتور محمد هو الرئيس المؤسس للجامعة العربية المفتوحة، وهو الآن مستشارها.

* وهو رئيس اتحاد الإحصائيين العرب في عمان.
* ورئيس مجلس إدارة الأكاديمية الدولية في عمان.
* ورئيس اللجنة الأردنية الوطنية لأخلاقيات العلوم والتقانة في وزارة التربية والتعليم.
* ونائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردني.
* ونائب رئيس الأكاديمية للعلوم عن المنطقة العربية.

الزميل والصديق محمد يجسّد قصة نجاح صنعها بما وهبه سبحانه من عقل، وبجهده وخلقه، بورك خريج الصلاحية الثانوية في نابلس.

محمد حمدان
المبدع والمربي والصديق والإنسان

د . معاوية إبراهيم *

بدايات المعرفة

كنت عام ١٩٥٣ طالبًا في الإعدادية، في مدرسة عصيرة الشمالية، وجاءنا مدرس في البلدة اسمه محمد سلمان الشحروري، كان قد أنهى دراسته الثانوية في مدرسة الصلاحية/ نابلس، واجتاز مرحلة «المترك»، الأمر الذي أهله للتدريس في إحدى مدارس التربية والتعليم، فذكر لنا، لأول مرة، اسم محمد حمدان، وبأنه حاز المرتبة الأولى في «المترك» على ضفتي نهر الأردن. كما تردد اسم محمد حمدان من خلال زميل آخر له من عصيرة الشمالية اسمه زيّان ياسين، كان قد درس معه في الصلاحية وأنهى الدراسة الثانوية في العام ١٩٥٢.

دارت الأيام لنتعرف على زميل آخر له عام ١٩٧١، وهو الأستاذ عدنان أبو عودة، الذي شغل موقع وزير الإعلام ووزير السياحة والآثار، وقد التقيته مرات عدة، ورافقته في عدد من الرحلات الميدانية إلى بعض المواقع الأثرية، وقد أورد أسماء زملائه في الثانوية العامة، وفي مقدمتهم محمد حمدان الذي كان مبدعًا في المدرسة.

* نائب رئيس جامعة الاستقلال للشؤون الأكاديمية في أريحا.

التحقت عام ١٩٧٩ بجامعة اليرموك، وقد تكرر اسم الدكتور محمد حمدان كأول عميد لكلية العلوم والآداب في الجامعة، لكنه سرعان ما انتقل إلى عمان؛ ليشغل وظيفة عميد شؤون الطلبة في الجامعة الأردنية، إلا أنه كان يزور جامعة اليرموك بين الفينة والأخرى؛ فتعرّفنا على الدكتور محمد حمدان شخصيًّا.

محمد حمدان رئيسًا لجامعة اليرموك

في الفترة بين عامي ١٩٨٥-١٩٨٦ قضيت سنة التفرغ العلمي في جامعة بنسلفانيا-فيلادلفيا/ الولايات المتحدة الأمريكية، ومع نهاية هذه الفترة قضيت بضعة أسابيع في جامعة تيوبينجن الألمانية، وسمعت أن ظروفاً قد طرأت على جامعة اليرموك، الأمر الذي أدى إلى استقالة الدكتور عدنان بدران، الرئيس المؤسس لجامعة اليرموك، وعُيّن بدلًا منه الدكتور محمد حمدان، فاتصلت به مهنئًا، وعرّفته على نفسي كمدير مؤسس لمعهد الآثار والأنثروبولوجيا، وبأنني، خلال إقامتي في تيوبينجن، سأعمل على تطوير البرامج المشتركة مع بعض الجامعات الألمانية، وطلب مني أن نتباحث في هذه الأمور عند الانتهاء من إقامتي في ألمانيا وعودتي إلى جامعة اليرموك.

كان الدكتور محمد حمدان قد التقى الدكتور زيدان كفافي، القائم بأعمال مدير معهد الآثار والأنثروبولوجيا، الذي وضّح له برامج المعهد التدريسية والبحثية، إلا أني فوجئت، عند اللقاء به، أنه ورد لمسامعه وجود علاقات غزيرة مع الأجانب، وخاصة من النساء، ولعلنا نقوم بذلك على نطاق ضيق. إلا أن الدكتور حمدان غير رأيه عندما أقمنا احتفالية مع فريق فرنسي، برئاسة الأستاذة جنفييف دلفوس، بالاشتراك مع الدكتور زيدان كفافي، وذلك بمناسبة إقامة معرض مشترك حول حفريات تل أبو حامد في وادي الأردن. فعندما رأى

الدكتورة دلفوس سيدة طاعنة في السن، اقترب مني وهمس في أذني وقال: «حبذا لو تكثرون من هذه العناصر الأجنبية، وعلى بركة الله».

المهم في الأمر، وما يثلج الصدر، أن الدكتور حمدان كان منفتحًا على جميع المجالات الأكاديمية، بما في ذلك التخصصات التي ندرسها ونبحث فيها، في معهد الآثار والأنثروبولوجيا، حتى غدا يطلب زيارة المواقع الأثرية والمشاريع البحثية والميدانية التي يتولاها المعهد بنفسه أو بالاشتراك مع مؤسسات أخرى، وتطور لديه الاهتمام حتى أصبح حريصًا على حضور المؤتمرات المتصلة بالتراث، داخل الأردن وخارجه. وخير دليل على ذلك، حضوره المؤتمر الدولي حول تاريخ الأردن وآثاره، الذي عقد عام ١٩٨٨ في مدينة ليون الفرنسية، وكان مواظبًا على الاستماع إلى محاضرات وورش العمل المتصلة بذلك المؤتمر.

كان الدكتور حمدان داعمًا قويًّا لمشروع متحف التراث الأردني، المتصل بمعهد الآثار والأنثروبولوجيا، والذي كان قيد الإنشاء، بالاشتراك مع بعض المؤسسات الألمانية. وقد واكب هذا المشروع إلى أن تم افتتاح المتحف برعاية جلالة الملكة نور الحسين. والجدير بالذكر أن هذا المتحف له هدف يعكس التاريخ الاجتماعي للأردن وما حوله، منذ مراحل التنقل وجمع الطعام، مرورًا ببداية استقرار الإنسان ومجتمعات القرى الزراعية، ونشوء المدن والممالك حتى وقتنا الحاضر. وقد أثلج صدره عندما علم بوجود برامج خاصة للمجتمع المحلي، وخاصة طلبة المدارس، وما يتصل بذلك من زيارات منهجية وورش عمل، وكان ذلك بدعم من جمعية أصدقاء المتحف التي نبعت من المجتمع المحلي.

وكان سمو الأمير الحسن قد زار المتحف بعيد الافتتاح واطلع على أقسامه ومرافقه المختلفة، ووجه سؤالًا للدكتور حمدان: «هل لديكم وحدات أكاديمية بهذا المستوى؟»،

فأجاب الدكتور حمدان بأن هذا المعهد وما يتصل به من برامج هو من خيرة الوحدات الأكاديمية في الجامعة. وتوالت زيارات سمو الأمير والرواد إلى متحف التراث الأردني.

متحف التراث الأردني

لقي معهد الآثار والأنثروبولوجيا الدعم الأكبر من الدكتور محمد حمدان، الأمر الذي دفعه لدعم إنشاء متحف التراث الأردني، الذي جاءت رسالته لتحمل قصة الإنسان منذ أقدم العصور (منذ نحو مليون ونصف المليون سنة وحتى الآن). وأصبحت هذه المؤسسة معنية بدراسة هذا الإنسان وتراثه، وعلاقاته عبر المراحل الزمنية المختلفة، مثلما أصبحت تعنى بإنقاذ التراث، جنبًا إلى جنب مع المؤسسات الوطنية والعالمية.

وجاء إنشاء هذا المتحف، بناء على تصور واضح يضم تخصصات تبلورت في أقسام يجمعها المعهد، لا باعتبارها وحدة أكاديمية فقط، بل بسبب ترابط موضوعاتها واعتبار تخصصات الآثار والأنثروبولوجيا والنقوش مكملة بعضها لبعض.

وانعكس هذا التصور على مخطط المتحف وأقسامه، وسعى العاملون فيه إلى رواية قصة التاريخ الاجتماعي، عبر مراحل التطور الرئيسية، بأسلوب منهجي يسهّل على الزائر فهم هذه القصة، من خلال نصوص مختصرة ومعروضات منتقاة، ووسائل إيضاحية تم اختيارها وإعدادها بشكل متأنّ ومدروس؛ لتكون مفهومة لجميع فئات المجتمع والزوار على حد سواء.

وجاءت مقتنياته، من خلال مكتشفات الأعمال الميدانية من قبل الباحثين في المعهد، ومن خلال إعارات قدمتها دائرة الآثار العامة وجامعو المواد التراثية، من أمثال المرحوم

سمير شما، والأستاذ لطفي السومي، والسيدة وداد قعوار، ومعهد فلورنس لعصور ما قبل التاريخ، ومتحف بوخوم للتعدين في ألمانيا وغيرهم.

ولم يكن هذا التصور ليتحقق لولا الدعم الكبير من حكومة ألمانيا الاتحادية، وبمبادرة من المرحوم هيرفيك بارتلز، سفير ألمانيا الاتحادية ابتداء من عام ١٩٨٦، ومن الفريق الألماني التابع لمتحف لندن، ممثلًا من خلال الدكتور يوهانس كالتر ومكتب كنوت لورر للمشاريع الثقافية، ممثلًا من خلال المهندس كنوت لورر، الذي واصل العمل وفريقه حتى بعد نفاد المخصصات المالية لهذا المشروع.

ما بعد جامعة اليرموك

لا أذيع سرًا إذا قلت بأن علاقة وطيدة قد نمت وتطورت مع الدكتور حمدان على المستوى العائلي، وغدونا نتبادل الزيارات العائلية حتى بعد أن تبوأ مواقع أخرى بعد الجامعة، بما في ذلك وزارة التربية والتعليم، ووزارة التعليم العالي، والجامعة الهاشمية وغيرها. وقد بقي الدكتور محمد حمدان ذلك الإنسان الذي يتسم بالتواضع والمعرفة وحب الاستطلاع.

ومن الرحلات المشتركة التي قمنا بها، زيارة إلى مناطق الساحل السوري، بما في ذلك منطقة كسب واللاذقية. وانضم إلينا الدكتور سعد حجازي. وكان أحد الأصدقاء قد استأجر للمجموعة شقة في اللاذقية، إلا أننا اكتشفنا أن الشقة بحاجة إلى تنظيف، فشمّر الدكتور حمدان والدكتور حجازي وكاتب هذه السطور، عن سيقاننا لشطف الشقة قبل أن نسكن فيها. وقد طلب الدكتور حمدان أن نزور موقع راس شمرا، المعروف في المصادر التاريخية باسم أوغاريت، والذي كان ينقب فيه فريق فرنسي منذ عشرات السنين، وتفاجأ

الدكتور حمدان والدكتور حجازي بأن هذا المكان الذي عرف أقدم أبجدية في التاريخ، والتي يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، كان ميناء بحريًّا مهمًّا ساهم في علاقات متطورة مع منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط.

وعلى الرغم من أننا افترقنا مهنيًّا، وعلى الرغم من المواقع القيادية التي تبوأها الدكتور حمدان، غير أن العلاقات الشخصية استمرت حتى وقتنا الحاضر. ولا أذيع سرًّا إن قلت بأن جلساته يغمرها الكرم والفرح وروح النكتة، وحتى الطرب. وإذا «تجلّت» الجلسة فإن أبا أحمد لا يتوانى عن الغناء، وخاصة للسيدة أم كلثوم، فنتجلى مع أبي أحمد، ونحن على يقين بأنه لم يتناول قطرة من الكحول.

وعلى الرغم من المراكز التي احتلها أبو أحمد، إلا أنه يتسم بالتواضع ودعم الآخرين في جميع المجالات، وقد فوجئت عند الاطلاع على السيرة العلمية الذاتية للدكتور حمدان بأنه بقي مواكبًا للعلم والمعرفة، لا سيما في مجال تخصصه، الإحصاء والرياضيات، بل حتى في ميادين أخرى؛ كالإدارة والأكاديميا.

محمد حمدان وسمير شما

كنت قد تعرفت على المرحوم سمير شما عام ١٩٨٠، في أثناء انعقاد المؤتمر الدولي الأول لتاريخ وآثار بلاد الشام، في جامعة أكسفورد/ بريطانيا. وتبين لي اهتمامه بالتراث العربي الإسلامي، وخاصة النقود، وأعلمني أنه يمتلك مجموعة إسلامية متميزة، وأنه يرغب بالتعاون مع الجامعات الأردنية التي تهتم بهذه التخصصات، فأبلغته بأن جامعة اليرموك من المؤسسات التي تولي قضايا التراث، بما في ذلك المسكوكات، اهتمامًا خاصًّا. فبدأ يتردد في السنوات اللاحقة على الجامعة، لكن بداية التعاون الوثيق كان قد ترسخ في عهد الدكتور

محمد حمدان، عندما شغل موقع رئيس جامعة اليرموك عام ١٩٨٦، وكان لرعايته للأستاذ شما أثر كبير على نشوء تعاون مثمر تولدت عنه تبرعات سخية، ليس فقط لجامعة اليرموك، بل تعدتها لتشمل عددًا من الجامعات، بما فيها الجامعة الأردنية، والجامعة الهاشمية، وجامعة اليرموك.

وكان من نصيب جامعة اليرموك، إنشاء متحف للمسكوكات، وإصدار مجلة علمية متخصصة في المسكوكات، وتقديم عدد من المنح للدكتوراه، وعدد من الباحثين الذين عادوا لخدمة الجامعة في تخصصات نادرة، من بينهم الدكتور زياد السعد الذي تخصص في العلوم الطبيعية والآثار من معهد الآثار في جامعة لندن، والدكتور صالح ساري، الذي تخصص في الآثار الإسلامية من جامعة ميشجان الأمريكية، والمرحوم الدكتور جمعة كريّم، الذي تخصص في الآثار الإسلامية من جامعة برلين الحرة.

التعاون مع المؤسسات العلمية

قاد الدكتور محمد حمدان مسيرة التعاون المشترك مع عدد من الجامعات والمؤسسات العلمية من بلدان العالم المختلفة، وأدى هذا التعاون إلى تحقيق عدد من البرامج المشتركة، واستقطاب كفاءات متميزة للمشاركة في برامج الدراسات العليا/ تخصصات الآثار والأنثروبولوجيا والنقوش. وتمكنت الجامعة من إيفاد عدد من المتخصصين للحصول على درجة الدكتوراه، على نفقة مؤسسات ألمانية وفرنسية وبريطانية وأمريكية، وعاد هؤلاء للعمل في الجامعات الأردنية وجامعات عربية ومؤسسات علمية أخرى، من بينهم الدكتور سلطان المعاني، والدكتور عبد الحكيم الحسبان، والدكتور نبيل عطالله، والدكتورة ميسون النهار، والدكتور خالد دغلس، والدكتورة فردوس العجلوني، والدكتور هاني هياجنة،

والدكتور عبد الحليم الشيّاب، والدكتور صلاح هودليّة، والدكتور عصام حلايقة، والدكتورة لميا خوري، والدكتورة ميسون خوري.

كما أقام المعهد في عهد الدكتور حمدان عددًا من المشاريع العلمية المشتركة، بما في ذلك التاريخ الاجتماعي لوادي الأردن، إضافة إلى حفريات خربة الزيرقون (الألف الثالث قبل الميلاد) في شمالي الأردن، بالاشتراك مع جامعة تيوبينجن الألمانية، وحفريات بسطة (العصر الحجري الحديث)، برئاسة الدكتور مجاهد المحيسن، بالاشتراك مع الدكتور هانس نيسن من جامعة برلين الحرة، وحفريات عين غزال (العصر الحجري الحديث) برئاسة الدكتور زيدان كفافي، بالاشتراك مع الدكتور غاري رولفسون من جامعة ساندیغو الأمريكية، علاوة على حفريات تل دير علا (من الألفين الثاني والأول قبل الميلاد)، برئاسة معاوية إبراهيم، بالاشتراك مع الدكتور هانك فرانكن من جامعة لايدن الهولندية، وحفريات تل أبو حامد (الألف الرابع قبل الميلاد) في وادي الأردن، برئاسة الدكتور زيدان كفافي، بالاشتراك مع الدكتورة جنفييف دلفوس من مركز الأبحاث الفرنسي.

وقد تمكنا من إنشاء مكتبة متخصصة بحثية في هذه المجالات، انعكست على العاملين وطلبة الدراسات العليا في المعهد، بدعم سخي من مؤسسة فورد الأمريكية، وعدد من المؤسسات الألمانية والفرنسية والأمريكية، وكذلك من خلال تبادل المطبوعات مع مؤسسات علمية مختلفة، وضمت المكتبة مجموعة كبيرة من المراجع والمجلات العلمية والدوريات، وعددًا من الكتب النادرة التي يصعب الحصول عليها الآن. كما ساهم هذا التعاون في إنشاء مختبرات للتصوير والتحليل والحاسوب والصيانة والترميم ... الخ.

شهـادة

عبدالرحمن المصري *

عندما يكون الكلام عن قامة مثل ضيفنا الكبير، أستاذنا الدكتور محمد حمدان، يحار المرء كيف يبدأ الحديث، ومن أين ينطلق؟ هل من إنسانية هذا الرجل، أم من تواضعه، أم من علمه، أم من خلال ما قدمه لوطنه طوال مسيرته العلمية والعملية؟

تنضم مؤسسة عبد الحميد شومان، اليوم، إلى صروح علمية وثقافية كثر حظيت بتكريم معالي أبي أحمد، لكن أن تحظى المؤسسة به اليوم ضيفًا علمًا مميزًا، فلذلك ما له من ألق وجمال واعتزاز برابع مدير عام لهذه المؤسسة، ولو لفترة لم تطل.

المناسبة كبيرة، وما تقدير الدكتور محمد حمدان إلا نوع من إيلاء الفضل لأهل الفضل؛ لقاء جهوده وإنجازاته النوعية التي أفاء بها على الوطن.

لعلي أستذكر في هذا المقام، الحفل الذي أقامته الجامعة الهاشمية؛ لمنح معاليه شهادة الدكتوراه الفخرية في إدارة الأعمال، تقديرًا لإنجازاته العلمية والبحثية والإدارية، في حقل التعليم العام، والتعليم العالي، والذي حظيتُ بالمشاركة فيه. يومها ـ وفي كلمته بالمناسبة ـ وضع المحتفى به أعمدة ثلاثة لتطوير التعليم العالي هي:

---

* مدير الفكر القيادي في مؤسسة عبد الحميد شومان سابقًا.

«الالتزام بمعيار الكفاءة والحرص على العمل كفريق متكامل»، وضرورة «الالتزام بمبدأ التعلم مدى الحياة، وبخاصة في سياق التمكين الذاتي، في المجالين الأكاديمي والإداري»، وأخيرًا تأكيد ضرورة «التواصل الفعال، ليس فقط مع الأسرة الجامعية، بل مع جميع الشركاء المعنيين في استدامة العمل الجامعي». إنها أعمدة تنبثق من رؤية عميقة تستند إلى خبراته الثرة في التربية والتعليم، وتنم عن بصيرته وحكمته ودرايته.

لكن، وبما أنني مخول فقط أن أتحدث عن عمله في مؤسسة عبد الحميد شومان، فأباشر القول إن معاليه هو صاحب أقصر فترة عمل كمدير عام للمؤسسة؛ إذ لم تدم ولايته أكثر من شهر واحد، وهي مدة لم تكن كافية حتى ليضع خطوطًا عريضة لما يريد أن تبلغه المؤسسة في عهده.

كنت، شخصيًّا، على صلة مع معاليه قبل تقلده المنصب في المؤسسة، وكان أحد الذوات الأعضاء في لجنة كلفها مجلس إدارة مؤسستنا؛ لوضع تعليمات صندوق عبد الحميد شومان لدعم البحث العلمي، الذي غدا، لاحقًا، أحد أذرع المؤسسة لدعم البحث العلمي في الأردن. لقد تيقنت في تلك الفترة القصيرة، ولكن عن قرب، من كل ما يتحلى به من تميز العالم وتواضعه، وجدية الباحث القدير، وتفوق رجل الدولة المتميز.

حضرت بصحبته اجتماعًا واحدًا فقط لمجلس إدارة المؤسسة، وبما أنني كنت حينها أمين سر مجلس الإدارة، فأذكر أننا أعددنا، بإشرافه وفي يوم واحد فقط لهذا الاجتماع، كل متطلباته.

كما أذكر أنني كلما دخلت عليه في مكتبه وجدته يفرد أوراقه وحاسوبه وحقيبته ... ويبحث ويكتب، ويعمل. كان لصيقًا بالعمل والإنجاز، وبالتكنولوجيا والتطور في عالم الاتصالات، لا يرضى إلا بالإنجاز الدقيق، ولا يتنازل عن معاييره العالية. ومع أدبه الجم

وتواضعه، لم يكن ليصمت إزاء أي تجاوز، فقد رأيته هنا في هذه القاعة في أحد لقاءاته وندواته، صلبًا منافحًا عن الرأي الصواب، مدافعًا عن الحق، كعادته دائمًا.

بعد أن غادرنا معاليه وزيرًا، وكجزء من الواجب، زرناه وفدًا من المؤسسة مهنئين، فاستقبلنا في مكتبه مرحبًا كأفضل ما يكون عليه الترحاب، وجاذبنا أطراف الحديث، بكل ذلك التواضع والخلق العالي الذي تعرفون.

فترة عمل ضيفنا الكريم في المؤسسة ظلّت راسخة في الذاكرة، وإلى اليوم، ولا يمكن بحال نسيانها، خاصةً وأنها تعود لقامة عزيزة من خيرة من عَاشرت، رجل عرف بخصاله الحميدة وأخلاقه النبيلة، أقول إلى اليوم؛ لأن صلة معالي أبي أحمد بالمؤسسة لم تنقطع مذ غادرها مديرًا عامًا. لقد ظل لصيقًا بنشاطاتها العلمية والثقافية، داعمًا ومقدمًا المشورة والنصح والرأي السديد.

معالي ضيفنا الكبير: إننا، جميعًا، نعتز بكم وبعلمكم وبصيرتكم العلمية المتميزة، ولعل أياديكم البيضاء في حقل التعليم، كانت ولا تزال، خير شاهد على عقليتكم العلميةِ الفذةِ وبصيرتكم النافذةِ.

أما أنا، شخصيًّا، فقد شرفت بالعمل معكم والاقتراب منكم، وكم وددت – وربما أيضًا نفر غير قليل من زملائي في المؤسسة ـ أن لم تأخذك الوزارة منا حينئذ.

وأخيرًا، وليس آخرًا، تضيق الكلمات أن تكتب ما نحمله لكم من تقدير واحترام، وأن تصف ما يعتمل داخلنا من حب واعتزاز.

لكم كل الأمنيات بدوام العطاء، وبدوام تميزه.

شهـادة

محمد جميل أبو الطيب *

عينت مدرسًا في دار المعلمين في جبل الحسين، التي كانت أعلى معهد علمي في الأردن، وكانت تستقطب الطلبة الأوائل في المحافظات من الفرعين الأدبي والعلمي، وكان فيها قسم داخلي لجميع الطلاب، ولما كنت أول أردني يحصل على شهادة جامعية في التربية الرياضية، عينت معلمًا لمبحث التربية الرياضية والصحية. وبطبيعة الحال، بدأت في التعرف على أعضاء الهيئة التدريسية والإدارية، وكان أعضاء الهيئة التدريسية جميعهم جامعيين.

تم تعيين الدكتور محمد حمدان ضمن أعضاء الهيئة التدريسية، معلمًا للرياضيات، حيث تخرج في كلية العلوم، حاملًا شهادة بكالوريوس بدرجة امتياز. وبما أنه كان الأول على المملكة في «المترك» عام ١٩٥٣، فقد تم إرساله في بعثة إلى القاهرة لدراسة الرياضيات.

كان مميزًا في شخصيته المرحة وعلمه الغزير. وبدأت علاقتي معه تنمو وتزداد، بحكم تقارب السن وتشابه السلوكيات. فهو بالإضافة إلى كونه مدرسًا للرياضيات، كان رياضيًّا بارعًا، ومن هنا بدأت علاقتي معه تزداد وتتوطد، فكان يشارك الطلبة في معظم النشاطات

* رئيس هيئة رواد الحركة الرياضية والشبابية الأردنية.

الرياضية، وكان لاعبًا ماهرًا في كرة القدم، والتنس الأرضي، حيث كنا وإياه نلعب على نحو شبه يوميّ، على ملعب كرة الطائرة الذي حولناه إلى التنس في دار المعلمين.

ولما كنت أحد لاعبي كرة القدم في النادي الأهلي العريق، أقنعته أن ينضم إلى هذا النادي، فانضم إلى الفريق، ولعب مباشرة مع الفريق الأول، ولا أنسى أنه في أول مباراة، سجل هدفًا في فريق الخصم، عن طريق «الدبل كيك»، ما أكسبه شهرة بين الجماهير.

أعود للعلاقة الشخصية، فقد كان الدكتور حمدان يسكن مع أهله قرب دار المعلمين، وكان والده المرحوم الحاج أحمد متدينًا، يعول عائلة كبيرة بلغت أكثر من عشرة أفراد بين ولد وبنت.

كنا نسهر سويًّا في معظم الأيام مع بقية الزملاء في دار المعلمين ليلًا؛ إذْ كانت العلاقة بين أعضاء الهيئة التدريسية متينة ونظيفة، وكانت تظهر موهبته في التنكيت وخفة الظل أثناء اجتماعنا سويًّا.

ولن أنسى المرحوم جودت القباني «أبو خليل»، الشيخ الجليل الذي كان أمينًا للمكتبة في المعهد. كان وقورًا للغاية، وأمينًا ومهذبًا جدًّا، يشاركنا بعض السهرات، وكثيرًا ما يشارك في الحديث، حاثًّا إيانا على الزواج؛ إذْ إن معظمنا كان أعزبًا. أطلق على الدكتور حمدان وعليَ ثنائي «عرق السوس والتمر الهندي» ـ رحمه الله.

ذهب الدكتور حمدان في بعثة تعليمية إلى أستراليا؛ للحصول على شهادة الدكتوراه عام ١٩٦١. وشغر محله الذي أشغله في ما بعد دولة الأستاذ عبدالله النسور، عندما تخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت، وعين مدرسًا للرياضيات بدلًا من الدكتور حمدان.

وأعتقد أنه، بعد تخريجه، عاد إلى الأردن، وعين في وزارة التربية والتعليم رئيسًا لقسم التدريب. ثم سافر إلى أمريكا، ليعمل مدرسًا هناك، وبعدها في الجامعة الأمريكية في بيروت.

سأسمح لنفسي بأن أتطرق، قليلًا، إلى المناصب العديدة التي تبوّأها الدكتور حمدان، على الرغم من يقيني بأن هناك من سيتكلم عنها بالتفصيل.

بعد عودته إلى الأردن، في منتصف السبعينيات، عمل عميدًا لكلية العلوم في الجامعة الأردنية، وكذلك عميدًا لمشروع كلية التربية الرياضية. وتدرج إلى أن عين رئيسًا لجامعة اليرموك، ثم مؤسسًا ورئيسًا للجامعة الهاشمية، وكان يتخلل ذلك اختياره وزيرًا للتربية والتعليم والتعليم العالي، بالإضافة إلى عمله في الجامعة العربية المفتوحة وغيرها.

وبعد عودته من بيروت عام ١٩٨٣، كنت على اتصال دائم معه، وكنت في ذلك الوقت رئيسًا لاتحاد ألعاب القوى، ومديرًا عامًّا لمؤسسة رعاية الشباب، فطلبت منه أن يتولى رئاسة اتحاد ألعاب القوى بدلًا مني؛ لأتفرغ لعملي في المؤسسة، وقد أصبح رئيسًا للاتحاد، وشارك في الدورة الرياضية العربية في المغرب عام ١٩٨٥.

استمررت وإياه في الالتقاء أيام الجمع؛ لنلعب على ملاعب كلية التربية الرياضية كرة المضرب مع مجموعة من الزملاء، وبعض مدرسي كلية التربية الرياضية.

وأكتفي بهذا القدر، على الرغم من قناعتي بأن الدكتور حمدان كان وسيبقى مثلًا يحتذى. والله الموفق.

شهادة

د . محمد أبو حموّر *

عَرفتُ معالي الأستاذ الدكتور محمد حمدان عن قُرب، في حكومة دولة المهندس علي أبو الراغب سنة ٢٠٠٣، وحينها كان وزيرًا للتعليم العالي والبحث العلمي، وكنت وزيرًا للصناعة والتجارة، ومن بعد شرفتُ بعضوية مجلس أمناء جامعة آل البيت برئاسة معاليه.

وقد تميّز في كلا الموقعين، كما في كل المواقع التي شغلها، بالأصالة العلمية والرؤية الواعية لمتطلبات بناء الإنسان، كأساس لتقدم المجتمع.

كما تميز بعطائه الدائم غير المنقطع، خدمة للوطن ونهضته، فله منا كل التحية والاعتزاز والتقدير.

* وزير الصناعة والتجارة الأسبق.

شهـادة

د . سليم سعيد صبري *

الأخ العزيز الوفيّ والمعلم الكبير محمد حمدان

كان لي شرف العمل معكم، منذ منتصف ثمانينيات القرن العشرين، إلى العام ٢٠٠٩. وفي خلال عملي معكم في مواقع كثيرة، إضافة إلى الأخوّة والصداقة التي كانت تجمعنا، تعلمت منكم الشيء الكثير.. تعلمت كيف تكون الإدارة الناجحة، والمثابرة لتحقيق الأهداف المنشودة، والإخلاص في العمل، والسرعة في الإنجاز، فضلًا عن ضرورة التركيز والانتباه إلى أدق التفاصيل في الشؤون الإدارية والفنية.

تعلمت منكم كيفية التعامل مع المرؤوسين، بالعدل والإنصاف، وتجنّب المحاباة، وكيفية التعامل مع الرؤساء، بالنصح والإرشاد، وتلافي النفاق وتسويغ ما لا يسوّغ من مواقف.

تعلمت منكم احترام الوقت، وتقدير آراء الآخرين، وحسن الإصغاء لهم.

لقد كنت، على الدوام، معلّمًا لنا جميعًا، ومثالًا للوفاء وحسن الصحبة، فلكَ مني كل التقدير والاحترام. وللحقّ أنت أهلٌ لهذا التكريم من هذه المؤسسة العريقة، مؤسسة عبد الحميد شومان.

* أستاذ الكيمياء العضوية في الجامعة الأردنية.

شكر وامتنان

د . محمد أحمد حمدان *

هذا يوم مبارك أشعر فيه بقدر كبير من الامتنان والتواضع، يخالطه قدر يسير من الاعتزاز والافتخار، ما يجعلني عاجزًا عن التعبير الصادق الشامل عما يجيش في عقلي ووجداني. ولعلي أبدأ بالتعبير عن جزيل الشكر وعظيم التقدير لمؤسسة عبد الحميد شومان الماجدة، التي نعتز جميعًا بإنجازاتها المتميزة، ممثلة بالمديرة التنفيذية الفاضلة، الآنسة فالنتينا قسيسية وزملائها الكرام، على ما بذلوه من جهد خارق في التخطيط والإعداد والتنفيذ لهذه المناسبة، التي تتعدد فيها جوانب العمل ومكوّنات التكريم.

كما أعبر عن وافر الامتنان والتقدير لرفقاء المسيرة المتحدثين، الذين طوّقوا عنقي بما أفاضوا عليّ من ذكريات عزيزة، بعبارات تنبع من قلوبهم الزاخرة بالمحبة والوفاء؛ لما كان بيننا، ولا يزال، من مودة وصفاء.

ولا يسعني إلا أن أقول بأن تعبيرات الزملاء الكرام قد أفاضت على شخصي المتواضع أزيد مما أستحق، في سياق كريم الشمائل وعظيم الإنجازات.

---

* ضيف العام ٢٠١٩.

كما أتقدم، أيضًا، بجزيل الشكر وعظيم التقدير للحضور الكرام من الزملاء الحاليين والسابقين، سواء على مستوى العمل السياسي أو التشريعي أو التربوي أو الأكاديمي، هؤلاء الزملاء الذين طوقوا عنقي بحرصهم على الحضور في يوم إجازتهم، بل وفي يوم أسرتهم.

والشكر موصول للحضور من الأهل والأقارب والإخوان والأصدقاء، ومن بينهم أسرتي الصغيرة، هدى وأحمد وريسا، وشقيقاي د. عبد الرحيم ود. ساري، الذين أرى على وجوههم جميعًا البهجة والسرور، وفي أعماقهم الشكر والعرفان لكل من شارك في هذا التكريم.

وأخيرًا، وليس آخرًا، الشكر أيضًا موصول لجميع الأحبة الحضور من المواطنين الأوفياء لمؤسسة عبدالحميد شومان، المؤمنين بنجاعة برامجها ونشاطاتها الخيرة المتميزة.

إن الذكريات الجميلة التي تناولها الإخوة الزملاء والمتحدثون الكرام، هي فعلًا عزيزة عليّ، من حيث استمرار تأثيرها على مسيرتي المهنية والمعيشية حتى يومنا هذا. فكيف أنسى استقبالي في الصف الثاني الثانوي في المدرسة الصلاحية في نابلس، بعد شهرين من بدء العام الدراسي ١٩٤٩/ ١٩٥٠ من زملاء أحبة مثل معالي الدكتور عدنان أبو عودة، والدكتور وليد باكير، والدكتور حسني أبو سير، والمهندس هاني أبو حجلة، والأستاذ أحمد عثمان، والأستاذ أحمد طوباسي، وغيرهم من الطلبة الزملاء؟ وكيف أنسى من المعلمين الأستاذ محمد حلاوة، والأستاذ عادل سقف الحيط، والدكتور أمين موافي، وغيرهم من الأساتذة الأفاضل؟ وكيف أنسى وقد التحقت بدار المعلمين في عمان عام ١٩٥٧، الزملاء الأستاذ عبد الحميد ياسين، والأستاذ فايز الغول، والدكتور محمد نوري شفيق، والأستاذ محمد جميل أبو الطيب، وحصص الرياضة التي كنا نشارك فيها الساعة السادسة صباحًا؟

وكيف أنسى، بعد أن التحقت بالجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٦٥، أن وزارة التربية والتعليم الأردنية كانت توفد معلمين للحصول على درجة الماجستير، في أثناء فصل الصيف، وعلى رأسهم معالي الدكتور أمين محمود، الذي علّمتُه السباحة على شاطئ الجامعة؟ ومن هؤلاء الطلبة، كانت هنالك مجموعة في تخصص الزراعة، فكيف أنسى من بينهم معالي الدكتور محمود الدويري، والدكتور أنور البطيخي، والدكتور ظاهر الرواجفة، وغيرهم ممن زاملت لاحقًا في الجامعة الأردنية؟

هذا، ولقد كنت أدرّس هؤلاء الطلبة حينذاك مقررًا من التحليل الإحصائي للبيانات الحقلية الزراعية، وكان هذا المقرر الغني بالرياضيات والاحتمالات والإحصاء يعتبر متقدمًا، لا بل صعبًا، على طلبة تخصص الزراعة، ولكن ما كان يسعدني ويثلج صدري، لا بل يشعرني بالفخر، أن الطلبة الأردنيين كانوا يحصلون على أعلى العلامات لدي، من دون أن يسبب ذلك لي، كأستاذ أردني، أي حرج؛ لأن جميع الطلبة الآخرين كانو يشاهدون المشاركة الفاعلة للطلبة الأردنيين في مجريات المناقشة الصفية، وتقديم الواجبات الدراسية، فكيف يُنسى كل ذلك؟

هذا، وعلى الوجه الأوسع، كان العمل في الجامعة الأمريكية في بيروت، منذ أواسط الستينات، ثريًّا بالعلم والتعليم، وزاخرًا بالثقافة والعلاقات الاجتماعية والأخوية، بخاصة بوجود الأخ الكريم وزميل الدراسة الدكتور سعيد التل، الذي كان حينئذٍ مستشارًا ثقافيًّا في سفارة وطننا الحبيب.

ومن المحطات الأخرى الثرية، في مجال الدراسات العليا والبحث العلمي، فترة العمل في جامعة ولاية فرجينيا Virginia Polytechnic Institute، بدءًا من عام ١٩٦٩، فكيف أنسى زملاء وعلماء عرب بارزين، مثل الدكتور علي نايفة، وغيره من العرب الدارسين

للدكتوراه؟ وقد شكلنا منهم فريقًا لكرة القدم، فقد أصبح هذا النشاط الدوري، تدريبًا ومباريات، ومتنفسًا لضغوط العمل المكثف، لا بل مناسبة اجتماعية للتواصل والتواد بين الإخوة العرب وعائلاتهم، أساتذة وطلابًا.

أما العمل في جامعة اليرموك، فقد كان في مرحلتين، أولاهما عام ١٩٧٦ عندما أقنعني دولة الدكتور عدنان بدران، الرئيس المعيّن للجامعة، بتولي المسؤولية الأكاديمية الثانية، بعد الرئيس، وهي عمادة الكلية التأسيسية الوحيدة حينذاك، التي تعطي تخصصات في العلوم الطبيعية واللغات والآداب، وعلم الاجتماع والتربية والاقتصاد والعلوم الإدارية. ولقد كان في ذلك إثراءٌ لي في الخبرات الإدارية والمالية، بخاصة في الإعمار والتشييد والبناء، والتجهيزات العلمية والتربوية.

أما المرحلة الثانية فقد كانت عندما عُيِّنت رئيسًا للجامعة بعد الأحداث المأساوية التي مرت بها الجامعة عام ١٩٨٦. وكانت هذه المسؤولية من أصعب المسؤوليات التي توليتها ونجحت فيها، من خلال ممارسة الحكمة وحُسن التقدير في التعامل مع الجسم الطلابي الغاضب، وأعضاء هيئة التدريس والإداريين المحبطين، والمجتمع المحلي الذي يُحمّل الإدارة الجامعية المسؤولية الكاملة عما حدث. إلا أنه من حسن الطالع، أني توصلت إلى اختيار فريق عمل متميّز، ما كنت لأحقق النجاح من دونه، ومنهم الدكتور خالد العمري، والدكتور عوض خليفات، والدكتور محمد صبّاريني، والدكتور محمد أبو صالح، والدكتور معاوية إبراهيم، وغيرهم من الزملاء الأكفياء.

وفي الجامعة الأردنية، كانت الخبرة الثرية في تولي عمادة شؤون الطلبة مدة أربع سنوات، ومن أدرى بذلك من معالي الدكتور عبد السلام العبادي، الذي وافق على أن يتولى مسؤولية نائب العميد، والدكتور عصمت الكردي، الذي تولى مسؤولية مدير النشاطات الاجتماعية.

ولقد كانت هذه الفترة من الحياة الجامعية زاخرة بالنشاط السياسي للطلبة، بجميع أطيافه، حتى وصلنا إلى أحداث عام ١٩٧٩. إلا أننا تجازونا ذلك كله بحسن التعامل مع جميع الشركاء والمعنيين، وبخاصة الطلبة وممثليهم، هذا بالإضافة إلى تكثيف النشاطات الجامعية، سواء الاجتماعية أو الثقافية أو الرياضية. وكيف لا تذكر رحلة المائة حاج عام ١٩٨١، ورحلة إسبانيا والمغرب عام ١٩٨٢.

وبعد عمادة شؤون الطلبة، هنالك ذكريات عمادة البحث العلمي (١٩٨٢-١٩٨٤)، وذكريات عمادة كلية العلوم (١٩٨٤-١٩٨٦)، وذكريات تأسيس كلية التربية الرياضية واختيار موقعها الحالي، وكنت أول عميد لها، ومنها انطلقت لرئاسة الاتحاد الأردني لألعاب القوى، ثم الاتحاد الأردني للتنس الأرضي، وبمساندةٍ من الزملاء المتخصصين في التربية الرياضية، ومنهم الأستاذ محمد جميل أبو الطيب، وأخي الأصغر الدكتور ساري حمدان.

وفي العمل الوزاري والتشريعي، اختارني دولة السيد مضر بدران لتولي حقيبتي التربية والتعليم والتعليم العالي عام ١٩٨٩، ثم اختارني دولة الدكتور عبد السلام المجالي لتولي الحقيبتين عام ١٩٩٨، على أن أقدم خلال ثلاثة أشهر تعديلًا تشريعيًّا يلغي وزارة التعليم العالي، مستعيضًا عنها بمجلس للتعليم العالي يترأسه دولة رئيس الوزراء، وهذا ما حدث فعلًا.

وأخيراً، اختارني دولة المهندس علي أبو الراغب وزيراً للتعليم العالي عام ٢٠٠٢، ما اضطرني، آسفًا، إلى الاستقالة من وظيفتي كمدير عام لمؤسسة عبد الحميد شومان. ولقد تعلمت الكثير من خلال العمل الوزاري والتشريعي، وذلك، أولًا، اقتداءً بخبرة أصحاب الدولة، وثانيًا، بخبرة وتجربة الزملاء الذين كانوا قد تولوا هذه المسؤولية من قبل، ولقد ساعدني في ذلك كثير مما أؤمن به، كتربوي، وهو أن التعلم إنما يكون مدى الحياة.

هذا، وللعمل الوزاري ذكريات عزيزة أحملها لزملاء أحبة، منهم معالي الدكتور خالد الكركي، ومعالي الدكتور محمد الحلايقة، وغيرهما من خيرة الزملاء الذين كرّسوا إنجازاتهم المتميزة في العمل العام.

وفي عام ١٩٩٢، استدعاني دولة السيد مضر بدران من وظيفتي كعضو هيئة تدريس في الجامعة الأردنية؛ لتولي مسؤولية رئاسة الجامعة التي كُلّف دولته بإنشائها، وهي جامعة الزرقاء، التي أصبحت لاحقًا الجامعة الهاشمية، بعد أن تم ترخيص جامعة الزرقاء الخاصة. ولقد شملت هذه المسؤولية متطلبات جديدة، ليس أقلها التفاوض لإخلاء الموقع من التجهيزات التي يقيمها الجيش العربي على أرض الجامعة، وكذلك التفاوض مع المواطنين المقيمين على أرض الجامعة، باعتبارها واجهات عشائرية. ولقد تم كل ذلك، والحمدلله، بنجاح يُشهد له.

ولقد استمرت رئاستي للجامعة الهاشمية مدة ست سنوات، بدءًا بالتخطيط، وانتقالًا إلى التنفيذ والبناء والتشييد. هذا عدا استقطاب خيرة أعضاء هيئة التدريس من الأردنيين في الداخل، ومن الذين كانوا يعملون في دول الخليج منذ سنوات. ويجدر أن يُذكر هنا أننا تمكنا من استقطاب الدعم المالي الخيّر ممن آمنوا برسالة الجامعة، وعلى رأسهم المرحوم عبد المجيد شومان، الذي تبرع بملغ سخي لإنشاء كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية. أضف إلى ذلك، تبرع المرحوم سمير شما، بمبلغ سخي أيضًا؛ لإنشاء مكتبة الجامعة. وفي الهاشمية كذلك، ما كان النجاح ليكون لولا توافر فريق عمل متميز كرّس خبرته وكفاءته لتصبح الهاشمية نموذجًا للتفوق والإنجاز، وعلى رأس هؤلاء يأتي كل من معالي الدكتور منذر الشرع، والدكتور محمد وهبه، والدكتور سليم صبري، وأخي الحبيب الدكتور عبد الرحيم حمدان، وغيرهم من خيرة الكفاءات الأكاديمية الأردنية.

ومن «الهاشمية» إلى وزارة الدكتور عبد السلام المجالي عام ١٩٩٨، ومنها لتولي مسؤولية الأمين العام للمجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا مدة عام، إلى أن دُعيت من قبل المرحوم سمو الأمير طلال بن عبد العزيز؛ لتأسيس ورئاسة الجامعة العربية المفتوحة، التي كانت حلمًا لدى سموه، كجامعة غير ربحية ينشؤها برنامج الخليج العربي للتنمية (أجفند)، برئاسة سموه، وذلك لتوفير التعليم المفتوح المدمج لكل مواطنة ومواطن عربي، وبخاصة المقيمين منهم في القرى والأرياف البعيدة عن حواضر المدن، التي عادة ما تقام فيها مؤسسات التعليم العالي، ومرة أخرى أجد نفسي أمام مسؤولية تأسيسية جديدة تحتاج إلى مهارات متخصصة في جانبين: أولهما، التفاوض مع الجامعة المفتوحة في بريطانيا لعقد ثلاث اتفاقيات لترخيص استخدام المواد التعليمية، ولتدريب أعضاء هيئة التدريس المعينين، وللاعتماد البريطاني لبرامج الجامعة العربية المفتوحة، بحيث يحصل خريجوها أيضًا على شهادة الجامعة المفتوحة في بريطانيا، وثانيهما، الجولات المكوكية برفقة المدير التنفيذي لأجفند، الدكتور ناصر القحطاني، وذلك لعرض المشروع على وزراء التعليم العالي العرب، بدءًا من عُمان وانتهاءً بالمغرب العربي، وكذلك على مؤتمر اليونسكو في باريس، ومؤتمر وزراء التعليم العالي في بيروت. وبتوفيق من المولى عز وجل، فإن الجامعة العربية المفتوحة قائمة حاليًّا في تسع دول عربية، ويؤمها حوالي ٣٥,٠٠٠ طالب وطالبة.

لقد كان العمل في النشاط غير الحكومي، سواء على المستوى الوطني أو الإقليمي أو العالمي، متنوعًا ومتعددًا وزاخرًا من حيث تعدد وتداخل التخصصات، مع الاعتماد في جميع الأحوال على الخبرات التربوية والأكاديمية والتشريعية والسياسية. فعلى المستوى العالمي، أتيحت لي فرصة العمل في إطار منظمة اليونسكو كنائب لرئيس اللجنة الدولية لأخلاقيات البيولوجيا (International Bioethics Committee)، هذه اللجنة التي كان لي

الشرف في المشاركة بإصدارها ثلاثة إعلانات عالمية حول أخلاقيات البيولوجيا، وهي: الإعلان العالمي حول المجين البشري وحقوق الإنسان (١٩٩٧)، والإعلان الدولي حول البيانات الوراثية البشرية (٢٠٠٣)، والإعلان العالمي حول أخلاقيات البيولوجيا وحقوق الإنسان(٢٠٠٥).

أضف إلى ذلك، انتخابي منذ أواسط الثمانينات لعضوية أكاديمية العالم الإسلامي للعلوم، وكذلك لعضوية الأكاديمية العالمية للعلوم (TWAS) . وعلى المستوى الإقليمي فإنني حاليًا نائب لرئيس هذه الأكاديمية عن المنطقة العربية. ولقد تفضل الضيف الفاضل زميلي الدكتور محمد الفحّام بتقديم حول استضافة مكتبة الإسكندرية للمكتب العربي (AREB) لأكاديمية (TWAS)، شارحًا النشاطات الثرية التي نقوم بها لتقدم العلوم والتكنولوجيا في المنطقة العربية.

وهنالك أيضًا، اتحاد الإحصائيين العرب، الذي أتشرف برئاسته، وهو اتحاد نوعي مُنبثق عن مجلس الوحدة الاقتصادية العربية- جامعة الدول العربية. هذا الاتحاد الذي يبذل جهودًا كبيرة في تنظيم وتنسيق وتبادل الخبرات في العمل الإحصائي العربي. وأتشرف أيضًا بزمالة الأمين العام للاتحاد، د. غازي رحّو، الذي يعمل بجدٍ ونشاط لتحقيق الأهداف النبيلة للاتحاد.

وعلى المستوى الوطني، فإنني رئيس اللجنة الأردنية لأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا والتقانة منذ عام ١٩٩٨، وكان الأردن من أوائل الدول العربية استجابة لدعوة اليونسكو لإنشاء مثل هذه اللجنة. ولقد تفضلت زميلتنا في اللجنة الدكتورة نجمة عطيات، وهي حاليًا عضو في اللجنة الدولية لأخلاقيات العلوم والتقانة، بتقديم موجز حول النشاطات المتعددة لهذه اللجنة.

وعلى مستوى المؤسسات الوطنية، فإنني نائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، وأتشرف بخدمة اللغة العربية من خلال هذه المؤسسة الأكاديمية الهادفة، في معية رئيس المجمع الدكتور خالد الكركي، ومجموعة من خيرة العلماء الأفاضل. وبالاضافة إلى ذلك، فإنني عضو في مجلس أمناء المجلس الوطني لشؤون الأسرة، ومجلس الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، ورئيس مجلس إدارة الأكاديمية الدولية في عمان منذ تأسيسها قبل حوالي عقد ونصف العقد من الزمان، هذه الأكاديمية التي أعتز بها وبالزملاء الكرام في مجلس الإدارة وأعضاء الهيئتين التعليمية والإدارية فيها، وعلى رأسهم المدير العام، الدكتورة هناء كنعان. ويأتي هذا الفخر والاعتزاز استجابة للإنجاز المتميز والتقدم الباهر الذي حققته هذه المؤسسة الوطنية حتى غدت واحدة من أبرز الأكاديميات التربوية الدولية على المستوى العالمي.

أما بالنسبة للمساعدة في توفير البيئة المدرسية المناسبة لوزارة التربية والتعليم، فإننا جميعًا، كمواطنين أردنيين، لا نوفي هذه الوزارة إلا جزءًا يسيرًا من حقها؛ لما قدمته وتقدمه لنا من خدمات تربوية جليلة، علمًا بأنني شخصيًّا لم أكن لأحلم بالدراسة الجامعية، وعلى مستوى البكالوريوس ثم الدكتوراه، لولا البعثات العلمية التي وفرتها لي وزارة التربية والتعليم، وأنا وأخي الوفي الدكتور سامي السلايطة، الأمين العام السابق للوزارة، وغيرنا الكثير، شهودٌ على ذلك.

وختامًا، فإنني أكرر الشكر والتقدير والعرفان لمؤسسة عبد الحميد شومان، والأحبة الزملاء القائمين عليها، ولكل من شارك في تكريمي، مطوّقًا عنقي بكرمه وفضله، سواء من المتحدثين، أو رفقاء المسيرة، أو كل فرد من الحضور الكرام.

الفهرست

تقديم: محمد حمدان: الأخلاق العلمية والتعلّم الدائم

مهند مبيضين ٥

الجلسة الأولى

العمل التربوي والجامعي

محمد حمدان السهل الممتنع

د. محمود دويري ١٥

تجربتي مع الدكتور محمد حمدان

د. عبد السلام العبادي ٢١

الدكتور حمدان عن كثب

د. عصمت الكردي ٢٧

محمد حمدان مبتكرًا ومجددًا

د. عدنان محمد عوض ٢٩

الجلسة الثانية

رئاسة الجامعات والكليات

محمد حمدان رئيسًا لجامعة اليرموك

د. محمد صباريني ٣٩

حمدان والجامعة العربية المفتوحة

ناصر القحطاني ٤٧

محمد حمدان رئيسًا ورفيقًا

د. منذر الشرع ٥٥

ومضات مضيئة مع محمد حمدان

د. منذر صلاح ٦٣

الجلسة الثالثة

العمل الحكومي

«الصديق آخر هو أنت» ـ إلى محمد حمدان

د. خالد الكركي ٨١

من معين الذكريات

د. عزت جرادات ٨٩

محمد حمدان الحافظ درسه جيدًا

د. محمد الحلايقة ١٣١

حمدان واستقلالية الجامعات

د. عبد الله موسى ١٠٣

الجلسة الرابعة

المؤسسات الوطنية والإقليمية والعالمية

محمد حمدان الإنسان المتعدد الأبعاد، وفارس الأرقام

د. همام غصيب ١١١

أنشطة حمدان في الإسكندرية

د. محمد الفحام ١٢٥

رؤية حمدان في مجال التقانة وأخلاقياتها

د. نجمة العطيات ١٢٩

التجربة «الحمدانية» في حقل الإحصاء

د. غازي إبراهيم رحو ١٤١

محمد حمدان: عصامي تجاوز الفقر ليعلّم المقهورين

د. مهند مبيضين ١٤٩

محمد حمدان ومجمع اللغة العربية الأردني

د. محمد السعودي ١٥٧

الجلسة الخامسة

شهادات

شهادة

د. أحمد محمد حمدان ١٦٧

شهادة مع محمد حمدان: رحلة حياة

عدنان أبو عودة ١٧٣

محمد حمدان المبدع والمربي والصديق والإنسان

د. معاوية إبراهيم ١٨١

شهادة

عبد الرحمن المصري ١٨٩

شهادة

محمد جميل أبو الطيب ١٩٣

شهادة

د. محمد أبو حمّور ١٩٧

شهادة

د. سليم سعيد صبري ١٩٩

شكر وامتنان

د. محمد أحمد حمدان ٢٠١

الفهرست ٢١١

محمد حمدان أكاديمياً وتربوياً

محمد حمدان، من النخبة المعرفية الأردنية التي تشكّل وعيها في زمن الوحدة الأردنية مع فلسطين، فهو ابن زمن الضفتين، وهو صفوة النخبة الفلسطينية الأردنية التي بنت مؤسسات الدولة وأعطت بلا توقف.

تطرح سيرة محمد حمدان أسئلة كثيرة عن دور الأكاديميين والنخب العربية في بناء مؤسسات أوطانهم، كما تطرح كتابة السيرة المستعادة عنهم مشكلة التوثيق، فمثل هذه السيرة قلّما كانت توثق منجزاتها وتجاربها، وهنا يتطوع الغير أحيانا للكتابة عنها، فتكون هناك محاذير عدّة، أولها يكمن في مدى إمكانية استعادة التجربة كاملة، ومدى الحياد في ما يُكتب ويُدوّن، وإلى أي حدٍ يمكننا أن نتتبع خيوط الزمن في سيرهم، خاصة حين نفتقد الوثائق والتوثيق والأرشيف الشخصي.

ISBN 978-9957-19-078-1
9 789957 190781

البنك العربي
ARAB BANK

مؤسسة عبد الحميد شومان
ABDUL HAMEED SHOMAN FOUNDATION
ARAB BANK - البنك العربي

الآن ناشرون وموزعون
ALAAN PUBLISHERS & DISTRIBUTORS